



جامعة باتنة 1
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قسم العلوم السياسية



الأمازيغية في الخطاب السياسي: المغرب الأقصى أنموذجا

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في العلوم السياسية
تخصص: تنظيمات سياسية وإدارية

إشراف الأستاذ الدكتور:
أ.د. صالح زياني

إعداد الطالب الباحث:
رفيق بن حصير

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. مسعود البلي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسا
أ.د. صالح زياني	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفا ومقررا
أ.د. نور الصباح عكنوش	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
د. إبتسام بـدري	أستاذ محاضر أ	جامعة باتنة 1	عضوا مناقشا
د. يوسف أزروال	أستاذ محاضر أ	جامعة تبسة	عضوا مناقشا
د. لطفي دهينة	أستاذ محاضر أ	جامعة قسنطينة 3	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:
2022_2021

الخطوة

المقدمة

الفصل الأول: الإطار النظري والتاريخي للدراسة

المبحث الأول: ماهية الخطاب السياسي

المطلب الأول: تعريف الخطاب السياسي

المطلب الثاني: تحليل الخطاب السياسي

المبحث الثاني: المقاربات النظرية للتواصل السياسي

المطلب الأول: ماهية الاتصال وارتباطه بالاتصال السياسي

المطلب الثاني: نظرية الاتصال السياسي

المبحث الثالث: الجذور التاريخية للأمازيغية

المطلب الأول: الجوانب الاشتقاقية لمصطلح الأمازيغية

المطلب الثاني: تاريخ وأصل الأمازيغ

المطلب الثالث: اللغة أو اللهجات الأمازيغية

الفصل الثاني: المسألة الأمازيغية من التوجه الثقافي إلى التفعيل السياسي

المبحث الأول: التحول التدريجي من الوعي الثقافي التقليدي إلى الوعي السياسي

المطلب الأول: تعريف الحركة الأمازيغية ووظائفها

المطلب الثاني: السياق التاريخي للحركة الأمازيغية

المطلب الثالث: مرحلة التوجه لإنشاء حزب سياسي أمازيغي

المبحث الثاني: موقف النخب الوطنية من المسألة الأمازيغية

المطلب الأول: الأمازيغية والأحزاب السياسية

المطلب الثاني: المؤسسات النخبوية والأمازيغية

المبحث الثالث: التدبير الثقافي السياسي للاتجاه اللغوي الأمازيغي

المطلب الأول: المقاربة الاحترازية

المطلب الثاني: المقاربة الأمازيغية

المطلب الثالث: الممارسة السياسية كاحتفاء وتعبير عن أزمة هوية

الفصل الثالث: مضمون الخطاب السياسي بالمغرب وارتباطه بالمسألة الأمازيغية

المبحث الأول: خطاب الحركات الثقافية الأمازيغية

المطلب الأول: النمط الثقافي لخطاب الحركة الأمازيغية

المطلب الثاني: مرجعيات الحركة الثقافية الأمازيغية

المطلب الثالث: البعد الثقافي والسياسي للهوية في الخطاب الأمازيغي

المبحث الثاني: تحليل مضمون خطاب الملك الحسن الثاني

المطلب الأول: نبذة عن حياة الملك الحسن الثاني

المطلب الثاني: مسألة الهوية في الخطاب الملكي للحسن الثاني

المطلب الثالث: الخطاب السياسي للحسن الثاني في ضوء التحليل النقدي للخطاب

المبحث الثالث: تحليل مضمون خطابات الملك محمد السادس

المطلب الأول: نبذة عن حياة الملك محمد السادس

المطلب الثاني: تحليل مضمون خطابات الملك محمد السادس

المطلب الثالث: مقارنة بين خطاب الملك الحسن الثاني ومحمد السادس

الفصل الرابع: الرهانات الاستراتيجية للحركة الأمازيغية

المبحث الأول: التحديات السياسية بعد مظاهرات الحسيمة

المطلب الأول: تطور الظاهرة الاحتجاجية في المملكة المغربية

المطلب الثاني: العنف السياسي في سياق مظاهرات الحسيمة

المطلب الثالث: أحداث حراك الريف بالحسيمة

المطلب الرابع: الخطابات الدائرة حول حراك الريف

المبحث الثاني: رهان الأيديولوجية الرسمية للدولة المغربية

المطلب الأول: تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية

المطلب الثاني: مقارنة التدرج في إدماج الأمازيغية في مجالات الحياة العامة ذات

الأولوية

المبحث الثالث: التحديات والمسارات الجديدة للحركة الأمازيغية

المطلب الأول: جبهة العمل الأمازيغي كأرضية جديدة لفتح النقاش السياسي الهوياتي

المطلب الثاني: رهانات الخارج وتأثيرها في التعاطي مع الأمازيغية

الخاتمة

المقدمة:

أصبحت الهوية من المفاهيم المتعددة الاستعمالات التي يقبل على توظيفها الباحثون في العلوم الإنسانية والاجتماعية بشكل متضخم خلال السنوات الأخيرة، وأن نقاش الهوية والكتابة والتأليف حولها عرف وغرة ملحوظة منذ بداية الثمانينيات من القرن الماضي، ويعزو هذه الوضعية، على الأقل جزئياً، إلى ارتفاع موجة الخوف والأمن الأنطولوجي في المجتمعات المعاصرة، خاصة بعد انهيار الثنائية القطبية التي سادت خلال الحرب الباردة وما نتج عن ذلك من هيمنة اقتصادية وسياسية وثقافية من طرف القوى الكبرى. ولعل التحليل العميق يبرز ارتباط هذا التحول بنهاية اليقينيات الإبستمولوجية ومنها نهاية الحداثة العلمية والتاريخ وسيادة التقنية والعولمة وبروز تحولات اجتماعية صادمة وتفاقم التباينات والصراعات المهددة للكيانات والثقافات.

من هذا المنطلق نجد أن هوية الشعب المغربي تتميز بتركيبتها المتعددة سواء على مستوى الأصول أو المرجعيات وذلك في بعدها الأمازيغي والإسلامي والعربي. وقد لعب عامل الموقع الجغرافي للمغرب في الشمال الإفريقي كمركز لعبور واستقرار أجناس من مختلف الحضارات والثقافات دوراً كبيراً في إثراء هذه الهوية وتنوعها، ويشكل السكان الأمازيغ الذين استقروا في بلاد المغرب منذ زمن بعيد، مكوناً رئيسياً ضمن مكونات المجتمع المغربي، وأسهم الدين الإسلامي بشكل كبير في تمتين علاقات التعايش والتفاعل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي بين هذه المكونات، ذلك أن هذا التنوع لم يمنع من النضال والدفاع عن قضايا مشتركة كالدين والوطن على امتداد فترات من التاريخ وهو ما يفسر وجود عدد من مؤسسي الدول التي قامت في المغرب والذين عملوا على نشر الإسلام في مختلف المناطق، وأسهموا في العديد من الفتوحات التاريخية ينحدرون من أصول أمازيغية (المرابطون، الموحدون، المرينيون).

أما الخطاب السياسي باعتباره "مجموعة من الأفكار والمبادئ والتصورات النظرية التي تحدد المثال المطلوب تحقيقه في الواقع، وتربط الماضي بالحاضر وتربط الحاضر بالمستقبل، وتحقق المشروع السياسي للزعيم أو للتيار الحاكم، فإن إنتاج الخطاب السياسي في مجتمع ما يخضع لجملة من الشروط الاجتماعية والتاريخية تتحدد بدرجة تطور المجتمع ومكوناته الثقافية كما أن الخطاب السياسي بشكل عام دائماً ما يعمل على التبرير وليس على عرض الأسباب الحقيقية للمشكلة، ويقع الخطاب السياسي ضمن نظام أيديولوجي أكبر، فهو جزء من الأيديولوجيا، وهو الجزء الظاهر منها. إذ نحاول في هذا البحث تحليل وتعميق التفكير في النقاش الذي يتجدد اليوم بالنسبة للشأن الأمازيغي في علاقته بالخطاب السياسي في المغرب، سواء على نحو مؤسسي قانوني أو عام، وذلك لتحليل الخطاب والمساهمة في تطوير النقاش السياسي والمجتمعي الذي أصبح يكبر بفعل حجم الأسئلة والممارسة، وما يطرح بصدده من مطالب وبدائل وتقويمات تتجاوز ما يطرح في الأطر المؤسسية والضوابط التي تخضع لها. فقد ظلت العلاقة بين الأمازيغية والسياسة في خطابها مخيمة على انشغالات الفاعل السياسي والاجتماعي في المغرب وخاصة المؤسسة الملكية، فبمناسبة الذكرى الـ41 لثورة الملك والشعب"، يوم 20 اغسطس 1994م شرع الحسن الثاني في نوع من الانفتاح السياسي بإلقائه خطاباً يمكن أن نصفه بالتاريخي، على الأقل من حيث الشكل، إذ يصرح بأن الأمازيغية جزء من ثقافة المغرب مؤكداً مجدداً أن العربية هي التي توحد المغربيين، ويحمل المستعمر مسؤولية المحنة الهوياتية.

وفي سياق التحولات السياسية التي يشهدها المغرب منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي، وأمام تزايد مطالب الحركة الأمازيغية، تم اتخاذ مجموعة من التدابير والمبادرات التي همت المسألة الأمازيغية التي كان من أهمها إحداث المعهد الملكي

للتقافة الأمازيغية. وقد خلقت هذه الخطوات ردود فعل متباينة في صفوف الحركة الأمازيغية وأسهمت بشكل كبير في بروز نقاشات فكرية وأكاديمية واسعة.

ولاشك أن المنتبغ للشأن السياسي بالمغرب في الوقت الراهن يلحظ أن هناك سجالات قويا بين السياسيين بسبب اللغة المتداولة في النقاشات السياسية، ومعنى هذا من الناحية النظرية أن الحركة الثقافية الأمازيغية ليست حركة معارضة للحكومة كما ليست حركة موالية لها، فهي تدافع عن قضية مهما كان شكل الحكومة، فهذه الأخيرة تبقى دائما من المتغيرات في حين يظل الدفاع عن الأمازيغية والعمل على إنمائها من الثوابت، وإن تغيرت أشكاله وطرقه فهي نظريا مستقلة عن الحكومة كما هي مستقلة عن الأحزاب السياسية أيضا، فالأحزاب السياسية مهما تقاربت أو تباعدت وجهة نظرها حول القضايا الثقافية بصفة عامة أو حول الأمازيغية بصفة خاصة مع نظرة الحركة الثقافية الأمازيغية فنظرتها نظرة شمولية حول المجتمع والتي تدخل ضمنها مصلحتها السياسية المباشرة فالحركة إذن-من الناحية النظرية- جزء من المجتمع المدني يدافع عن قضية باستقلال عن الأحزاب السياسية والحكومة.

ومن أهمية هذا البحث أن هذا الاستقلال النظري له أيضا أسباب موضوعية وأن هذه الأسباب خلقت هوة عميقة بين المجتمع المدني والخطاب السياسي فيما يخص الوعي بأهمية القضايا الثقافية بصفة عامة والأمازيغية ضمنها بكيفية خاصة ليس فقط كأحد ثوابت الهوية الوطنية بل كعامل من عوامل التنمية والديمقراطية؛ إذ أصبحت قضية الأمازيغ في المغرب حاضرة على المشهد السياسي مع المطالبة بالاعتراف بحقوقهم واللجوء لاستراتيجيات مختلفة للتعبير. في حين أن النظام الملكي قد اتخذ مبادرات تدريجية لدعم حقوقهم كأقلية، وبات المغرب يعتبر رائدا بين دول المنطقة بالنسبة للمسألة الأمازيغية. وما زالت السلطات العامة تعتبر أن الاعتراف المطلق بالاختلافات الثقافية والعرقية يشكل قلقا أمنيا مما يساعد على استمرار بعض ممارسات التمييز والاضطهاد

المتعمد. هذه المواقف المتناقضة تساهم في تنامي الشعور بالاغتراب الثقافي واللغوي، وتزيد من مشاعر الإقصاء بين الأمازيغ، وبالتالي تعقيد الاندماج الوطني. إذ تعتبر الحركة الأمازيغية بمختلف مكوناتها من إطارات مدنية وسياسية وحقوقية وفاعلين وباحثين ومبدعين، أبرز الحركات الاجتماعية في المجتمع المغربي وأكثرها امتدادا وحضورا في سياق تجاذبات النقاش العمومي والخطابات والمشاريع التي تروم في اختيارات المجتمع والدولة وتغيير منظومات القيم والحياة الاجتماعية والسياسات العامة. كما يعرف فضاء هذه التجاذبات التي لا تخفي أحيانا كثرة تضاربها وصراعها، تنامي الأصوات والتيارات ذات المرجعية الحقوقية والديمقراطية التي تؤكد على مركزية مطلب الحريات والحقوق الفردية في تطور المجتمعات والحياة العامة ودمقرطة السلطة والدولة.

ولعل هذه المكونات، بخطاباتها وتصوراتها الاجتماعية والثقافية، تعتبر القوى البارزة في فضاء المجتمع ومجالات الإنتاج والخطاب والممارسة، حيث ارتأينا أن تشكل موضوعات هذه الدراسات والتناول التحليلي الذي يروم إنتاج معرفة حولها والإحاطة بها عبر الفهم والنقد الضروريين لتطوير الفكر والممارسة معا.

فمجموع النقاشات والخطابات التي تؤسس عليها الحركة الأمازيغية هي ذات منطوق وهدف هوياتي، وخطاب التعدد اللغوي والتنوع الثقافي وتصحيح اختيارات الدولة في هذه المجالات كما تبلور في الخطاب الأمازيغي، هو مشروع يسعى إلى تغيير نظرة الفرد والمجتمع إلى الذات والكون انطلاقا من وعي هوياتي مختلف. كما أن نقاش الحقوق والحريات ومواضيعه البارزة ومنها التي طفت على سطح النقاش التشريعي والجنائي والحقوقية خلال السنوات الأخيرة، كالمساواة والحريات الفردية ونبذ كافة أشكال الميز، هي بدورها مرتبطة بتطورات المجتمع وتفاعلات القوى والمشاريع والخطابات التي يعرفها، وعلى رأسها خطاب التيارات الإسلامية المحافظة من جهة،

وخطاب التيارات والقوى الديمقراطية والحقوقية والليبرالية من جهة أخرى، مما يؤكد أنه بدوره يثير في العمق إشكالا ونقاشا هوياتياً واضحاً.

لهذا فإن سؤال الهوية على المستوى المنهجي والمعرفي الخلفية الناظمة للدراسات الفكرية التي تتضمنها هذه الدراسة، وذلك من تأسيس نظري وتناول تحليلي ونقدي لخطاب الحركة الأمازيغية والخطاب السياسي الملكي والتيار الحقوقي المناصر للحريات والتعاطي الرسمي للدولة، انطلاقاً من أهم المفاهيم والكتابات والمقولات الخطابية والمرجعية المعرفية والاجتماعية التي تنبني عليها، وكذا الأحداث والنقاشات التي صاحبته تناميها وحضورها في فضاء المجتمع والحياة الثقافية والسياسية خلال السنوات الأخيرة.

وإذا كانت القضايا التي ترتبط بنقاش الأمازيغية والحقوق والحريات هي كبرى الأسئلة والخطابات والمشاريع الاجتماعية والثقافية التي برزت منذ نهايات القرن العشرين وشكلت عصب النقاش السياسي والحقوق في المغرب ودول شمال إفريقيا والشرق الأوسط، فإنها في عمقها ومضمونها هي أسئلة فكرية تلتقي في محورها حول موضوع الهوية والتحديث انطلاقاً من مرجعيات ومقاربات وأهداف مختلفة بل ومتباينة. وهذا ما يؤكد أهميتها المنهجية والتحليلية في فهم واستيعاب طبيعة ومقومات هذه الخطابات والمشاريع التي تحملها، من جهة، وإضاءة ونقد جوانب أساسية من تحولات المجتمع والقوى المؤثرة فيه، وممكنات تطورها ومساهماتها في البناء الديمقراطي والتنمية والتطور الثقافي والحقوق في الراهن والمستقبل.

أهمية الدراسة:

يبقى موضوع الهوية الأمازيغية من المواضيع الرئيسية في الساحة المغربية وخاصة لارتباطها بالخطاب السياسي إذ يطرح الخطاب عادة؛ باعتباره مجموعة من المفاهيم والتصورات التي تتمظهر في نصوص و(كلام وكتابة وغيرها بشمله لكن إنتاج

ذهني سواء أكان منطوقا أو مكتوبا فرديا أو جماعيا، ذاتيا أو مؤسسيا) بهدف الوصول إلى أهداف معينة أو بدائل عن وضعية بعينها أو مجموع القضايا المطروحة على الساحة السياسية، وقد يتماهى الخطاب بين الدعوة إلى الإصلاح عبر آليات قانونية مؤسساتية من خلال العمل على حشد وتوجيه الرأي العام الحامل لهم إيجاد وضعيات أفضل، أو الدعوة إلى انقلاب كامل أو جزئي عن المنظومة السائدة، انطلاقا من مفاهيم تجد في بعض التجارب والمرجعيات أسسها النظرية.

والخطاب السياسي الذي نريد طرحه هنا، لا يبتعد كثيرا عن هذه الاتجاهات العامة، وإن كان متميزا بانطلاقة من بعض المعطيات/القيم المغيبة داخل النسق السياسي الوطني، وبخاصة في هذه الفترة بالذات أي حكم "محمد السادس"، حيث نرى انفراج ملحوظ وبروز جاد للتيار الأمازيغي في المملكة المغربية بشكل يلفت النظر إلى محاولة فهم والتطلع أكثر إلى مدى ارتباط الخطاب السياسي الذي يبقى حكرا مخزنيا على الهوية الأمازيغية التي ظهرت بقوة بعد إعطاء مصداقية وخطاب مفتوح عما كانت عليه من قبل أي فترة حكم "الحسن الثاني".

تهتم الدراسة كذلك إلى المساهمة في التحليل العلمي للعلاقة القائمة بين الحركة الأمازيغية في شكلها الثقافي مع الخطاب السياسي السائد، وكيف أن هناك أخذ ورد كبير خاصة في الفترة الأخيرة، وكذا تحليل العناصر المشتركة أو المتميزة بينهما.

إشكالية الدراسة:

تمحورت إشكالية الدراسة حول التساؤل الرئيسي:

ما مدى تأثير المسألة الأمازيغية وتأثرها من الخطاب السياسي في المملكة المغربية؟

ولدراسة ومعالجة هذه الإشكالية استوجب طرح عدة تساؤلات:

➤ ما هي الخلفيات والأسباب التاريخية والسياسية للمطالب الأمازيغية في المملكة

المغربية؟

- كيف تتعامل مختلف الأطراف السياسية مع الطرح الأمازيغي؟
- كيف يمكن تحويل الخطابات الثقافية في المغرب إلى مشروع مجتمعي يشتمل على قدر من عناصر الانسجام الهوياتي؟
- هل الخطاب الثقافي الأمازيغي في المغرب استطاع أن يدمج في الخطاب السياسي؟
- إلى أي حد استطاعت استراتيجية العمل بجناحين (سياسي وثقافي) فرض نفسها ضمن الاستراتيجيات المطروحة داخل الحقل الأمازيغي؟

فرضيات الدراسة:

- تنشط الحركة الأمازيغية ضمن هامش ثقافي فقط لا يسمح لها بالفعل السياسي المباشر.
- النظام المخزني في خطابه السياسي يريد بالعودة للقضية الأمازيغية إلى الحالة الثقافية.

أسباب اختيار الموضوع:

من بين أهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع لقناعات ذاتية عميقة لأهمية الهوية الأمازيغية والمسألة أو القضية الأمازيغية بشكل خاص.

وتطمح الأطروحة أيضا لهذا البحث أن تبرهن على أن الحركة الثقافية الأمازيغية، هوية تستخدم أساليب التعبئة الهوياتية للتأثير على الخطاب السياسي، إذ شكلت علاقة الحركة الأمازيغية مع مختلف المكونات والقوى السياسية والاجتماعية والثقافية أحد العناصر المحددة للمسألة الأمازيغية بالمغرب، حيث أثرت طبيعة العلاقة والتحويلات التي عرفتها بحسب كل مكون في بلورة أبعاد الإشكال الأمازيغي، سلبا وإيجابا، كما يصعب فهم واستيعاب التطورات التي شهدتها الحركة الأمازيغية، وإن على مستوى الأطروحات والاستراتيجيات المتداولة والصادرة عنها بمعزل عن دراسة

هذه العلاقة، وضمنها العلاقة بينها وبين الخطاب السياسي، حيث ان دراسة وتحليل مستقبل العلاقة بين كل من التيار الأمازيغي والخطاب السياسي تمثل أحد مداخل مستقبل الملف الأمازيغي بالمغرب ككل.

فدراسة هذه العلاقة بين كل من المتغيرين، تمثل مدخلا تحليليا أساسيا في فهم أبعاد التدافع الثقافي والاجتماعي الراهن بالمغرب، وتفكيك مساراته واستشراف مآلاته.

المقاربات المنهجية:

يعد المنهج مسألة أساسية في جميع العلوم المعرفية، حيث أنه الطريق الذي يسلكه الباحث أو المفكر إلى الوصول للهدف الذي يرسمه، فالمنهج هو الأسلوب، وأسلوب منطقي ملازم لكل عملية تحليل ترتدي الطابع العلمي، وفي هذه الدراسة لزم استعمال عدة مناهج أساسية لفهم الظاهرة وتحليلها وارتباطها بالخطاب السياسي.

منهج تحليل المضمون؛ يقوم المنهج على أساس قراءة للخطاب محل التحليل ثم تشكيل انطباع عنه، ليتم تحديد المفاهيم أو الفئات الأساسية من داخل النص نفسه، ثم مرحلة التحليل الكمي أو عدد تكرار هذه المفاهيم وفي النهاية يقوم المحلل باستخلاص النتائج عبر الحصر الكمي واستخلاص الدلالات.

منهج دراسة حالة، يقوم منهج دراسة الحالة على التعمق في دراسة وحدة معينة حتى يتمكن من احراز النتائج المرجوة وذلك برسم صورة معممة وواضحة عن الوحدة أو الحالة موضوع الدراسة، وهو ما يتناسب وموضوع الدراسة بيد أننا نصبو من خلال معالجتنا لهذا الموضوع إلى التركيز على حالة المملكة المغربية بشكل أساسي إذ يشكل جزء مهم من سكانها على نسبة كبيرة من الناطقين بالأمازيغية، وكذا تسارع التحولات السياسية في الخطاب الملكي خاصة بعد الملك الحسن الثاني وتولي الحكم الملك محمد السادس.

بالإضافة إلى الاستعانة بالمنهج التاريخي؛ إذ يقوم هذا المنهج على جمع المعلومات التاريخية كمصادر أساسية لبياناته، وإدخال عامل الزمن في جميع مقومات تحليل الخطاب السياسي لمختلف الأحداث التاريخية.

الدراسات السابقة:

عند مراجعة الأدبيات السابقة تم التوقف عند بعض الدراسات المهمة أذكر منها:

1. كتاب سياسة تدبير الشأن الأمازيغي بالمغرب، لأحمد عصيد، منشورات المرصد

الأمازيغي للحقوق والحريات؛ يتناول هذا الكتاب محطات مهمة عن الحركة

الأمازيغية في المغرب من جذور القضية إلى مختلف عناصر الخطاب الأمازيغي

الجديد، وكذا التحليل النقدي في اناول مختلف الوثائق والوقائع.

2. كتاب آخر لأحمد عصيد، رسائل إلى النخبة المغربية في الأمازيغية والدين

والسياسية، منشورات إدكل للطباعة والنشر؛ يضم هذا الكتاب مجموعة من

الرسائل المفتوحة، التي نشرت في الصحافة المغربية والتي وجهت عدد من

المتقنين والسياسيين في مناسبات خاصة تمت الإشارة عليها في تقديمات الرسائل

المنشورة، وتشغل هذه الرسائل العقد الأخير الذي يمتد من 1999م إلى 2010م،

وهي رسائل في قضايا الأمازيغية والدين والسياسية، وتكمن أهميتها في أنها

تعكس تطور النقاش العمومي بالمغرب في هذه القضايا كما تثير من الأسئلة

والإشكاليات ذات الصلة بالفكر المغربي وبالسياسات العمومية وبعوائق الممارسة

في المجالات المشار إليها.

3. معارك فكرية حول الأمازيغية من تأليف مجموعة من الباحثين، منشورات مركز

طارق بن زياد؛ وهو عبارة عن مجموعة من المقالات منشورة في الجرائد

والمجلات لكاتبها كا "محمد شفيق" و"علي صدقي أزايكو" و"حسن أوريد"

وغيرهم، وهي مقالات التي كان لها التأثير في مسار الحركة الثقافية المغربية

من حوالي سنة 1982م إلى غاية سنة 2002م، ويضم الكتاب أيضا أسلوب الأعمدة في كتابة المقالات أي تركها على شكلها الأصلي.

4. كتاب الخطاب والسلطة لـ "توين فان دايك" ترجمة غيداء العلي، مراجعة وتقديم عماد عبد اللطيف، منشورات المركز القومي للترجمة، يضم هذا الكتاب مجموعة من الدراسات المؤثرة في مسار تحليل الخطاب، والتي تعالج جملة من القضايا الاجتماعية-الخطابية المهمة، من أبرزها: النصرية، وتحديد التمييز والتحيز ضد الأقليات العرقية مثل السود والمسلمين وغيرهم، وضد المهمشين مثل المرأة والفقراء، والتلاعب السياسي الذي تمتعنه الدول الكبرى لتبرير عدوانها على شعوب الدول الصغرى أو المستضعفة أو لإضفاء الشرعية على الحروب غير العادلة، مثل الحرب الأمريكية على العراق، والهيمنة التي تمارس في فضاءات السياسة والإعلام والتربية، ودور الخطاب في إنجازها ومقاومتها، والأدوات التي يمكن أن تسهم في إنتاج خطاب سياسي وإعلامي وثقافي وتربوي خال منها. ويبحث الكتاب في سبل السيطرة على منافذ الخطاب أو مداخله مثل (من له حق الكلام؟ وكيف؟، والسيطرة على عمليات توزيع الخطاب واستهلاكه، وتوجيه التأويلات الممكنة له. كما يتناول الدور الذي تمارسه النخب السياسية والثقافية والتعليمية وغيرها في دعم خطابات السلطة، وفي إحكام السيطرة على الخطاب العام، بهدف خدمة الجماعات والمؤسسات المهيمنة. ولا يغفل الكتاب في مقارنته للخطاب توظيف مفاهيم إدراكية وتفاعلية بهدف تحقيق فهم أفضل للعلاقة بين الخطاب والمجتمع.

5. كتاب الثقافة الأمازيغية والعيش المشترك دراسة في الثقافة والقيم، لـ رشيد

الحاحي، المنشورات الجامعية الأوروبية بألمانيا، 2020. L'Amazigh et le

vivre ensemble, Essai sur la culture et les valeurs

وهو دراسة فكرية تحليلية في بعض حوامل الثقافة الأمازيغية التي تعود جذورها إلى مئات السنين وفي الخطاب الثقافي الأمازيغي المعاصر، وانطلقت من معطى أساسي مفاده أن الأمازيغية، باعتبارها لغة وثقافة وخطاب هوياتي واجتماعي، كما يؤكد ذلك العديد من المنتبعين والفاعلين السياسيين والثقافيين، تحظى بحضور بارز كمكون حي ومتجدد وسؤال أساسي في سياق الديناميات الاجتماعية التي يعرفها المغرب، وكافة دول شمال إفريقيا، منذ عشرات السنوات. وقد استخدم الباحث المقاربة التحليلية والتأويلية، حيث عمد إلى تحليل مجموعة من الأسناد والمواد الحاملة للثقافة والخطاب، بما في ذلك التراث القانوني الأمازيغي أو ما يعرف بالعرف، والممارسة الدينية في الوسط الاجتماعي الأمازيغي، من خلال منظور أنثربولوجي تأويلي يستند إلى العلوم الإنسانية الأنجلوسكسونية، ثم تحليل الخطاب الأمازيغي المعاصر من خلال بعض انتاجات الباحثين الفكرية والعلمية، والوثائق الأساسية التي ميزت المسار المطلبي والترافعي للفاعلين الأمازيغ منذ أكثر من أربعين سنة، وكذا الانتاجات التشريعية المنظمة للعمل المدني الأمازيغي من خلال تحليل القوانين الأساسية لأربع منظمات كبرى وهي الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، الجامعة الصيفية، منظومة تماينوت والشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة، وأنشطتها وممارساتها الثقافية والمدنية في فضاء المجتمع.

حيث ينظر لموضوع الكتاب لنقطتين أساسيتين. الأولى اعتبار الكاتب (رشيد الحاحي) كفاعل في المجتمع المدني الأمازيغي وباحث في الشأن الثقافي، والثاني بأن التقدم في المسار الديمقراطي والحقوق وتمكين الأمازيغي من وضع مؤسساتي جديد يمكن من النهوض بها وإدماجها في مجالات الحياة العامة، وكذا التقدم في مشروع التحديث وتطوير منظومة القيم. وقد امتزج في هذا الكتاب بين دراسة تجليات حضور العيش المشترك في المظاهر والممارسات الثقافية الأمازيغية وبين

إقامة حفريات في الخطاب الأمازيغي في المغرب الحديث- بوصفه خطابا سياسيا - وهي مظاهر وخطابات ظلت دوما موضوعا لتأويلات متصارعة، يذهب بعضها إلى أن هذا الخطاب مفارق للوقائع الثقافية.

تقسيم الدراسة:

بالنسبة لخطة تنظيم البحث فقد تم تقسيمه لأربعة فصول أساسية، حيث بعد المقدمة أتناول في الفصل الأول الإطار النظري والتاريخي للدراسة. فمن خلال هذا الفصل نتعرف على أبرز المفاهيم التي يقوم عليها البحث مثل ماهية الخطاب السياسي، وماهية الاتصال وارتباطه بالاتصال السياسي، وأيضا التطرق للجذور التاريخية للأمازيغية. الفصل الثاني تناول مراحل تحول المسألة الأمازيغية من التوجه الثقافي إلى التفعيل السياسي، حيث نحاول أن نبين المسار الفعلي للمسألة الأمازيغية من بدايتها كفعل ثقافي هوياتي إلى الوصول بها كممارسة سياسية للاحتواء والتعبير عن أزمة هوية وكذا موقف النخب الوطنية من المسألة الأمازيغية حيث تم حصرها في الأحزاب السياسية ومختلف المؤسسات التي ساهمت وأثرت على مسار التوجه الأمازيغي من الثقافي إلى السياسي كالجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وأخيرا التدبير الثقافي السياسي للاتجاه اللغوي الأمازيغي.

أما الفصل الثالث؛ بعنوان مضمون الخطاب السياسي بالمغرب وارتباطه بالمسألة الأمازيغية، سنحاول ملامسة خطاب الهوية في تصور النظام السياسي بداية مع خطاب الحركات الثقافية الأمازيغية. ثم من خلال محطتين بارزتين للملك الحسن الثاني؛ الأولى بمناسبة ندوة صحفية كانت مطبوعة بالصراع القائم بالجزائر بين الحركة الأمازيغية ونظام الحكم، والثانية في خطاب له بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب 20 أوت 1994. أما بخصوص الملك محمد السادس، فإننا سنعتمد على خطابي العرش وأجدير وكذا الظهير الملكي المنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، فضلا عن بعض الاستجابات

الصحفية التي تناول فيها الملك هذا الموضوع. حيث نقوم بتحليل مجموع الخطابات المرتبطة بالمحطات الأساسية للمملكة ونعتمد في هذا التحليل الكمي الذي يتناول منهج إحصاء المفردات وهو بذلك يسمح بإجراء مسح أولي للنص باستخراج قائمة محددة من مفردات الخطاب وسياقه ثم نقوم بالتحليل بالاستشهاد الحرفي بالنصوص لمصادر الخطاب السياسي قيد التحليل.

الفصل الرابع والأخير؛ بعنوان الرهانات الاستراتيجية للحركة الأمازيغية وركزنا على أهم المحطات التي سائرت التحول المطلبي الهوياتي في المغرب في الآونة الأخيرة بالتدقيق على التحديات السياسية بعد مظاهرات الحسمية سنة 2016 كمحطة حاسمة تبرهن على أزمة هوية حديثة بمطالب مختلفة عن مسار الحركات الثقافية الأمازيغية. ثم رهان الأيديولوجيا الرسمية للدولة المغربية وذلك بضرورة الضغط على تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية وتجسيد التزامات الحكومة والمطالبة بالتدرج في إدماج الأمازيغية في مجالات الحياة العامة ذات الأولوية. وصولاً في الأخير للمبحث الثالث في هذا الفصل بعنوان التحديات والمسارات الجديدة للحركة الأمازيغية و هنا تم التركيز على جبهة العمل الأمازيغي كأرضية جديدة لفتح النقاش السياسي الهوياتي؛ وهي مبادرة جماعية خلقت من قبل مجموعة من فعاليات الحركة الأمازيغية تسعى إلى توسيع فضاءات النقاش العام حول حتمية الحسم في سؤال المشاركة السياسية المباشرة بأفاهة التنظيمية والمؤسسية والغاية هي ضمان وتيرة قوية للعمل الأمازيغي داخل المؤسسات. وأخيراً رهانات الخارج وتأثيرها في التعاطي مع الأمازيغية والتركيز هنا على أهم حدث والمتمثل في التطبيع المغربي مع "إسرائيل" وموقف وعلاقة الحركة الأمازيغية من ذلك.

يختم البحث بخاتمة نوضح فيها أهم الاستنتاجات المتوصل إليها من جميع الفصول السابقة، وبعض التوصيات الخاصة بإشكالية الدراسة.

الفصل الأول: الإطار النظري والتاريخي للدراسة

تبرز مفردة الخطاب Discourse كواحدة من أكثر المفردات المفتاحية شيوعاً اليوم في التأليف السياسي بعد انتشارها في المقاربات الأدبية والاجتماعية والثقافية. وفيما يخص التأليف الفكري والسياسي العربي المعاصر كان للمفكر المغربي الراحل محمد عابد الجابري الإسهام الأكبر من خلال كتابه "الخطاب العربي المعاصر" في جعل مفردة "الخطاب" تستقطب حضوراً مركزياً في تناول العربي العام للقضايا السياسية والفكرية. استعمل الجابري الخطاب كمفهوم إبستمولوجي جامع لمجمل توجهات الفكر العربي منذ عصر النهضة متأثراً ببروز هذا النوع في صياغة مفهوم الخطاب في حقل فلسفة العلوم والنقد البنيوي للماركسية التقليدية وما صاحبها من مفاهيم مثل القطيعة الإبستمولوجية، و"القراءة التشخيصية" ولا شك أن ذلك كان محاولة تجديدية لأدوات التحليل السياسي العربي تستحق الإشادة رغم تقادمها من منظور التحليل السياسي المعاصر. ما يهمنا أن مصطلح الخطاب سرعان ما تسرب إلى التداول العام بصورة أضفت الغموض والالتباس على دلالاته وأدت إلى التعمية على حدود توظيفه في مجال التحليل السياسي. ولعل السبب الرئيس في هذا الالتباس ينبع من عدم الاهتمام بالإلمام بالحاجة النقدية التي دفعت إلى اجتراحه، الأمر الذي يبرز الحاجة إلى توضيح الخلفيات المنهجية التي تكمن وراء بروزه كأداة تحليلية في المجال السياسي.

وفي هذا الفصل النظري والتاريخي، تم التطرق في المبحث الأول إلى ماهية الخطاب السياسي تناولنا فيه تعريف الخطاب السياسي وتحليل الخطاب السياسي، المبحث الثاني المقاربات النظرية للتواصل السياسي ويحتوي على مطلبين؛ الأول ماهية الاتصال وارتباطه بالاتصال السياسي والثاني نظريات الاتصال، والمبحث

الثالث و الأخير تم التطرق إلى الجذور التاريخية للأمازيغية في ثلاث مطالب أساسية؛
الأول الجوانب الاشتقاقية لمصطلح الأمازيغية ثم تاريخ وأصل الأمازيغ وأخيرا اللغة
أو اللهجات الأمازيغية.

المبحث الأول: ماهية الخطاب السياسي

الخطاب السياسي من أقدم أنواع الخطابات، واعتبر منذ القدم أداة الاتصال
السياسي، تقوم من خلالها السلطة الحاكمة باقناع الشعوب المحكومة بضرورة الولاء
والطاعة والخضوع التام لحكامهم، ومن أشهر الخطباء القدامى "شيشرون Cicero" في
عهد جمهورية روما، أما في العصور الوسطى في أوربا، فقد تولت الكنيسة زمام الأمور
وباتت الغلبة للخطاب الديني الكنسي، وأما الخطاب السياسي فقد كان محصورا في
قصور الملوك .

غير أن عصر النهضة قلب الأمور رأسا على عقب، فبدأت الشعوب الأوروبية
تثور لتحاول الخروج من الظلمات التي عاشت فيها لعقود طويلة، و على رأسها الثورة
الفرنسية التي أخرجت الخطاب السياسي إلى الشارع، و أوجدت ما يسمى "الخطاب
الثوري"، و هو خطاب سياسي باتجاه معاكس لما كان عليه ، أي خلافا لما كان سابقا
خطابا سياسيا سلطويا يوجهه الحاكم إلى المحكومين بات خطابا ثوريا موجها من
المحكومين إلى الحكام معبرين لهم عن رفض سلطتهم و ظلمهم و الواقع المأساوي الذي
يعيشونه مطالبين بالتغيير و الثورة على ما هو سائد، و منه جاءت تسمية "الخطاب
الثوري"، و لا يزال الخطاب السلطوي يواجه الخطاب الثوري إلى يومنا هذا، فالخطاب
السلطوي قائم مادامت السلطة قائمة، والخطاب الثوري موجود مادام هناك رفض لهذه
السلطة و دعوة إلى التغيير .

ومع اشتداد الصراع السياسي في عصر أصبح فيه التسابق على السلطة محموماً، وأصبح الشغل الشاغل للبعض فرض السياسات والإيديولوجيات على المستضعفين من بني البشر، باتت الخطابات بمثابة عتاد عسكري يدخل به الساسة الحروب شأنها شأن الدبابات والمدافع والطائرات الحربية، وأصبحت القنوات التلفزيونية تتهافت على المحللين السياسيين كي يقوموا بفك شفرة الخطابات والوصول إلى عمقها ومعناها الضمني .

إن الحديث عن المعنى الضمني ضروري حين يتعلق الأمر بالخطاب السياسي، فالمعاني الضمنية أهم بكثير من المعاني المصرح بها، وكما تقول العرب " التلميح أبلغ من التصريح " حيث يعتمد الرجل السياسي في كثير من الأحيان إلى تبطين خطابه بالمعاني المراد تبليغها لعدة أسباب قد تكون في بعض الأحيان عدم القدرة على كسر الطابوهات الموجودة في المجتمع أو في أحيان أخرى التنصل من مسؤولية هذه المعاني الضمنية إذا تحتم الأمر .

وتعتبر المعاني الضمنية أساليب حجاجية في الخطاب السياسي والمقصود بالحجاج هو سعي المتلفظ إلى التأثير على المتلفظ المشارك، والمتلفظ هنا هو الرجل السياسي أما المتلفظ المشارك فيشمل كل من يقرأ أو يستمع إلى الخطاب، وجاءت تسمية المتلفظ المشارك من منطلق البعد التفاعلي للخطاب، أي أن كل من المتلفظ والمتلفظ المشارك يتشاركان ويساهمان في بناء الخطاب .

يحكم النظام المرجعي للخطاب السياسي مستويان: الأول وتشكله المنطلقات الأساسية المهيكل للخطاب وهو بمثابة الإطار الفكري الشامل لمبادئ عامة تحدد المواقف والآراء وأساليب العمل بالنسبة للمارس السياسي، بل ويضفي من خلالها صبغة الشرعية على حركته السياسية أما الثاني فهو مرتبط بالإحالات المستعملة من طرف السياسي

قصد تدعيم فكرة أو تبرير موقف أو تأكيد إيجابيات أسلوب عمل معين أو إبراز سلبيات الخصوم¹.

إن الخطاب وتحليله بات من المصطلحات المهمة في العلوم الاجتماعية والثقافية؛ إنه يغطي مساحة كبيرة من الصياغات الاجتماعية و الثقافية والسياسية للمجتمع، ويتعامل مع الطريقة التي تعمل بها اللغة من أجل دمج الإنسان بعالمه المحيط به، ومن ثم فدراسة الخطاب هي دراسة اللغة في فعلها من خلال النظر إلى هذه الخطابات داخل سياقاتها الاجتماعية².

¹ عبد الناصر فتح الله، صفقوا لخطبة الزعيم الاتصال السياسي في المغرب، مطبعة أمبيرال، المغرب، 2002، ص156.

² يساهم الخطاب السياسي في تكوين وحدة المجتمع الحديث إذ نجد أطروحة تركز على ثلاث مظاهر رئيسية لمساهمتها في إنتاج المجتمع وهي: إنتاج الفضاء، إنتاج الجماعة وإنتاج القوة، إنتاج الفضاء: في المجتمع الحديث، تبرز الدولة كفضاء مركزي وطني له مركزية سياسية ولضمان وحدة المجتمع تتدخل عبر قوانين وقواعد (الحواجز الجمركية، و وحدة العمل ، وضبط قواعد المنافسة)، إن مبدأ الحدود الترابية من شأنه تسييس العلاقة بالأرض ضد أي عامل أجنبي، مما يخلق علاقة حميمية بين الجماعة الوطنية والفضاء، كما يستوعب ذلك من خلال المواطنين بمثابة ملكية جماعية بين الأمة والأرض...ونلاحظ في الأخير، أن التمثيل للفضاء يظل دائما محركا حيويا للنقاش السياسي يترتب عنه وبوازيه إنتاج الجماعة الوطنية ويولد علاقات القوة في الدولة الحديثة.

إنتاج الجماعة: استندعت بنية ووظائف الدولة الحديثة شكلا جديدا للجماعة (الأمة) حيث أصبحت ضرورة التجانس المجتمعي مصيرية لضمان سير أجهزة الدولة ونسيجها الإقتصادي وخطها الثقافي، فالأمة ضامنة لشرعية السلطة السياسية، لذا يُنتج المجتمع أو الجماعة عبر مجموعة من الممارسات الرمزية والاقتصادية والسياسية والإيديولوجية التي تعبر جميع الأجهزة المجتمعية: من الاقتراع العام إلى المدرسة، من الرياضة إلى الأدب. يلعب الخطاب السياسي دور المؤسسة اللسانية الحاملة لرسالة الشرعية، إذ يساهم في تمثيل الأمة-بما أنها دعامة- ضدا على كل نزعة انفصالية أو إقليمية.

إنتاج علاقات القوة: لا يظل هاجس الخطاب السياسي منساقا وراء الهدف الوحدوي للمجتمع فقط، إذ اقتضت السيرورة المؤسسية السياسية أن يكون هذا المجتمع نتيجة علاقات قوة، قد يبدو هذا متناقضا مع حاصل تجانس الأمة، لكن عملية تصريف الصراع بين المصالح-ومن ثم القوى-من أسرار وجود الخطاب السياسي الحديث بهذا الشكل...حيث

كما أن الخطاب³ السياسي الناجع والفعال يحترم الثقافة الجماهيرية المبيّنة على تكرار المضامين والخطابات الإيديولوجية ومحو التناقضات، لكن مع تغيير الأشكال السطحية، وذلك عبر نزع الصفة السياسية عما يبدو "سياسيا"، وإضافتها على ما ليس كذلك؛ وهو ما يعتبر تضليلا سياسيا مساعدا على نشر الوعي الخاطيء وإيهام الجماهير،

تصدر التراتبية المجتمعية عن إرادة متعالية غير قابلة لا للنقاش ولا للاحتجاج، في حين يولد التقسيم المجتمعي الحديث ويمثل الصراع بل ينتجه.

...في الوقت ذاته، يتشكل وعي سياسي جماعي بين كل الأطراف والجماعات الضاغطة داخل الوطن الواحد، يمثل الخطوط الحمراء التي تحفظ في البنية الذهنية لكل الفاعلين السياسيين بمثابة (مقدس) سياسي لا يناقش، الذي من أهم مقوماته وحدة الوطن والأرض والتاريخ والهوية الثقافية.

³ الخطاب: كوحدة لسانية بأبعادها العليا عن الجملة، أي بصيغة عامة رسالة Message

الخطاب: في هذه الحالة هو ما يدخل في التحليل اللساني باعتباره مجموعة من القواعد عبر تسلسل المتواليات المكونة للجملة المكونة للمنطوق.

الخطاب: وهو هنا ما ينطق عليه في المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب "المكتوب" وذلك في تعارض مع "المنطوق"، وللخطاب في هذا الإطار تعريف واقعي.

الخطاب: هنا ينصب على شكلانية النص بالمعنى الضيق للخطاب ملقي ومتلقي بهدف تأثير الأول على الثاني.

الخطاب: في هذا المعنى ما يتعارض مع اللغة بشكل قاطع.

وقد حددت البلاغة اليونانية خمسة مبادئ أو بالأحرى مراحل للخطابة؛ هي الابتكار (الإيجاد) invention والترتيب arrangement والأسلوب style واستراتيجيات التذكر memory والإلقاء delivery، نُظر إليها أحيانا بوصفها مبادئ أساسية للخطاب. تحدث أرسطو في كتاب "الخطابة" عن الابتكار والأسلوب والترتيب. لكن وضع المبادئ الخمسة في نسق واحد، وإعادة ترتيبها بحيث يسبق الترتيب الأسلوب كان من عمل بلاغيين لاحقين غير محددين. مهما يكن من أمر، فإن أقدم نص وصل إلينا، ويتناول هذه المبادئ الخمسة معا بترتيبها الراهن، هو النص الوارد في كتاب "Rhetorica ad Herennium"، الذي نُسب لشيشرون طويلا ثن تبين أنه لمؤلف مجهول فيقدم تعريفا ملخصا دقيقا لهذه المبادئ على النحو: "يجدر بالمتكلم أن يجوز مهارات الابتكار والترتيب والأسلوب والتذكر والإلقاء. والابتكار هو إيجاد حجج حقيقية أو مستحسنة تجعل القضية مقنعة. والترتيب هو تنظيم هذه الحجج وتوزيعها (في الخطبة)، وتحديد الموضوع الدقيق لكل حجة. أما الأسلوب فهو تكيف الكلمات والجمل مع الحجج المختارة. واستراتيجيات التذكر هي الاحتفاظ الصارم بالحجج والكلمات والترتيب في الذاكرة. والإلقاء هو الإخراج الأنيق للصوت والتعبيرات والإشارات" هذه المراحل الخمس طُبقت على كم هائل من الخطب والنصوص، وما تزال تُطبق على الخطابة السياسية في الوقت الراهن. أنظر: محمد مشبال، بلاغة الخطاب السياسي، ص 65.

وذلك عبر سحر اللغة⁴؛ التي تعتبر مؤسسة جماعية ذات قواعد تفرض نفسها على الأفراد، وتتناقل بطريقة جبرية من جيل إلى آخر... لأنها حاملة لتقاليد السنين.

ويسهر على عملية الإنتاج هذه المختصون في الإنتاج الرمزي الذي يدور حول احتكار (العنف الرمزي) ويسعى على سن أدوات اعتبارية لمعرفة الواقع الاجتماعي والتعبير عنه.

والخطاب السياسي الرسمي يتميز في مضمونه وإلقائه عن باقي الخطابات⁵، كما يتوقف على المقام الاجتماعي للمتكلم (عاهل، ملك، فقيه، أستاذ جامعي، مناضل، فنان، عاطل...) ذلك المقام الذي يتحكم في مدى نصيبه من لغة المؤسسة واستخدام الكلام الرسمي المشروع، كما أن لهذا الخطاب الرسمي طقوسه الخاصة به⁶، وهي مجموع القواعد التي تتحكم في شكل المظهر العمومي للسلطة ومراسم الاحتفالات والبروتوكولات؛ وهي من بين الأدوات التي تعطي للخطاب الرسمي المشروعية والقوة وتؤمن له النفوذ، وذلك وفق شروط اجتماعية لإنتاج وإعادة إنتاج ثقافة سياسية سائدة ومهيمنة بلسان مشروع والعمل على الاعتراف به داخل كل الطبقات الاجتماعية⁷.

⁴ رولان بارت ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحار، لذة النص، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ط1، 1988، ص ص 45-47.

⁵ Frederic Bon: Les discours de la politique, Editeur:Economica,1991, Paris, France, p 43.

⁶ ومثال هذه الطقوس الخاصة بالخطاب الرسمي بالمغرب على صعيد المؤسسة الملكية، لا يبدأ الملك في إلقاء خطاب العرش إلا بعد النشيد الوطني ووقوف المستمعين له وعندما يختم الملك لا ينصرف إلا بعد النشيد الوطني حيث يظل الجميع واقفين، وكذلك عند تعيين الملك للموظفين في المناصب العليا فيتم ذلك وفق بروتوكول عريق يتم فيه تقبيل ظهير التولية.

⁷ عبد الرحمان شحشي، قراءة في الخطاب عند الحسن الثاني تحليل آليات الاشتغال في الحقل الديني والسياسي، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 2007، ص18.

وهذا البعد البرغماتي في الاتصال السياسي عبر قناة الخطاب السياسي الرسمي؛ يهدف إلى الإقناع مع التضييل، والإخبار مع القيادة والتفاوض مع السيطرة؛ المهم في هذا البعد ليس مضمون الرسالة ولا بنية النظام التواصلي، وإنما شكل العلاقة الاجتماعية التي تسعى على الهيمنة⁸.

وبالتالي فالسؤال المحوري هو ليس (من يتكلم؟) وغنما (كيف يتكلم؟)؛ أي تحليل الآليات التي تختفي وراءها السلطة وتحاول بواسطتها الاستحواذ على (النص) باعتباره الخطاب الأكثر رواجاً والأقل إلزامية، وذلك قصد استغلاله وتوجيهه أو قصد التخفيف من حدته⁹.

المطلب الأول: تعريف الخطاب السياسي

الفرع الأول: مفهوم الخطاب

خضع مصطلح الخطاب للتبني النظري، لذا فالبحث في الجهاز المفهومي لهذا الأخير يتطلب تبني طروحات عديدة ضمن دائرة العلوم الإنسانية وخصوصاً دائرة المعرفة الأدبية واللسانية والنقدية، أو ما يعرف بنظريتي "الأدب والنقد". ومن باب الأمانة نشير إلى أن المصطلح حظي باهتمام كثير من الدراسات التي اختلفت أشكالها وتباينت آراؤها وتصوراتها تبعاً لتعدد المجالات المعرفية التي اهتمت بالمصطلح، وذلك لكثرة ما قيل في شأن الخطاب. وواقع هذا شأنه يؤكد أن التحديد النهائي للمفهوم يظل

⁸ عبد الله أوغبال، "أشكال وقنوات الاتصال السياسي في البادية المغربية"، (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الإعلام والاتصال، معهد علوم الإعلام، الرباط، المغرب، 1997)، ص 7.

⁹ عمر أوكان، النص والسلطة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط الأولى، 1991، ص ص 11-15.

مستعصيا. وعلى هذا الأساس سنحاول استقصاء دلالات هذا المصطلح في الفكرين العربي والغربي، بغية الاقتراب أكثر من مدلول الخطاب وماهيته.

1. في الثقافة العربية؛ تؤكد الدراسات التي عُنيتُ بتأصيل مصطلح الخطاب أن الأخير يتصل بـ "علم الأصول"، لذا فالدلالات المرتبطة بالمصطلح ظلت "مقيدة بإجراءات ذلك الحقل مباشرة"¹⁰. ومادام هذا الحقل أشمل وأوسع مما نتصور، بالنظر إلى أهم قضايا القرآن والحديث واللغة والكلام تعود إليه، فإنه يصعب حصر ممارسة مصطلح الخطاب في هذا الحقل الذي اصطدمت فيه الرؤى بالغيا في الجهاز الاصطلاحي للخطاب.

نقرأ في لسان ابن منظور تحت مادة (خطب) "...الخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال (...). والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان. وفصل الخطاب: أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده (..) والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب (...). والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر (...). والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة"¹¹.

يفهم من تعريف ابن منظور أن الخطاب يُستعمل مرادف للكلام، وهو محصور ببداية ونهاية، واللافت أيضا في تعريف صاحب اللسان هو الإشارة إلى خاصية التفاعل التي تستلزم من دون شك طرفين على الأقل يدخلان في

¹⁰ عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1999، ص 163.

¹¹ ابن منظور، الإفرقي لسان العرب، مج 5، دار صادر، ط3، بيروت، 2004، مادة (خطب)، ص ص 97-98.

تفاعل بينهما بالخطاب. ونجد التحديد نفسه تقريبا في القاموس المحيط
"للفيروز آبادي، فالخطاب عنده يمثل الكلام"¹².

وفي معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس، نجد تحديدا يعزز ما توصلنا إليه من
تعريف ابن منظور، يقول في مادة(خطب)"الحاء والطاء والباء أصلان:
أحدهما الكلام بين اثنين"¹³. إن الخطاب بمفهوم ابن فارس هو الكلام المتبادل
بين اثنين وهو يحمل معنى التخاطب والمراجعة.

أما في "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي، الذي يُدرج في خانة القواميس
الاصطلاحية كما ينبىء بذلك عنوانه، فنعثر على التعريفين الآتيين: الخطاب
بحسب أصل اللغة هو "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"¹⁴ ثم تطور مدلول
الظلمة ليطلق على "الكلام الموجه نحو الغير للإفهام". يكشف التعريفان عن
تمييز ابن فارس في الخطاب بين فعل توجيه الكلام؛ أي لحظة إنتاج الكلام،
وبين الكلام في حد ذاته. كما نلمس في التعريف اهتماما بالجانب التفاعلي
التواصلية، فعبارة "الغير" تحيل على الوعي بضرورة وجود طرف يتلقى
الكلام ويتفاعل معه بالفهم.

نستخلص من التعريفات السابقة أن الخطاب عند اللغويين العرب، يتميز بالتنوع
الدلالي. غير أنه في جميع الأحوال يحيل على "الكلام"، الذي يشترط حضور متخاطبين
يتفاعلان فيما بينهما لتحقيق غايات منها الإفهام والإقناع. كما أن تتبع الدلالات اللغوية

¹² الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003،
ص76.

¹³ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2،
2006، ص5.

¹⁴ محمد علي بن علي بن محمد التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
ط2، 2006، ص5.

لمصطلح "الخطاب" في القواميس والمعاجم العربية، كشف عن إجماع اللغويين على مفهوم "الكلام"، غير أن هذا التحديد نفسه يدعو إلى التساؤل عن ماهية الكلام؟ خصوصا في ظل التلازم الحاصل بينهما؛ فمعظم القواميس وكتب الشرائح والمفسرين أوردت في تحديدها للخطاب لفظ الكلام.

وبتتبع مصطلح "خطاب" في الثقافة العربية فهذه التعريفات كشفت عن وعي ثاقب بضرورة ضبط المصطلح، إن على مستوى الوظيفة (التواصل والإفهام) أو على مستوى المساحة الزمنية (بداية ونهاية) أو الغاية (التفاعل والتواصل). ومن ثمة فالمصطلح استطاع أن يرسم دلالاته الواضحة المستمدة من حقل الأصول، ولم تطرح هذه الدلالة أية إشكالية. وهو الوضع الذي لم يستمر في العصر الحديث¹⁵ حيث أخرج المصطلح

¹⁵ ويمكن تحديد ثلاث تعريفات للخطاب في علم الألسنة الحديثة:

المعنى الواسع: الخطاب هو كل ما قاله أو كتبه أو علق عليه شخص ما سواء كان ذلك أثناء المقابلات الصحفية أو المؤتمرات أو كتابات سياسية وفكرية.

المعنى الضيق: فالخطاب في المعنى الضيق للسانيات يعني كل ما هو مصاغ النطق، أو البيان الذي يتجاوز الجملة منظورا إليه من زاوية قواعد تسلسل وترتيب الجمل.

المعنى الثالث: يرى أن الخطاب عبارة عن مجموعة متماسكة من المقترحات النظرية المجردة تتضمن منطقاً ونظماً خاصة. وتتضمن إمكانية التواجد وإعادة الإنتاج، والتطور طبقاً لقوانينها الداخلية. وهي مقترحات مجددة تتشكل من مفاهيم، ومفاهيم أولية عقلية ينتجها الإنسان بهدف التعرف على الظواهر المحيطة به، وتتوزع هذه الخطابات بتنوع الظواهر الاجتماعية، فهناك الخطاب الديني والخطاب الفلسفي، والخطاب السياسي... وجميعها تتداخل وتتشابك وقد تتناقض، وهو الأمر الذي يجعل من دراسة أي منها على انفراد مهمة ليست بالسهلة.

لهذا فالخطاب كمصطلح يشير بصفة عامة إلى نظام فكري يتضمن منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعي بغية تملكه معرفياً، ومن ثم نفهم منقه الداخلي. أنظر (ركيك عبد الرحمن، الخطاب السياسي عند الأحزاب السياسية المغربية نموذج حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب الاتحاد الدستوري

من حقله واكتسب دلالات جديدة وفدت من الثقافة الغربية، فحملت المدلول الغربي وغيبت الدلالات الأصلية للمصطلح واستبدلت بشبكة دلالية مغايرة تنتمي إلى نسق مختلف.

وإذا كان مفهوم الخطاب في الوعي التراثي العربي الإسلامي ينتسب إلى الحقلين الديني والأصولي، فإن أصول المصطلح في الفكر الغربي تعود إلى "اللوغوس"¹⁶ اليوناني. وهكذا صار الفكر اليوناني قديمه وحديثه محتضنا لمفهوم الخطاب، رغم التحول الذي لحق المفهوم على المستوى المعنى والوظيفة. ومادام الخطاب ذا وظيفة عقلية، فإنه حظي باهتمام الفلاسفة والمفكرين الغربيين الذين اعتبروا الخطاب نظاما من العمليات الذهنية المرتبة، إنه "عملية منطقية منظمة تنظيمًا منطقيًا أو عملية مركبة من سلسلة من العمليات العقلية الجزئية أو تعبير عن الفكر بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا التي يرتبط بعضها ببعض"¹⁷.

2. أما في العصر الحديث فقد اتخذ مفهوم الخطاب أبعادا إبستمولوجية مع توالي أعمال الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو الذي بنى مشروع الفكر والفلسفي على أساس مفهوم الخطاب. فما هي الدلالات التي تكشف عنها لفظة "خطاب" في القواميس والاتجاهات اللسانية ونظريات تحليل الخطاب الغربية؟

بين 1983 و1998، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في العلوم السياسية، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، جامعة الحسن الثاني، المغرب، (1999).

¹⁶ "اللوغوس" كلمة إغريقية تحمل عدة معاني منها، اللغة المجردة، والفكر البرهاني والاستدلالي، كما تطلق على الخطاب أيضا، باعتباره جملة من الملفوظات المتسلسلة والمتراصة عضويا، والتي تحيل على موضوع معين وترتبط بحقل محدد.

¹⁷ جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالعربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1978، ص204.

المفهوم اللغوي: اختلفت آراء الباحثين الغربيين وتباينت بشأن مصطلح "خطاب"؛ تاريخه ودلالاته المتعددة. وقد نتج عن الاستعمال المتعدد للمصطلح إلى تشعب دلالاته التي أوردها القاموس الفرنسي "Petit Robert" وأهمها:

-الموضوع الذي نتكلم فيه.

-حوار أو محادثة.

-خطبة شفوية أمام جمع من الناس.

-التعبير اللفظي (الشفوي) عن الفكر.

-عالم الخطاب: أي مجموع أسيقته.

وباستحضار التحديدات التي قدمتها القواميس العربية للخطاب، نلاحظ نوعا من التقارب بينه وبين دلالات التي يقدمها القاموس الفرنسي (خصوصا الإشارة إلى الكلام والطابع اللفظي الشفوي للخطاب، واعتباره قد يمثل الجملة..). غير أن القاموس الفرنسي بالمقابل اهتم إلى بعض الخصائص الأساسية التي بنى عليها اللغويون تعريفاتهم وأبرزها خاصية التفاعل بين المتخاطبين، وخاصية الإقناع والإفهام. هذا الذي أغفله " Le petit Robert" وسيتداركه "Larousse de Poche" حينما حدد الخطاب بأنه "فعل المخاطبة أو (التخاطب) (...). (وهو) قطعة شفوية هدفها الإقناع(...). إنه متوالية الكلمات المشكلة للغة"¹⁸.

يكشف هذا التحديد عن اختلاف آخر بشأن الخطاب، ويتمثل في اعتباره الخطاب "متوالية الكلمات المشكلة للغة" في الوقت الذي تؤكد معظم التعريفات السابقة أن الخطاب "ملفوظ". وللحسم في هذه المسألة نستعير مفهوم "السياق" من التداوليات، التي تؤكد أن

¹⁸ Larousse de poche, Librairie Larousse, p113.

المفوض يخضع لظروف السياق وبهذا المعنى صار يستعمل مرادفا للخطاب. ولعل التعريف الأخير يلح على مفهوم التخاطب الذي يحيل على التفاعل والتواصل اللذين يهدف إليهما الخطاب. وهكذا يتبين أن مصطلح الخطاب يتميز بالتعدد والتنوع الدلالي، وهو تنوع سيزداد حدة على المستوى الاصطلاحي الذي يخضع للخلفيات الفكرية والأصول المعرفية للحقل المشتغل على مصطلح الخطاب.

وفي الدراسات اللسانية؛ غني عن البيان أن الكشوفات التي عرفتها الدراسات اللسانية الحديثة قد أحدثت ثورة في مجال الدراسة والتحليل، وغدت حقل العلوم الإنسانية عامة. وفي سياق الثورة اللسانية، ظهر مصطلح "الخطاب" في الغرب ونما وتطور في ظل التفاعل الخصب بين اللسانيات والمعارف الإنسانية. خصوصا بعد ظهور كتاب "فيرديناند دي سوسير" (محاضرات في اللسانيات العامة) الذي شكل فتحا كبيرا في مجال علم اللغة نظرا لما تضمنه من مبادئ وطروحات أساسية مثلتها ثنائياته الشهيرة: الدال/المدلول، اللغة/الكلام، السانكرونية/الدياكرونية، بالإضافة إلى بلورته لمفهوم "النسق" أو "النظام" الذي تطور إلى مفهوم "البنية".

وبالنسبة لمصطلح "الخطاب" نكاد نجد إجماعا بين الباحثين الغربيين حول زيادة اللغوي الأمريكي "ز. هاريس (1952م)" في هذا المضمار، باعتباره أول من حاول تجاوز موضوع البحث اللساني المحدد في الجملة إلى الخطاب. ولهذه الغاية نجده يعرف الخطاب بأنه "ملفوض طويل أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"¹⁹.

¹⁹ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1989، ص 17.

يمثل هذا التحديد إعلاناً من هاريس سعى من خلاله إلى تجاوز حدود الجملة في التحليل إلى الخطاب، كما يتضمن إشارة إلى تطبيق التصور التوزيقي على الخطاب، هذا التصور الذي يقوم على أساس أن الجمل تتألف بطريقة منتظمة تكشف عن بنية النص، ويسمى المبدأ المحدد لهذا الانتظام بين متتاليات الجمل بـ "التوازي"²⁰.

ومن الجهود البارزة في مجال الاهتمام بالخطاب، نذكر أعمال اللساني الفرنسي "إميل بنفنست" الذي اقترح دراسة الخطاب من زاوية "التلفظ" الذي يتيح -في نظره- إمكانية دراسة الكلام ضمن مركز نظرية التواصل ووظائف اللغة. ويعني بالتلفظ الفعل الذاتي في استخدام اللغة، بوصفه فعلاً حيويًا في إنتاج نص ما. وبناءً على هذا التحديد صاغ "بنفنست" تعريفه للخطاب على النحو التالي: إنه "الملفوظ منظوراً إليه من زاوية آليات وعمليات اشتغاله في التواصل" إنه بتعبير أكثر شمولاً "كل تلفظ يفترض متكماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير في الثاني بطريقة ما"²¹.

إن إخضاع التعريفين أعلاه للتدبير، يكشف عن وجود خصائص مشتركة بينهما أهمها: اعتبار الخطاب وحدة لغوية أكبر من الجملة، إنه تأليف من الجمل المنظومة طبقاً لنسق مخصوص. ثم التركيز على المظهر اللفظي للخطاب، وتأكيد هذا المظهر نابع من اشتغال اللسانيين على الكلام بوصفه مظهراً لفظياً خاصاً بالفرد. ومن الخصائص المشتركة نجد الاهتمام بمكونات نظرية التواصل كالمرسل والمتلقي بوصفهما قُطبي الفعل التواصل. ومن هذا المنطلق يكون الخطاب قد غادر حلقة اللساني الأصلي ليحظى باهتمام حقول أخرى مثل: نظرية التواصل ونظرية التلقي والسيميولوجيا

²⁰ نفس المرجع، ص 18.

²¹ نفس المرجع، ص 19.

والتداوليات... وفي تأكيد المظهر الاتصالي للخطاب إشارة إلى المصدر الفردي للخطاب وهدفه المتمثل في الإفهام والتأثير²².

ويعتبر تصور "دومينييك منغنو" من الطروحات الرائدة في مجال الخطاب من زاوية لسانية. فقبل أن يدلي بتصوره إزاء هذا المصطلح اعتبر أن الخطاب قد يستعمل للدلالة على الملفوظات الرسمية، كما قد يوظف منعوتاً بكلمات مختلفة: الخطاب السياسي، الخطاب الأدبي. غير أنه لاحظ بأن كلمة "خطاب" لا تحيل حينها على دلالة محددة²³.

لقد ركز (منغنو) في تناوله للخطاب على الجانب التداولي باعتبار اهتمامه بالعملية التواصلية وعناصرها، فميز بين عدة سمات أساسية تسم الخطاب هي: السمة المجتمعية، السمة التوجيهية، سمة الفعل والتأثر، وسمة التفاعلية، وسمة السياقية، وسمة الذاتية، وسمة التبريرية، ثم سمة التبعية²⁴. إن هذه السمات يمكن اختزالهما في خاصيتين هما: -المقامية؛ فالخطاب مقال يخضع لمقام معين محكوم بأسبقية لغوية خاصة، وهذه السبقية تعتبرها عنصراً ضرورياً لتحقيق الخطاب وفهمه، لذا يمكن إدراج سمات المجتمعية والتبريرية والتبعية ضمن "المقامية".

-التفاعلية؛ بنى "مانغنو" تصوره للخطاب على أساس الفعل التواصلية، الذي يشترط وجود طرفين أو أكثر يتبادلان الأدوار بحسب المقام، ومن هذا المنطلق يمكن إدراج سمات الذاتية والتوجيهية والفعل والتأثير ضمن التواصل التفاعلي²⁵.

²² عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، مرجع سابق، ص ص 175-176.

²³ Dominique Mangneau, Analyse les textes de communication. Dunod, 1998, Paris, p37.

²⁴ Ibid, p40.

²⁵ نبيل موميد، "حج الخطاب بين النسقية والوظيفية"، مجلة فكر ونقد، عدد 90/89، ماي-جوان، 2007، ص 80.

فالخطاب عبارة عن مجموعة من الجمل والتراكيب المتناسقة والمرتبطة بسياق معين، تستهدف التبادل والتواصل والتفاعل عبر معنى ينقله الخطاب في إطار نص مفهوم ضمنا لانتظامه واستمراريته. وإلى ذلك ألمح "بنفنست" حينما عرف الخطاب بأنه، كل قول يفترض متكلما وسامعا وتكون للأول نية التأثير في الثاني. فالخطاب إذا تركيب يفوق الجملة، فإذا كان ينظر للجملة في مجال اللغة على أنها نظام من العلامات، فإن الخطاب يغادر مجال العلامات إلى "عالم اللغة بوصفها وسيلة اتصال الأمر الذي يعبر عنه بالخطاب"²⁶. هكذا ارتبط الخطاب بالتأثير والاتصال، وهي غايات لا تتحقق إلا باللغة من خلالها لبلوغ الإقناع. وهذا ما يفسر اعتماد الإنسان على الخطاب بوصفه صيغة راقية لتوصيل الأفكار وتبادلها مع الآخرين، فأتسع مفهومه ليدل على كل ما يصدر عن المتكلم من كلام أو إشارة أو إبداع فني، ليتجاوز بذلك مظهر المنطوق إلى غير المنطوق. وبذلك تتعدد أنواع الخطاب وتتخذ أشكالا كثيرة، فهناك الأدبي والديني والسياسي والثقافي... على أن تستوفي هذه الأنواع شرط الحوار والتبادل الكلامي إضافة إلى الترتيب والنسق.

هيمن مفهوم الخطاب على عدد من الأبحاث السياسية واللغوية والتواصلية أو آخر الستينيات من القرن الماضي، خصوصا بعد ظهور المدرسة الفرنسية لنظرية تحليل الخطاب، لكن رغم هذه الهيمنة فقد بقي على هذا الحال حتى السبعينيات من القرن العشرين ليصبح الخطاب متعدد الدلالات، ومن قبيل التداول المشترك في الأدبيات السياسية، الاجتماعية، اللسانية والأبحاث السوسيو لسانية.

وإذا أردنا أن نقف على الاستعمالات المختلفة لهذا المفهوم في كثير من الأعمال اللغوية، (إ.بنفنست 1966 E.Benveniste، ج. دييوا 1969 J.DUBOIS، م.فوكو

²⁶ عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، عالم الفكر، المجلد 36، 2007، ص 122.

1969 M.Faucoult، ل.كصبان 1971 L.Guespin، ب.بورديو P.Bourdieu،
ب.أشار 1974 P.Achard، م.بيشو 1974 M.Pecheux، س.بونفوس
1981 S.Bounfouss، وفي بعض الأبحاث المعجمية الفرنسية والألمانية فنجد
د.مانكينو (D.Maingueneau) أن مفهوم الخطاب وظف في سبع استعمالات²⁷:

1. "الخطاب" مرادف لمفهوم "الكلام" بالمفهوم السوسوري، وعلى هذا المستوى تعد دلالة الخطاب خارج لسانيات الخطاب، لذلك لم يعط فيردناند دوسوسور F.Desaussure اهتمام للخطاب، لأن اهتمامه الرئيسي كان مركزا حول مفهوم "اللسان" الذي شكل الموضوع المركزي لأبحاثه.
2. "الخطاب" وحدة تتجاوز الجملة؛ وهو يرادف في هذا السياق مفهوم "الملفوظ" Enonce الذي يكون موضوع تحليل النصوص من ناحية المقاربة النحوية.
3. "الخطاب" مرادف لمفهوم "الملفوظ" من وجهة نظر المقاربة التداولية التي تنظر إليه باعتباره معطى تداخل لعناصر ذاتية وسياقية معينة.
4. "الخطاب" مرادف لعملية تبادل الحوار داخل سياق تواصل معين بالمعنى التلظي.
5. "الخطاب" مفهوم معارض "اللسان" (الخطاب هنا يحمل دلالة النظام كمجموعة من القيم الخاصة)، وفي هذا الصدد يجب التمييز بين دراستين للمفاهيم والمصطلحات تهتم الأولى بالمفهوم داخل "اللسان" بالمعنى السوسوري، والثانية تهتم بدراسته داخل "الخطاب".

6. الخطاب في الاستعمال السادس يرادف نظاما من المواقف التي تسمح بإنتاج مجموعة غير محددة من الأحاديث تتحكم فيها وضعية اجتماعية أو أيديولوجية،

²⁷ ميلود بلقاضي، الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع،

وهذه الوضعية هي التي تسمح لنا بالتمييز بين التشكيلات الخطابية بالمفهوم الفوكوي (ميشال فوكو) لخطابات متعددة.

7. الخطاب في الاستعمال السابع والذي حددته نظرية تحليل الخطاب واتخذته موضوعا لها، بعد تمييزه عن باقي المفاهيم خصوصا مفهومي "الحديث" و "النص".

الخطاب السياسي هو خطاب تواصل إقناعي غير أن لغته تحتاج إلى التأمل والتأويل نظرا لما يحمله من دلالات وغموض وإبهام، كما يحتاج إلى متلق بارع من خلال الاستدلال المنطقي لإدراك موضوعه ووظيفته. وبما أن الخطاب السياسي خطاب تناظري بين المخاطب والمتلقي، لكونه يمنح المرسل حرية اختيار الاستراتيجيات اللازمة لإبراز قدراته الخطابية المرتبطة بالإقناع والتأثير والتبرير، فإن إدراك الإقناع يستدعي من السياسي اللجوء إلى الغموض والإبهام، وهو ما يتطلب التأمل والتأويل للكشف عن حقيقة الخطاب السياسي و ما يخفيه من خواص. إن تمركز الخطاب السياسي حول الصراع القائم حول السلطة، جعل علاقة السياسة بالخطاب وطيدة، حيث يصير الخطاب عند اتصاله بالسياسة -بحسب ميشال فوكو- عنصرا شفافا ومحايذا، وهو بحد ذاته موضوع الرغبة وهو ما نضارع من أجله، وهو السلطة التي نريد الاستيلاء عليها²⁸. تتضح علاقة الخطاب السياسي بالسلطة من خلال اعتبار الكلمات-بحسب ألتوسير- في الصراع السياسي والإيديولوجي، أسلحة ومتفجرات أو مهدئات أو سموم يتم طرحها من خلال الألفاظ والكلمات المستخدمة، وبموجبها يصبح الخطاب شكلا من الأشكال الخاصة للإيديولوجيا²⁹.

²⁸ ميشال فوكو، ترجمة: محمد سييلا، نظام الخطاب، دار التنوير، لبنان، 1984، ص 10.

²⁹ برهومة عيسى عودة، تمثيلات اللغة في الخطاب السياسي، عالم الفكر، المجلد 36، 2007، ص 127.

تتجلى سلطة السياسة في الخطابات، بوصفها موضوعا من أجل الحصول على السلطة وحسم الصراع، فالخطاب فضاء تستثمر فيه الرغبة والسلطة، وليس مجرد انعكاس للصراع السياسي. الخطاب إذن أداة للسلطة وإدارة القوة والنيل من الآخرين. إنه سلطة تمثلها الممارسات السلطوية الخطابية، التي تتخذ استراتيجيات مختلفة منها: نقل السلطة وإنتاجها وتقويتها، وهنا يتصل الخطاب بالسياسة، أو الخطاب بالسلطة، بوصف السلطة المظهر الثاني للسياسة، والعلاقة بينهما وطيدة وتاريخية في توجيه الخطاب للمعنى وللممارسة السياسية، إذ لا سلطة إلا سلطة الخطاب³⁰.

ومما سبق يمكن القول أن أي مقارنة لنص ما من حيث بنائه اللغوي يجعل منه "حديثا"، وأي مقارنة لغوية لشروط إنتاج ذلك النص تجعل منه "خطابا".

من خلال ما سبق يتضح أن الخطاب السياسي هو عبارة عن منظومة فكرية تتراكم فيها المفاهيم ويتناول ميدانا معيناً وبشكل منفرد، لهذا يعرفه البعض بأنه المعرفة المنظمة الخاصة بجانب محدد من الواقع أو ظاهرة محددة.

فالخطاب السياسي يختلف عن الخطاب العلمي، بكون هذا الأخير خطاب منهجي، نظرا لأنه يتطلب من نفسه تماسكا داخليا وفي هذا يتميز الخطاب العلمي عن الخطاب ذي الطبيعة الأخرى ولا سيما الخطاب السياسي، الذي يسمح بتعايش التناقضات والتعارضات، لهذا فالخطاب السياسي هو تطور الواقع، غير أن هناك فرق شاسع بين تصور الحقيقة التي يعطيها الخطاب السياسي و الواقع بذاته أو بين الحقيقة المعاشة والطريقة التي يتم بها تصوره نظريا، إذ ثمة مساحة كبيرة تتداخل فيها جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية، بل والمعرفية كذلك، إذ ترتبط كلها بوضع اقتصادي

³⁰ نفس المرجع، ص 130.

واجتماعي، ونظام طبقي معين دون التعرف على الواقع كما هو أو تلمس قوانينه الموضوعية الفاعلة فيه والتي يتقرر على ضوءها حركته ونموه.

أما عن الخطاب السياسي في القلب منها تعتبر جزء لا يتجزء من طبيعة العملية التي تسهل السيطرة في مجتمع يتسم بالتمايز في المصالح بين فئاته المختلفة، ويظهر هذا أثناء فترات التحولات والتغيرات الاجتماعية العميقة، وكذا في الدعاية السياسية والتواصل السياسي، والتسويق السياسي وكذلك من خلال العمل السياسي والإيديولوجي خاصة عندما ما يكون أصحاب هذه الأفكار السياسية في السلطة.

أما عن الخطاب السياسي الذي يحمله أصحابه خاصة في حالة وصولهم للسلطة يختلف من بلد لآخر خاصة بعد تنامي وسائل التواصل السياسي وكذا التسويق السياسي، إذ يتميز الخطاب السياسي في البلدان الديمقراطية الغربية بالتعدد والتنوع إذ تكفل المنافسة السياسية تشجيع وتنمية الخطاب السياسي والبحث عن حجج وأدلة لمعارضة الخطاب السياسي للحاكم أو الخصم، بخلاف البلدان الشمولية والتي تتميز الحياة السياسية فيها بسيطرة خطاب سياسي واحد أي خطاب الحاكم، هذا الأخير تتاح له كافة الإمكانيات السمعية والبصرية والمادية التي تكفلها السيطرة على جهاز الدولة ومن ثم تؤمن له إمكانية التواصل والقدرة على إقناع المواطنين بسلامة وصحة الحلول المتضمنة فيه.

إن النقاش في تعريف الخطاب السياسي متردد فيما بين علم السياسة وعلم الاجتماع السياسي، من حيث المرجعية المعرفية والمنهجية، ومن الصعوبة بمكان أن نتوقع أيضا داخل حقل من الحقول. لنفترض مثلا سيميائية الخطاب أو أي فرع من فروع السيميائيات، ستبقى ظاهرة الخطاب السياسي متعنتة عن أي تعريف أحادي

المرجعية، إضافة إلى الموقع العلمي أو اختصاص الباحث قد يتدخل في توجيهه صوب وجهة نظر محددة دون أخرى³¹.

نخلص من هذا، إلى أن أي تحديد للخطاب السياسي يجب أن يستحضر التواصل، والأوضاع السياسية، والمقام السياسي. ومن ثم نحدد الخطاب السياسي بكونه تواصلا لغويا وغير لغوي، شفهيًا كان أو مكتوبًا، أنتجته أوضاع سياسية معينة، ويلقيه فاعل سياسي، له علم بالإيديولوجيات السياسية، في فضاء سياسي معين، راميا من خلاله إلى ممارسة أفعال سياسية معينة³².

الفرع الثاني: خصائص الخطاب السياسي

1. خطاب جماهيري: يمثل الخطاب السياسي بمثابة خطاب جماهيري، قائم على إنتاج وفصل الدوائر الخاصة والعامة، "إنه يتوجه إلى مجموع الأفراد المجتمعين في جماعة ولهم أهلية مناقشة السلطة إنه إذن مرتبط حميميا بتطور الديمقراطية النيابية".

فأشكال ركائز الخطاب السياسي تحدد معناه، بل لها دور حيوي وفعال في سيرورته الدلالية، فطبيعة التعالق بين الخطاب السياسي وبين بعض أوضاع التلطف تفضي إلى تأثير متبادل، كالحملة الانتخابية، والمؤتمر الحزبي، والجلسة البرلمانية العامة³³.

³¹ عبد الرحيم العماري، نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر خطاب الكتلة الديمقراطية من الميثاق إلى التناوب، منشورات زاوية للفن والثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص55.

³² سعيد بكار، الخطاب السياسي لأوباما في ضوء التحليل النقدي للخطاب، في قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب، الطبعة الأولى، 2016، ص ص 469.

³³ عبد الرحيم العماري، مرجع سابق، ص90.

2. **خطاب قاعدة:** من حيث قناة الإرسال ونقطة وصوله، يبرز الخطاب بمثابة خطاب قاعدة، فهو يتوجه دون تمييز إلى مجموع الأفراد المواطنين ضمن التشكيلة المجتمعية.

3. **خطاب استراتيجي:** بمعنى أنه خطاب يؤلف في أسسه الخالصة بين مجموع التمثيلات والأيديولوجيات المتباعدة، غالبا ما تكون متعارضة" بهذا المعنى، لا يكون الخطاب السياسي المهيم أبدا مطابقا لإدولوجية نظرية فريدة"، وإلا كيف يمكن تصور مخاطبته لمتلقين من مستويات عديدة؟ ونستشهد بمثال حول لينين في إصراره على ثلاث أنماط من الخطابات السياسية بمتلقين ثلاثة: أعضاء الحزب، المتعاطفين والجمهور الواسع، فلم يكن ذلك بحثا عن خطاب سياسي ذي إدولوجية منسجمة، بقدر ما كان روما لصحافة مناضلة تتمثل استراتيجيتها في التحريض والدعاية، بل نجد في الأصول المؤسسية للخطاب السياسي المرسل إلى مخاطبين من أصول مجتمعية واحدة³⁴.

4. **خطاب سجالي:** كل الخصائص المذكورة تحتم عليه أن يكون خطابا سجاليا يتخذ موقعه المتفرد وينتظم وهو قائم على مناقشة السلطة تبعا لحضور مشترك لمجموعة من الخطابات المنافسة، للسجال منطق الخاسر، حيث لا يمكن له أن يتطابق مع الخطاب إذ الحجة في ذلك هيكلته للعديد من الآليات الخطابية وغير الخطابية، إن السجالية هي عماد الخطاب السياسي فالمتلقي يكون إما معارضا أو وسيلة لنبذ المعارض.

5. **خطاب تحويلي:** يصمد الخطاب السياسي بسمات خطاب تحويلي هو فضاء لغوي بمثابة تمثيل مجتمع ينتج ذاته بذاته، يكون موجهها أساسا نحو تحديد نمط متفرد للفعل والتدخلات التي محورها تحويل لمجموع المجتمعي، إنه نقاش حول التدابير

³⁴ نفس المرجع، ص 91.

الواجب اتخاذها والاستراتيجيات الواجب تبنيها قصد إتمام تنظيم مجتمع في تحول مستمر.

6. **خطاب معرفة:** ككل التشكلات الخطابية، ينتج الخطاب السياسي في النهاية معرفة، لكن مركزها تدبيراً لعلاقات المجتمعية فانطلاقاً من إجراءات بروقراطية، ومروراً بأخرى إحصائية، ووصولاً إلى تقنيات استطلاع الرأي ينتج الخطاب السياسي المهيمن في المجتمع الحديث مجموعة من المهارات حول علاقة السلطة والاستراتيجيات الواجب تبنيها لإعادة إنتاج الأشكال المتعددة للهيمنة المجتمعية³⁵.

الفرع الثالث: مناهج دراسة الخطاب السياسي

تتعدد مناهج دراسة الخطاب السياسي واكتشاف مضمونه بتعدد الأطر المعرفية والنظرية التي تستند إليها نظرتها إلى الخطاب معناه ومبناه ومضمونه ووظيفته وآليات التفاعل بينه وبين الواقع الاجتماعي التاريخي في لحظة ما غير أنه يمكن التمييز بين مجموعتين من المناهج لمعالجة الخطاب السياسي.

المجموعة الأولى: هذه المجموعة من المناهج تنصب على معالجة الخطاب داخلياً، أو الخطاب في ذاته بعد اكتشاف بنيته الداخلية وطبيعة الترابط بين مكوناته، هذا المنهج لا يمكن استعمالها كأداة تمكنا من دراسة الخطاب السياسي ما دام تحليل الخطاب السياسي لا يكون الهدف منه هو معرفة البنية اللغوية فقط بقدر ما هو التعرف على الأشياء التي يسكت عنها الخطاب.

³⁵ نفس المرجع، ص 94.

المجموعة الثانية: هذه المجموعة من المناهج تحاول معالجة الخطاب في إطار علاقته بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والتاريخي والشروط العامة والخاصة التي ساهمت بلورة خطاب ما على هذا النحو أو ذاك وكذلك موقع المتحدث من السلم الاجتماعي وهويته الأيديولوجية والطبقية وطبيعة المصالح التي تستهدف بلورتها وتحقيق اتفاق حول أبعادها.

وقد قدم (كريست دولاندتشير Chrisl DeLandtsheer) في 1998م، قائمة كبيرة من العلوم والمناهج والمقاربات المعنية بدراسة الخطاب السياسي تتضمن البلاغة والاتصال السياسي، وعلم النفس السياسي ودراسة الدعاية، والمفردات السياسية، وعلم الدلالة التاريخي، والمعجميات السياسية، والدراسات الألمانية للغة السياسية، ودراسة اللغات الرسمية، واللسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب، وفلسفة اللغة، وما بعد الحداثة³⁶.

³⁶ تعكس هذه القائمة ثراء دراسة الخطاب السياسي في الغرب وتعقدتها. وفي مقابل ذلك، فإن الدرس العربي للخطاب السياسي أقل تنوعا واتساعا من مثيله الغربي، وعادة تهيمن مقاربات غير لغوية على دراسته. وتظهر أيضا هذه القائمة تعدد مقاربات دراسة الخطاب السياسي ومناهجه، وتوضح مدى اتساع المقاربات اللسانية لتحليل الخطاب السياسي، ومع ذلك فهذه القائمة تفتقد إلى النسقية؛ فهو يُفرد الدراسات الألمانية للغة السياسية ببند مستقل، في حين لا يُفرد الدراسات الفرنسية أو الانجليزية أو غيرها ببند مستقل، على الرغم من خصوصيات الدراسات في هذه اللغات، وفي غيرها، بالإضافة أنه يمكن إدراج الدراسات الألمانية للغة السياسية ضمن بعض البنود الأخرى، خاصة المعجميات اللسانية وعلم اللغة الاجتماعي، علاوة على ذلك فإن فصل المفردات السياسية عن المعجميات السياسية وعن علم الدلالة التاريخي يبدو مثيرا للتساؤلات إذ ربما كان الأوفق التعامل مع الحقول الثلاثة بوصفها حقلا واحدا يعنى بالمعجم السياسي، من زاوية تطوره الدلالي والاستعمالي، وأخيرا فإن هذه القائمة تضمن ثلاث فئات مختلفة؛ الأولى حقول معرفية فرعية في إطار تحليل الخطاب السياسي، مثل دراسة المعجم والدلالة واللغة الرسمية، والثانية حقول معرفية أخرى يُعد تحليل الخطاب السياسي أحد موضوعاتها، مثل البلاغة وفلسفة اللغة وعلم اللغة الاجتماعي، والثالث أنواع خطابية (Discursive genres)، مثل الدعاية ولغة السياسة الرسمية.

وهنا يمكن أن نرصد ستة حقول معرفية مهتمة بدراسة الخطاب السياسي العربي³⁷ وهي:

-الدراسات البلاغية: منذ محاوره (جورجياس) وكتاب الخطابة لأرسطو أصبحت البلاغة الحقل المعرفي الأكثر اهتماما بدراسة الخطاب السياسي، واحتفظت بملف دراسته قرونا طويلة، قدمت المقاربة البلاغية وصفا لسياقات الخطب السياسية، وخصائصها اللغوية والبلاغية، وتوصيات وتعليمات تساعد على إنتاج خطاب سياسي مؤثر، وفي الوقت الراهن تزداد الدراسات التي تستخدم مقاربات بلاغية لتحليل خطابات سياسية عربية، تركز بعض هذه الدراسات على تحليل الحجاج واستراتيجيات الإقناع في الخطاب السياسي. فمثلا درست (مارلين نصر 1982م) تقنيات الحجاج في الخطاب القومي للرئيس المصري جمال عبد الناصر وعالج (محمد العمري 1985م) اقناعية الخطب السياسية في القرن الأول الهجري.

³⁷ على الرغم من تزايد تأثير الخطاب السياسي، واتساع مداه في عقود ما بعد الاستقلال؛ فإن الدراسات العربية للخطاب السياسي لم تساير هذا الازدهار، وكانت أقل بكثير من المتوقع، ويمكن القول إن الدراسات العربية المعنية بالخطاب السياسي قليلة بشكل ملفت بالمقارنة، أولاً، بالدراسات العربية التي عنيت بدراسة الأدب المتخيل شعراً ونثراً وبالمقارنة، ثانياً، بالدراسات التي أنجزت وتجزت عن الخطاب السياسي في لغات أخرى، وبالمقارنة، ثالثاً، بالدراسات لأجنبية التي عنيت بدراسة الخطاب السياسي العربي، ويعبر نقص الدراسات الأكاديمية حول الخطابة السياسية بتأثير عوامل عدة، من أبرزها تغير خريطة الأنواع الأدبية، وضعف الحريات الأكاديمية، ويحتاج فهم مستقبل تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي إلى التركيز على، تغير خريطة الأنواع الأدبية وذلك بتأثر العرب في أوائل القرن العشرين بالأدب الغربي إلى تفكيك التصورات الجمالية السائدة وإعادة إنتاجها من جديد وبذلك فقد الخطاب السياسي عناية المعنيين بدراسة اللغات والآداب وخاصة أن دارسي العلوم السياسية وعلوم التواصل في العالم العربي، يستخدمون عادة مقاربات ومناهج غير لغوية لمعالجتهم للخطاب السياسي، وأيضا غياب الحريات الأكاديمية، وهنا قد شاع أن الكلام والدخول في عمق الدراسات الأكاديمية للخطابات السياسية تصور غير آمن خاصة في بعض الملكيات الاستبدادية والجمهوريات الشمولية.

علاوة على ذلك، تهتم الدراسات البلاغية بتحليل الأبعاد المجازية للغة، ويعد مبحث المجاز السياسي أحد أكثر المباحث حظوة لدى الدارسين، بفعل تأثير نظرية الاستعارة المفهومية العميق في الدراسات العربية، ومثال ذلك، درس (علي الديري 2006م) المجاز في نماذج من الخطاب السياسي البحريني، كما درس (عماد عبد اللطيف 2012) الاستعارات المفاهيمية في الخطاب الأبوي الساداتي؛ ودرس سياقاته ووظائفه وآثاره. كما تدرس البلاغة السياسية ظواهر أخرى عديدة مثل الإيقاع، كما في دراسة (كريستينا شتوك Kristina Stock 1999م) للخصائص الإيقاعية للاستمالات العاطفية في خطب عبد الناصر، وصادام حسين، ومعمر القذافي، والبنى التركيبية على نحو ما عالج (نادر سراج 2014م) البنى التركيبية في الشعارات العربية بوصفها أداة من أدوات الحشد السياسي³⁸.

- دراسات التواصل: تُوزع الخطابات السياسية الحديثة عبر وسائط تواصل عديدة، وقد أنجزت دراسات عدة لمعالجة تأثير وسائل الإعلام على الخطاب السياسي، وجمهوره والفاعلين السياسيين، والشبكات الاجتماعية السياسية والمواطنة... إلخ وقد صنعت وسائل الإعلام الجديدة فضاءات جديدة في الخطاب السياسي، وعلى سبيل التحديد، فإن وسائل التواصل الاجتماعي في العالم العربي قد درست بشكل مكثف بفضل دورها في الربيع العربي. كما غيرت تكنولوجيات التواصل أيضاً دور الجمهور بشكل جذري، فقد يسّرت إنتاج التلقي النشط، وخطابات الجماهير المضادة، والاستجابات البلاغية. وتعد دراسة استجابات الجمهور اللفظية والغير اللفظية للخطاب السياسي منطقة تقاطع معرفي بين دراسات الخطاب والتواصل، تتسم بالتنشيق والأهمية، فقد درس (عماد عبد اللطيف 2009) التصفيق الهتاف في خمس وأربعين خطبة مصرية. وفحص العلاقة بين

³⁸ عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والآفاق"، مجلة البلاغة وتحليل

الخطاب، العدد 6، 2015م، ص 120.

خصائص الخطب البلاغية والأدائية من جهة، واستجابات الجمهور أثناء تلقيها من ناحية أخرى³⁹، غير أن هذه المنطقة البحثية، ما تزال بحاجة إلى بذل مزيد من الجهد الأكاديمي.

- اللسانيات الاجتماعية: تتعدد دراسة الخطاب السياسي التي تعمل في إطار علم اللغة الاجتماعي، فتم توجه يهتم بخطاب المقاومة في المجتمعات المحتلة، ويعالج أشكال الصراع بين خطابات الاحتلال وخطابات المحتل، وكيف يصبح الخطاب السياسي، والخطب السياسية تحديداً قوة مقاومة ضد الهيمنة والاحتلال، وتعد دراسة (عبد الصبور مرزوق 1967م) من أهم هذه الدراسات، وقد عالج فيها الخطاب السياسي أثناء الاحتلال الإنجليزي لمصر، محللاً أساليب الإقناع والحجاج وسياقها الذي يشمل الزمان والمكان والمتكلم والمخاطب والظروف الباعثة على الخطابة وبعض استجابات الجمهور الفعلي الذي تلقاها. استخدم مرزوق مقارنة وصفية اهتمت بوصف المشهد الخطابي الفعلي الذي تدوّلت الخطب السياسية فيه، وهو ما يمثل نقطة تميز مع الدراسات السابقة عليه التي يتبنى أغلبها منهجاً معيارياً يعنى فيه الدارس بتركيب المشهد الخطابي المثالي، والإرشاد إلى طرق الوصول إليه. اهتمت دراسات أخرى باللغة بوصفها مسرحاً للصراع السياسي، وقد حلت دراسات أخرى أبعاد الهوية في الخطاب السياسي العربي⁴⁰.

- التحليل النقدي للخطاب: تركز هذه الدراسات عادة، على مساءلة كيف يعزز الخطاب السياسي العربي اللامساواة الاجتماعية والهيمنة في محاولة للكشف عن تقنيات التلاعب والخداع، ومثال ذلك عالجت (ميشيل دون Michele Dunne 2003) الخطاب السياسي المصري حول الديمقراطية، وكشفت عن أن هذا الخطاب يفعل عادة أشياء أخرى بخلاف

³⁹ نفس المرجع والصفحة.

⁴⁰ نفس المرجع، ص 121.

ما يقول، ودرس (عماد عبد اللطيف 2012م) خطابات الربيع العربي مستكشفاً كيف تلاعبت الخطابات السياسية بالجمهور أثناء الربيع العربي، مع ذلك فإن الدراسات النقدية للخطاب السياسي العربي سابقة على نشوء التحليل النقدي للخطاب بوصفه حقلاً معرفياً، فقد أنجز (عبد العليم محمد 1990م) دراسة مهمة في نقد الخطاب السياسي للسادات في أواخر ثمانينيات القرن العشرين درس فيها دور اللغة في إخفاء مصالح وتحيزات نظام حكم السادات.

- المقاربات التاريخية: اهتمت العديد من الدراسات بمعالجة تطور أنواع تنتمي إلى الخطاب السياسي. فهناك دراسات وفيرة تهتم بتاريخ الخطابة السياسية العربية؛ وتقدم معلومات قيمة عن أهم الخطب والخطباء وسياقات إنتاج هذه الخطب وتلقيها، وتدرس بحوث أخرى أنواع الخطب وشروطها وخصائصها، وبعض نماذجها وأعلامها، كما تقارن دراسات مهمة بين الخطابة العربية و الخطابة اليونانية، إضافة إلى الرسائل العلمية والكتب العديدة التي تدرس تطور الرسائل والمناظرات السياسية⁴¹.

-المقاربة المعجمية: تنطلق المقاربة المعجمية من كون الخطاب يتشكل من كلمات، ومن فرضية العلاقة بين الانتماء السياسي والمفردات الموظفة في الخطاب، وتقوم هذه المنهجية على الإحصاء المعجمي، والاستعانة بالمعلومات. ورغم محدودية هذه المقاربة لكونها تعنى بمظهر واحد من مظاهر اشتغال الخطاب، فإن الدراسات المنجزة والمقالات

⁴¹ قد يثار تساؤل بشأن مدى أهلية مثل هذه الدراسات التاريخية في الاندراج ضمن تحليل الخطاب السياسي؛ لكونها لا تقدم في الغالب تحليلاً معمقاً للدروس التي تدرسها غير أن علة إدراجها في تحليل الخطاب السياسي يرجع إلى أنها قد تكون معنية بتطور الأنواع عبر التاريخ، إضافة إلى أنها عادة ما تسعى لاستكشاف العلاقة بين الظروف التاريخية والاجتماعية من ناحية والنصوص السياسية من ناحية أخرى، وهي بذلك تسهم في توفير معرفة أولية مهمة لدارسي الخطاب السياسي. وفي الواقع مازلنا بحاجة للمزيد من هذه الدراسات، خاصة حول أنواع من الخطاب السياسي لم تنل أهمية بحثية مثل الوصايا السياسية، والهجاء والمدح السياسيين.

المكتوبة تدل على أهميتها كما نجد لدى دارسين قاربوا خطابات الساسة يمينا ويسارا مقارنة معجمية.

إن مايجعل دراسة المفردات/الكلمات والمصطلحات ذات قيمة في التحليل هو كونها جزءا من اللغة. واللغة خصوصا في الخطابات الدعائية الميالة إلى التضليل، خادعة. والخطاب السياسي مثال لها. فليست الكلمات بريئة ومسالمة، بل هي مشحونة حتى سماها البعض حروبا، فهي وإن كانت ثابتة معجميا متحوبة سياقيا وخلفها رهانات. وترجع الكثير من جوانب الصراع السياسي إلى المعنى المشروع للمصطلحات، فقد يرجع الكثير من المناقشات السياسية إلى المعنى المشروع لمصطلح ما، فعبارة "الأرض مقابل السلام" أو "أرض مقابل سلام" تبدو بسيطة لكن الحقيقة إنها مثار جدال كبير وتوظيف جلي لخدمة أغراض ومواقف بين الأطراف المعنية بالقضية الفلسطينية⁴² التي انتقل التداول المصطلحي بخصوصها من "الصراع العربي الإسرائيلي" إلى "الصراع الفلسطيني الإسرائيلي" على الأقل في الإعلام العربي وفي أحاديث الساسة العرب، وبين التعبيرين فرق شاسع. ومن أبرز الأمثلة المصطلحية الغامضة أو التي أريد لها أن تكون كذلك مصطلح "الشرعية الدولية" "المجتمع الدولي" "الأسرة الدولية" "ضبط النفس" ثم "الإرهاب". فكم بين المفهوم المعجمي لكلمة "إرهاب" وما حملته في التداول السياسي خصوصا بعد أحداث 11سبتمبر المشهورة؟ إن الأمر راجع إلى استغلال المصطلح وشحنه بما يمكن من خوض الصراعات الدولية. كيف يعقل أن تقول أطراف متناقضة في كل شيء إنها تحارب الإرهاب وضد قوى داعمة له. فكم من حرب شنت تحت مسمى غير محدد. أما في التداول العربي فنعطي أمثلة بالربيع وما رافقته من دلالات جديدة لمصطلحات قديمة مثل "المرتزقة" "الباطنية". ونلاحظ كيف أن كلمة "زنقة" التي

⁴² الجمعي بولعراس وناصر الغالي، "التعبيرات الاصطلاحية في لغة الخطاب السياسي العربي ومواجهة الأحداث الدولية، مقارنة سوسيوثقافية"، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، السنة الثالثة، العدد الثاني، 2012، ص 75.

لم يكن واردا من قبل الاختلاف في دلالتها كيف أصبحت لها دلالات متناقضة، فهي عند منشئها وانطلاقا من السياق الذي وردت فيه "ساحة من ساحات مطاردة الجردان"، ولكنها عند معارضيه أو الثائرين عليه "تعبير عن مآهة الجنرال وضلاله"⁴³.

وإذا كانت الدراسات الغربية راكمت تجارب في دراسة الخطاب السياسي بمقاربات ومناهج مختلفة بما فيها المقاربات المعجمية، إذ درست خطابات الساسة وقواميسها، فإن الدراسات العربية لم تراكم إنجازات كثيرة في هذا المجال خصوصا الدراسات المستندة إلى المقاربات الجديدة في تحليل الخطاب السياسي. وقد صنف عماد عبد اللطيف الدراسات العربية في هذا المجال إلى اتجاهين فقال: "الأول يستند إلى التراث العربي بدراسة الخطابة، في حين يستند الثاني إلى توجهات غربية حديثة هي التداولية وتحليل الخطاب". وسمى الأول "التوجه التقليدي في دراسة الخطابة السياسية"، وسمى الثاني "التوجه المعاصر في دراسة الخطابة السياسية".

الفرع الرابع: الوظائف الاستراتيجية للخطاب السياسي

وهي وظائف من اقتراح "شيلتون وشافنر"⁴⁴:

1. الإكراه: تتعلق هذه الوظيفة بطاقات المتكلم وسلطته، ولكنها ليست لغوية دئما، ومثاله أن الأنظمة الديكتاتورية تستخدم القوة (العنف) لمراقبة الناس، وفي الأنظمة الديمقراطية يغلف استعمال القوة بالشرعية من قبيل تفريق المتظاهرين. ومن أمثلة الإكراه الخطابات المتخمة بالجزاءات القانونية و /أو المادية، مثلا

⁴³ محمد البيضاني، من العلوج إلى زنقة زنقة، خطاب إعلامي من نوع آخر، صحيفة المدينة، موقع الكتروني - تصفح بتاريخ 26-11-2020 .

⁴⁴ محمد خطابي، ما الخطاب السياسي؟، في قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، المغرب، الطبعة الأولى، 2016، ص ص 29-30.

إصدار القوانين أو الأوامر والقواعد والضوابط (أحدث مثال على ذلك مدونة السير في المغرب: العقوبة الحبسية والغرامة المالية). وغالبا ما تلجأ الخطابات المتمتعة بسلطة مؤسسية إلى الإكراه اللغوي في أثناء وضع الأجندات وجداول أعمال اللقاءات، وإذا لم يتم ذلك مارست ضروبا من الرقابة.

2. المقاومة والمعارضة والاحتجاج: يمكن أن تلقى عدد من استراتيجيات الخطاب المستعملة من قبل ذوي السلطة مواجهة من أشخاص ذوي سلطة أضعف. ومن أساليبه العكس أو لغات مشفرة (سرية) أو خطابات ساخرة توظف تقنيات المعارضة الساخرة أو الهزلية؛ ونظرا لارتباطها بظروف مؤسسية فقد تكون بعض هذه الخطابات أشد تلاعبا من غيرها.

3. إضفاء الشرعية: لا يمكن أن يستعمل الفاعلون السياسيون في المجتمعات الديمقراطية القوة المادية وحدها؛ وذلك أن سلطتهم ينبغي أن تضى عليها الشرعية ليقتنع الجمهور بالخضوع لها. نسوق على هذا مثال المنظمات الدولية المفتقرة على سلطة الإكراه والرشوة أو شراء الامتثال للقوانين الدولية. أما سلطتها الوحيد فهو حشد الدعم باعتماد الشرعية. يعبر عن إضفاء الشرعية، على وجه العموم، بواسطة استراتيجيات لغوية صريحة أو ضمنية وبأنساق تواصلية أخرى. وتضم هذه التبرير الذاتي حيث تستخدم المنظمة (الدولية المعنية) التعريف الإيجابي للذات زاعمة أنها مصدر سلطة ويمثل الوجه المقابل للشرعية نزعها من الآخر فردا كان أو جماعة، وقد يتجلى هذا في تقديمه تقديما سلبيا، واستعمال أفعال التوبيخ والإقصاء والتهميش والهجوم على الطابع الأخلاقي، والسلامة العقلية، بل والطبيعة البشرية.. ولأبأس من التذكير بأن إضفاء الشرعية ونزعها يعد أيضا جزءا لا يتجزأ من الحملات الانتخابية، وهي تحتل واجهة السجلات المذاعة بين الخصوم السياسيين.

4. **التقديم وسوء التقديم:** يرى "شيلتون" أن المراقبة تشمل مراقبة المعلومات؛ فقد يُسمح بالاطلاع على قدر معين من المعلومات، لكن القدر المطلع عليه ربما كان أقل مما يكفي للاستجابة لحاجات المستمعين و/أو المشاهدين واهتماماتهم أو انشغالاتهم.

قد يكون الكذب أقصى أشكال سوء التقديم، ولكنه قد يتضمن أيضا تكتيكات النفي والتهرب، وبالطبع يعتبر أسلوب التلطيف مثلا جيدا من سوء التقديم.

المطلب الثاني: تحليل الخطاب السياسي

منذ ظهوره علم تحليل الخطاب في الستينات في المدارس الفرنسية والأنجلوأمريكية، فقد جاء بسبب عجز النظرية البنوية السوسيرية عن الوصول إلى الكثير من المسائل، و هذا لتوقفها عند حدود الجملة، بعد أن أخرجت الخطاب أو الكلام تماما من حيز الدراسة اللغوية، باعتباره ظاهرة فردية على عكس اللسان الذي يمثل المجتمع، وهكذا قرر المختصون، وبعد أن رأوا في اللسانيات السوسيرية قاصرة عن الدراسة العميقة والحقيقية للظاهرة اللغوية، فقد قرروا إدخال الخطاب حيز الدراسة اللغوية وركزوا على الجانب الاجتماعي والثقافي والعملي للغة .

وتحليل الخطاب هو حقل معرفي مستقل غير متجانس يتخذ الخطاب كمبحث للدراسة، يستمد مفاهيمه وتعريفاته من علوم أخرى: اللسانيات البنوية، علوم الاتصال، الفلسفة، علم الأجناس البشرية ...

والخطاب في علم تحليل الخطاب وإن تعددت تعاريفه فالمنطلق يبقى واحدا: لا يجب تحليل الخطاب على أنه تسلسل من الجمل، بل على أنه تتابع لمفوضات، والمفوظ هو كل قول ينتج في ظروف زمنية ومكانية محددة، وبهذا يدخل في إطار دراسة تحليل

الخطاب أي تعليق بسيط، نكتة، حوار عادي، خطاب سياسي، نشرة الأخبار، خطاب ديني...

وأدرك اللغويون أنه لفهم اللغة لا بد من فهم الخطاب، ولفهم الخطاب لا بد من معرفة نوايا المتخاطبين والإحاطة بالسياق، وهكذا ظهرت وتطورت الكثير من الدراسات والنظريات في علم تحليل الخطاب: النظرية التداولية، النظرية الحوارية، النظرية التلغوية، نظرية التواصل ...

الفرع الأول: الإرهاصات الأولية لتحليل الخطاب

يرجع العديد من المهتمين الإرهاصات الأولية لتحليل الخطاب إلى مرحلة 1919م-1920م، وهي مرحلة تزامنت مع تأسيس اللسانيات على يد (فيردناند دوسوسور sureF.Desaus)(1856م-1913م) واضع أسس اللسانيات البنوية الحديثة، وقد انطلقت هذه الإرهاصات بكيفية خجولة حيث أنها لم تتمكن من الذهاب بعيدا في ضبط مفهوم الخطاب ولم تتجاوز هذه الإرهاصات حدود القراءات التفسيرية والتأويلية البسيطة للخطاب، والتي استمرت في تفسير وتأويل الخطاب إلى الخمسينيات حيث بدأ التفكير الجاد في كيفية تعريف الخطاب وضبط آليات تحليله باعتباره اشكالية مفهومية ومنهجية داخل الحقل اللساني، وقد أهمل (فيردناند دوسوسور sureF.Desaus) الكلام في أبحاثه باعتباره جزءا خارجا من البحث اللساني لارتباطه بعناصر غير لغوية على نحو العنصر النفسي الفردي والاجتماعي، ونتيجة هذا الوضع هيمنت "لسانيات اللسان" معتمدة في ذلك التحليل اللغوي في كل أبعاده الفونولوجية والمرفولوجية والتركييبية في مستوى ما فوق الجملة، الأمر الذي عمل على تطوير اللسانيات البنوية في هذه المرحلة متجسدة في "لسانيات اللسان"، مقابل تهميش لسانيات الخطاب، هذه الأخيرة التي أجلت إلى ظهور نظرية أخرى تجاوزت "لسانيات اللسان"،

انطلاقاً من الاستثمار في مفهوم الكلام رغم غموض هذا المفهوم في التحليل اللغوي، وهي لسانيات عملت على إعطاء مفهوم الخطاب حقه في البحث والدراسات، وهو ما تحقق بالفعل، مع اللسانيات البنيوية ما بعد السوسورية F.Desaussure التي اتخذت من مفهوم الخطاب إحدى مواضيعها الرئيسية⁴⁵.

الفرع الثاني: المدارس النظرية لتحليل الخطاب السياسي

1. الخطاب واللسانيات البنيوية:

بعد انعقاد المؤتمر العالمي للسانيات ب لاهاي 1928م، أعيد طرح إشكاليات الخطاب على الحقل اللساني، خصوصاً مع انتشار مبدأ "المحاينة Immanence" الذي وظفه الشكلاينيون الروس (1915م-1920م) في تحليلهم للنص الأدبي، وهو مبدأ أعاد توظيفه (تودوروف Tzveran Todorov) 1965م، مع إعطائه دلالة أعمق متخذاً من مبدأ "المحاينة" إحدى مبادئ تحليل النص، بعد ذلك بدأت إشكالية الخطاب تستحوذ تدريجياً على مجال البحث اللساني، خصوصاً بعد التقدم الذي عرفته نظرية تحليل الخطاب على حساب نظرية تحليل النص مستفيدة في ذلك من تراكمات نظرية تحليل الخطاب ومن مناهج تحليل النص⁴⁶.

2. المدرسة الفرنسية وتحليل الخطاب:

عرف الحق المعرفي بفرنسا أوائل الستينيات ظهور اتجاهات عدة في تحليل الخطاب كان القاسم المشترك بينها هو تجاوز بعض مناهج تحليل النصوص المتداولة

⁴⁵ بلقاضي ميلود، الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2011، ص14.

⁴⁶ نفس المرجع، ص22.

في السوق اللغوي الفرنسي مستفيدة في ذلك من كل التراكمات المعرفية التي اهتمت بتحليل الخطاب ومنفتحة في نفس الوقت على أبحاث أخرى اهتمت بتحليل الخطاب كأبحاث (لاكان Lacan) و(ميشال فوكو M.foucault)، وهو ما أحدث ثورة فكرية في الفضاء اللساني وكان لها الأثر الكبير في تطوير نظرية تحليل الخطاب⁴⁷.

وتوخيا للتدقيق، لابد أن نرى مع "مارك أنجنو Marc Angenot" دون إجحاف في حق مدرسة أو تيار أن أصول تحليل الخطاب في فرنسا، تمثلت في إرادة بعض الباحثين المؤرخين ابتكار منهجية لتحليل محتويات نصوص سياسية، أو إيدلوجياتها...؛ منهجية استقراء خارجي للتغيير السطحي للنصوص السياسية، بغية الكشف عن شيء ما كنواة لعمق المفردات؛ عن أساس يشمل بالتحويلات والتوسيعات ملفوظات محققة وذلك بالاشتغال عن نصوص منتجة في مؤتمرات أحزاب، وفي مطبوعات جرائد، وفي منشورات ومقالات الهجاء الدعائية⁴⁸.

وتعتمد المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب على المنهجية الوصفية وبتزعمها Z.Hariss, E.Benveniste, R.Jakobson وتقوم على تحليل الرصيد المفاهيمي للخطاب السياسي معتمدة في ذلك على مجموعة من المقتربات : المقترب المفاهيمي، المقترب النصي، مقترب المنطوق، المقترب المعجمي.

3. اللسانيات الأمريكية والخطاب:

لما كان الاتجاه البنيوي يهيمن على اللسانيات الأوروبية، كانت اللسانيات الأمريكية تعيش تحت وطأة الاتجاه الاجتماعي والنفسي، حيث كان علماء الاجتماع وعلماء النفس

⁴⁷ نفس المرجع، ص 27.

⁴⁸ ويعتبر العدد الواحد والثمانون لمارس 1986م، من مجلة Langages خير معبر عن وضعية تحليل الخطاب في الساحة الفرنكفونية.

يضعون تقنيات تحليل منتمية إلى مباحث تحليل المضمون، هذه التقنيات التي كانت تحدد دلالات النص انطلاقاً من علاقاته مع الأبعاد الاجتماعية و النفسية، وكان على رأس هذه المناهج المنهج التوزيعي (الهاريسي Z.Harris) الذي هيمن على جل الدراسات، انطلاقاً من تطوير آراء ومبادئ أب اللسانيات الأمريكية (بلومفيلد 1933م)؛ هذا الأخير الذي اعتمد على علم النفس السلوكي لتحليل السلوك البشري لمعرفة كل الحوافز، أي كل الأحوال و الشروط التي أنتجت ذلك السلوك. وانطلاقاً من هذه المبادئ اعتبرت اللسانيات الأمريكية الخطاب "تشكيلية خطابية" يجب أن تحلل من خلال شروطها الخارجية⁴⁹.

وتركز المدرسة الميكانيكية لتحليل الخطاب في اللسانيات الأمريكية والتي يتزعمها M.Pechaut الذي أسس خطوطها العريضة منذ سنة 1975م، بربط ثلاث حقول معرفية في تحليله: المادية التاريخية كالنظرية للأشكال المجتمعية والتحويلات التي شهدتها نظرية الإيديولوجيات.

اللسانيات كآلية ونظرية لتحليل النصوص.

نظرية الخطاب كنظرية متممة لمسلسل السيميائيات. وعليه فإن Pechaut يحيل إلى تداخل: الإيديولوجيات والخطاب/والخطاب والإيديولوجيات⁵⁰.

4.نظرية تحليل الخطاب:

⁴⁹. بلقاضي ميلود، المرجع السابق، ص24.

⁵⁰ عبد الرحمان شحشي، قراءة في الخطاب عند الحسن الثاني تحليل آليات الاشتغال في الحقل الديني والسياسي، المطبعة الملكية، الرباط، المملكة المغربية، 2007، ص14.

تاريخيا انبثقت نظرية تحليل الخطاب من علوم اللغة في بعدها البنيوي أو الاجتماعي أو التداولي أو التواصلية ومن العلوم السياسية، لكن الإشكالات التي واجهتها نظرية تحليل الخطاب في بدايتها تكاد تتشابه مع تلك الإشكالات التي عرفتتها اللسانيات في مرحلة تأسيسها، ويأتي في مقدمة هذه الإشكالات ما ترتبط في عمقها بتداخل المفاهيم في كثير من الأبحاث المهمة بتحليل الخطاب، حتى أصبحت هذه المفاهيم مترادفات، وهذه المفاهيم هي النص، الحديث، القول والخطاب.

وقد قام الباحثان الكنديان، "جيل دوشاستيل Jules Duchastel وجيل بورك Gilles Bourque" في أطروحة " Pour une nouvelle analyse du discours politique" أجل من تحليل جديد للخطاب السياسي " اذ تبنت مشروع جديد لتحليل الخطاب السياسي تنظيرا وتطبيقا؛ فقد أمست عملية تجميع وإحصاء الوحدات المعجمية غير كافية، مما حفز على خلق إجراءات أكثر رصانة، تتعدى إلى وصف صيغ تواتر الوحدات في الخطاب؛ وعليه لم يبقى الإحصاء سوى خطوة أولى يراد بعدها نقل المعطيات إلى رموز رقمية "Codes numeriques" تتطابق مع قيم مستندة إلى متغيرات إن ذلك يلبي رغبة تسخير البرامج لتوجيه معجم الخطاب والتنبؤ بإجراءات محددة قادرة على تحيين مقامات ظهور الوحدات من خلال استدعاء وحدة معجمية أو مقولة مسندة إليها. فالمعلومات عموما في استعمالها ضمن اللسانيات التطبيقية طمحت منذ الانطلاقة إلى صورنة البنية النحوية للجملة، وعمليات اكتساب اللغة، وأيضا السيرورات المعرفية عن طريق البرامج المعلوماتية⁵¹.

⁵¹ عبد الرحيم العماري، نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر، مرجع سابق، ص100.

ويمثل مجال التداولية الاجتماعية في تحليل الخطاب السياسي افقا علميا معرفيا ومنهاجيا للبحث، حيث يعطي الأهمية للهوية المجتمعية أو الصورة المجتمعية للأفراد⁵².

وقد تناول فان ديك Van Dijk في تحليل الخطاب السياسي بدراسته خطابي "كورمان Gorman" عن الحزب المحافظ الحاكم، والبرلماني "جيجيمي كوربان Jeremy Gorbyn" عن الحزب العمالي المعارض، حول طالبي اللجوء، بمجلس العموم البريطاني في مارس 1997؛ إلى تبيان الكيفية التي عبرت بها مجموعة من البنيات عن مختلف الإيديولوجيات، وخاصة الإيديولوجيات العنصرية، والأخرى المناهضة لها. فيندرج تناول "فان ديك" للإيديولوجيا في تحليله للخطاب السياسي ضمن نظرية متعددة التخصصات، وقد حددها بأنها أساس التمثيلات الاجتماعية التي تشترك فيها جماعة ما وتتميز ببعدين: ثابت ومتغير؛ يتمثل بعده الثابت في أنها تمثيلات ذهنية تشترك فيه الجماعات اجتماعيا. ويتجسد بعدها المتغير في أنها نماذج ذهنية لأفراد الجماعة، تستند إلى تستند إلى الإيديولوجيا، وتعد نوعية وذاتية وتتحكم في الخطاب وباقي الممارسات الاجتماعية في وضعية معينة. كما تتميز بأنها⁵³:

- نسق من أنسفة المعتقدات الاجتماعية المخزنة في الذاكرة طوية المدى، التي يشترك فيها أعضاء المجموعات الاجتماعية النوعية، وكذا أعضاء الجماعات الإيديولوجية.
- الأساس "القيمي Axiomatique" الخاص بالمعتقدات الأكثر نوعية أو بالتمثيلات الاجتماعية الخاصة بجماعة معينة، مثل: المعرفة أو الآراء أو المواقف التي تشترك فيها هذه الجماعة.

⁵² نفس المرجع.

⁵³ عبد الله الخراط، الإيديولوجيا والشعبي في الخطاب السياسي المغربي المعاصر، في قراءات في الخطاب السياسي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، أكادير، المغرب، 2016، ص ص 425-426.

- تتطور في شكل موارد مشتركة اجتماعيا وتحافظ على الانسجام والتآزر داخل الجماعة، كما توفر وسائل فعالة لإقامة علاقات بين مختلف الجماعات.
- تسهم في التنافس والصراع والهيمنة والمقاومة القائمة بين الجماعات، وهذا ما يفسر سبب تقاطب العديد من البنيات الذهنية الخاصة بالإيديولوجيات بين ما ينتمي للجماعة وما هو مقصى منها أي بين "نحن" و"هم".
- تتحكم في الممارسات الاجتماعية، ومن تم تتحكم في الخطاب، غير أنه عادة ما تسهم التمثيلات الاجتماعية الأكثر نوعية في دور الوسيط داخل الجماعة، مثلما تؤدي النماذج الذهنية الملموسة دور الوسيط لدى الفرد.

المبحث الثاني: المقاربات النظرية للتواصل السياسي

نتحدث في هذا المبحث عن الإطار العام والمفاهيمي لكل من الاتصال وكذا ارتباطه بالاتصال السياسي ثم سيتم التركيز على أهم النظريات والمقاربات المرتبطة بالاتصال السياسي ومستوياته.

المطلب الأول: ماهية الإتصال وارتباطه بالاتصال السياسي

الفرع الأول: في معنى الإتصال

يشير الاتصال إلى ذلك النشاط الاجتماعي والإنساني الذي يتم من خلاله تبادل مجموعة من الأفكار والرسائل ما بين الأفراد والجماعات، وذلك بالإعتماد على مجموعة من الوسائل والأساليب (شفوية، كتابية والإلكترونية) وذلك بهدف إحداث التأثيرات المرغوبة على مستوى المتلقي.

وهناك من اعتبر الاتصال بأنه عملية نشر المعلومات بهدف تغيير أو تعديل سلوك فرد أو جماعة وهذا يعني أن الإتصال عملية تتضمن نشر المعلومات وذلك بهدف إحداث أثر ما لدى المتلقي، لكن ما يعاب على هذا المفهوم هو حصر وظيفة الاتصال في النقل فقط وعدم تحديده لطرفي العملية الاتصالية¹ ومن جهة أخرى يعرف الاتصال: "عملية تفاعل اجتماعي يستخدمها الناس لبناء معان تشكل في عقولهم صوراً ذهنية ويتبادلون هذه الصور الذهنية عن طريق الرموز"².

¹ Pierre Mangeau et Johanne Saint charle, Communication horizons de pratique, Volume 2, Press de luniversite de Quebec, Quebec, 2006, p24.

² بومشعل يوسف، "واقع الاتصال السياسي في الجزائر: من الأحادية السياسية إلى التعددية السياسية"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10، عدد4، ديسمبر 2018، ص1014.

إن الاتصال هو انعكاس طبيعي للفلسفة السياسية والاجتماعية السائدة في المجتمعات ذات الفلسفة الليبرالية على المستوى الاقتصادي، الاجتماعي والسياسي وحيث أنها تفرز نظاما اتصاليا يؤمن بالدور الإيجابي والتشاركي للفرد في الحياة الاجتماعية بمختلف أبعادها¹. والربط بين الاتصال والمجتمع بنظمه ومؤسساته المختلفة حيث تعتبر العملية الاتصالية انعكاس لتطور المجتمع وحجم النشاط الاتصالي وانتقال أدوار الاتصال الفردية الموجودة في المجتمع التقليدي، وكذا اتساع وتعدد سلاسل الاتصال كما يعكس أيضا التطور الاقتصادي وملكية إمكانيات الاتصال والاستخدام الهادف لها والسيطرة عليها وكل هذا يعكس بدوره التطور السياسي وفلسفة المجتمع، ومضمون الاتصال في أي وقت معين يعكس نمط القيم السائدة.

الفرع الثاني: في مفهوم الاتصال السياسي

في العصور القديمة وتحديدا العصر اليوناني ثبت التركيز والاهتمام على رأس النظام السياسي دون الاهتمام بشكل كبير بالاتصال بين الدولة والأفراد، إلا أنه ساهم بعض الفلاسفة اليونانيين في تكون الاتصال السياسي مثل أرسطو "السياسة والخطابة". وعلى الرغم من العلاقة الصريحة والواضحة بين المفكرين السياسيين والاجتماعيين حول الطبيعة البشرية ونظرياتهم السياسية والعلاقة بين المحكوم والحاكم كما "توماس هوبز"، و"جون لوك"، "جون جاك روسو"؛ إلا أن موضوع الاتصال السياسي والاهتمام بحاجات المجتمع السياسية لم يكن لها وجود فقد اهتمت الفكرة الفلسفية والقانونية والتاريخية على حساب المواضيع السياسية، وبقي الفصل بين ممارسة السلطة وممارسة الافراد سائدا في الفكر السياسي كما كان يعتقد "مكيافلي" بكتاباته عن السياسة بمعزل عن الاخلاق والدين وركزت بالحاكم من دون المحكومين، وأيضا "جون بودان Jean

¹ كمال الدين جعفر عباس، البعد الفكري للاتصال السياسي، ط1، بيروت، المكتب الإسلامي، 2004، ص34.

"Bodin" الذي تطرق للمواطنة والتي تعني الخضوع المطلق للنظام السياسي الحاكم، وظلت هذه الأساسيات سائدة في الأفكار المتداولة حتى العصور الحديثة¹.

وشكلت النظرية الليبرالية "جون ميلتون John Milton" مرحلة جوهرية في تاريخ الاتصال السياسي فبداية من النظرية الليبرالية تشكلت مطالب بأهمية حرية الرأي والتعبير وتحرير الاتصال وفتح المجال وتشجيع الاتصال والحوار والنقاش واستعمال العقل للوصول إلى الحقيقة، وهو ما لاقى اهتماما وترحيب من العديد من الفئات في أوروبا بشكل عام وخاصة رجال الدين، رجال الأعمال والساسة الذين طالبوا بمزيد من الحرية في المجتمع².

وبعد الحرب العالمية الثانية وبتطور النظرية السلوكية في العلوم الإنسانية والاجتماعية تمثل الانطلاقة الأساسية للاتصال السياسي وبرزت بذلك محاولات تنظيرية للبحث عن العلاقة الارتباطية بين الجماعة النشطة والقيادة السياسية وذلك بدراسات حول دور القيادات في التأثير على الناخبين، وتم في 1965م محاولة التنظير الفعلي أين برز الاتصال السياسي كمتغير رئيسي في البحوث السلوكية وذلك بدراسة العلاقات بين المؤسسات الرسمية الحاكمة والسلوك السياسي للمواطن.

وأدى التوسع الكبير في وظائف الدولة إلى تجاوز النظرة التي كانت تفصل بين نشاط السياسية ونشاط الأفراد وذلك بالاهتمام أكثر بالرأي العام وظهور الأحزاب السياسية وجماعات الضغط التي تساهل في بلورة الحياة السياسية والعلاقات فيما بينها

¹ جابر علاوي، الاتصال السياسي، دار مجد للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2015، ص163.

² نفس المرجع، ص165.

وكذا الاهتمام أكثر بالسلوك والمشاركة السياسية والانتخابات والكثير من المفاهيم المرتبطة بالاتصال السياسي¹.

ويعتبر الإتصال السياسي تفاعلا بين طرفين من خلال قناة معينة وحول قضية بذاتها وكذلك فهو تبادل للمعلومات بين الحاكمين والمحكومين بشكل صريح أو ضمني لأجل احتلال مركز السلطة أو لتطبيقها، فهو لا يتعلق بطبيعة المتكلم أو بمحتوى الخطاب السياسي التواصلي فهو كل هذا فالإتصال هو نتيجة سياسية مباشرة أو غير مباشرة لكي تؤثر على النظام السياسي وجوهه.

وفي هذا السياق يعرف كارل دويتش النظم السياسية بأنها شبكات واسعة للإتصال ويجعل التكامل السياسي قرينا لتدفق الاتصالات وسيولتها بين الحاكم والمحكومين وفي نفس المنحنى يذهب دفيد استون إلى التركيز على أهمية الاتصال في ربط مدخلات النظام السياسي ومخرجاته من خلال الاغذية الإستراتيجية، مرجعا أي خلل في الإنسجام بين عنصري المدخلات والمخرجات إلى التشويه المتعمد والتلقائي الذي يحيط بالعنصر الأول والذي يتوقف عليه نوع الإستجابة.

"الاتصال السياسي هو ذلك الفضاء الذي يتم فيه تبادل الخطابات السياسية المتباينة بين ثلاث قطاعات متناقضة لها شرعية التحدث العلني حول السياسة وهم رجال السياسة، الصحفيون، والرأي العام"²

وقد عرف الاتصال السياسي: "مجموع التقنيات والمسالك التي يعتمد عليها الفاعلون السياسيون من أجل إغراء وإدارة ومراوغة الرأي العام، ويمارس الاتصال السياسي من قبل الشخصيات والأحزاب السياسية من أجل ضم المواطنين ودفعهم لتقبل

¹ سعد بن سعود بن محمد بن عبد العزيز آل سعود، المرجع السابق، ص ص 38-39.

² Dominique Wolton, op.cit.

البرامج والأفكار السياسية، ويعتمد الاتصال السياسي خصوصا على المزاج ما بين تقنيات الملاحظة الاجتماعية الخاصة بعلم الاجتماع وتقنيات ترويج المنتجات الخاصة بالإشهار"¹.

يتضح من هذا التعريف أن عملية الاتصال السياسي تعتمد على عدة أساليب وتقنيات لإقناع الرأي العام والتحكم فيه وفق الطرف الذي يخدم مصالح القائمين على تسيير الشؤون السياسية، فبالإتصال يتمكن كل هؤلاء من التعريف بسياساتهم وتوجهاتهم ومن ثم دفع المتلقي إلى تقبلها.

هناك أيضا من ربط وعرف الإتصال السياسي بعملية الانخراط والمشاركة حيث يرى: "أن الإتصال السياسي هو المحرك الرئيسي لعملية الانخراط والمشاركة، ويفترض الإتصال السياسي صياغة الأهداف الخاصة بالقوى السياسية وفق ما يتمشى وتوقعات الناخبين"².

وما يلاحظ في هذا التعريف ارتباط عملية الإتصال السياسي بالمسار الانتخابي فقط دون أن يتطرق لمختلف العمليات السياسية التي تتركز على الإتصال السياسي كوسيلة لتفاعل مختلف النشاطات والعمليات كالأحزاب السياسية والنقابات العمالية وغيرها.

وهناك من يرى أن "الإتصال السياسي هو مجموع العمليات الصادرة عن السلطة العمومية وإدارتها والموجهة للتأثير على الرأي العام ومختلف القطاعات وذلك من أجل

¹ Alex Mucceheilli, Les sciences de l'information et de la communication, 4eme edition, hachette, Paris, 2006, p6.

² Vincet Georis, La communication Politique, Centre de recherche en ecologie politique, 2005,p05.

التعريف بسياساتها ومواقفها واختياراتها والعمل على تفسيرها ومن ثم دفع الرأي العام إلى تقييمها وتقبلها...¹.

وما يتبين هنا أن الاتصال السياسي يظهر أو ينحصر في مجموع التصرفات التي تقوم بها السلطة السياسية بمختلف أقسامها وإدارتها السياسية بهدف السيطرة والتأثير على الرأي العام وذلك من خلال التعريف بالسياسات والخيارات التي تنتهجها السلطات السياسية في علاقاتها إضافة إلى دفع الرأي العام إلى قبول المواقف المعلن عنها من طرف السلطة السياسية.

وحسب دومينيك والتون فإن الاتصال السياسي هو فضاء واسع يتم فيه تبادل الخطابات المتعارضة من طرف ثلاث فاعلين يمتلكون جزء من الشرعية السياسية والديمقراطية هم رجال السياسة الصحفيون والرأي العام.

ويرى "جون ماري كوتري" بأنه تبادل للمعلومات بين الحكام والمحكومين عبر قنوات ارسال مهيكلة أو غير رسمية وهو يلبي مطالب ويستجيب على وجه الخصوص لحاجة معينة وهي تأمين الربط بين الحكام والمحكومين ذلك أن الحاكم يريد أن يجعل قراراته مقبولة وكل محكوم يسعى لأن يشكل ويصوغ حاجته ويجعل الآخرين يوافقون عليها وهذا لن يتم إلا بالاتصال أي التبادل².

وبناء على هذا فإن الاتصال السياسي يتكون من الحاكمون والتي تشمل في النظام السياسي وأيضا السلطة والمحكومين والذين يمثلون المواطنين.

¹ Dominique Sellier, La Communication gouvernementale, en europe, l'harmattan, 2006, p16.

² ناصر فتح الله، إشكاليات في الاتصال السياسي المعاصر، تصفح بتاريخ: 2019/06/15 على الموقع:

www.nasserfatahallah.blogspot.com

الاتصال السياسي هو ذلك العلم الذي يدرس مجموعة من الأنشطة والفعاليات التي يزاولها القائمون بالعملية الاتصالية من أجل تحقيق أهداف سياسية وينصب جوهره على إحداث التأثيرات وتغيير الاتجاهات والآراء لدى الجمهور المتلقي، وهذا التحقيق أهداف محددة يسعى لها القائم بالعملية الاتصالية¹.

وعرف الباحث "سكدسون" الاتصال السياسي "باعتباره عملية نقل للرسالة يقصد بها التأثير على استخدام السلطة أو الترويج لها في المجتمع، كما اعتبره الباحثان "دينتون ودوارد" المناقشة العامة حول السلطة ومصادر الدخل العام في المجتمع". أما الباحث "ماكينر" يرى أن الاتصال السياسي "أنه اتصالا هادفا حول السياسة وهو يتضمن العناصر التالية:

- كل أشكال الاتصال التي يقوم بها الفاعلون السياسيون لتحقيق أهداف معينة والمقصود بكل أشكال الاتصال هنا هو الرسائل المكتوبة أو المنطوقة وكذلك كل المظاهر المرئية التي تعطي الدلالة مثل شكل الوجه الملبس فهذه الأشياء وغيرها من الرموز الاتصالية قد تشكل وتكون الهوية السياسية.
- الاتصال الموجه إلى السياسيين من غير المشتغلين بالسياسة كالناخبين الأعمدة الصحفية وغيرهم.
- الاتصال الذي يتناول السياسة والأنشطة المرتبطة بها كما تناولها التقارير الإخبارية والافتتاحات والأشكال الأخرى من تناول وسائل الاعلام للسياسة².

عرف الباحث "فليب دافيسون" الاتصال السياسي: " بأنه الطريقة التي تقوم بها الظروف السياسية بتشكيل نوعية الاتصال وكميته من جهة وهو الطريقة التي يمكن

¹ فاروق أبو زيد، مشكلات الاتصال السياسي في مصر، مركز البحوث والدراسات السياسية، مصر، 2000، ص20.

² Brian McCair, An Introduction to Political Communication, 5edition (London, Routledge, 2011), p5.

بها أن يقوم بها ظروف الاتصال بتشكيل السياسة من جهة أخرى"، أما "كارل دويتش" أن "الاتصال السياسي هو عصب العملية السياسية فإذا كان الاتصال السياسي فعالاً قلل الخطأ في اتخاذ القرارات التي هي قيمة وغاية العمل السياسي¹.

وهناك من اعتبر أن الاتصال السياسي فرع علمي متخصص في دراسة الاتصال الذي تقوم به الحكومة اتجاه الناخب وهو ما يسمى اليوم بالاتصال الحكومي كما يشير أيضاً إلى عملية تبادل الخطاب السياسي بين رجل السياسة في السلطة والمعارضين خصوصاً أثناء الحملات الانتخابية ويتسع هذا المفهوم ليشمل أيضاً دراسة دور وسائل الإعلام في نقل الأخبار إلى الرأي العام وهذا بهدف اهتمامات الرأي العام وسلوك رجل السياسة².

وكما نلاحظ أن معظم التعاريف قد ركزت على جانب محدد من الاتصال السياسي فمثلاً "سكدسون" يركز على عملية نقل الرسالة والهدف منها دون الإشارة إلى مضمونها، أما "دينتون وودوارد" حاولا الأمام بكل جوانب عملية الاتصال السياسي من خلال التركيز على مضمونها والقائم بها ولكنهما لم يشارا إلى متلقي الرسالة باعتباره عنصراً فاعلاً فيها أيضاً لأنها بناء على اهتماماته وبحث عن ارضاءه توجد تلك الرسالة³.

الفرع الثالث: الاتصال والاتصال السياسي

اهتم "قابريال ألموند" بتحديد موقع نظام الاتصال في النظام السياسي وشبه الوظيفة الاتصالية بالدورة الدموية، واعتبر وسائل الاتصال الجماهيرية المدخل الرئيسي للتعبير

¹ جابر علاوي، الاتصال السياسي، دار مجد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2015، ص161.

² Dominique wolton, La communication politique construction d'un modele,

www.documents.irevues.inist.fr

عن المصالح في المجتمعات الديمقراطية، رغم سيطرة النخب السياسية عليها وتتمثل وظيفة الاتصال في هذا النوع من الجماهير فيما يلي¹:

-التنشئة السياسية.

-التعبير عن مصالح المجتمع.

-تأييد القرارات والسياسات العامة.

ويعتبر أنصار المنهج البنائي الوظيفي أيضا أن الإتصال هو من وظائف النظام السياسي حيث يميز قابريال ألموند G.ALMOND بين نوعين من الوظائف الأساسية. النوع الأول: ويكون على مستوى المدخلات ويتمثل في التنشئة والتجنيد السياسي ويجمع المصالح والتعبير عنها والاتصال بين مختلف أجزاء الجسد السياسي.

النوع الثاني: على مستوى المخرجات ويشمل صنع القاعدة القانونية وتنفيذها والتقاضي بخصوصها.

ويسير "الموند" إلى فعالية أداء النظام على المستويين معا محكوم بفعالية في ممارسة وظيفته الاتصالية، فالتعبير عن المصالح يقتضي حدا أدنى من الاتصال بين أصحاب تلك المصالح للتعرف على الظروف المحيطة بالنظام والإمكانات السانحة لممارسة الضغط عليه في اتجاه تلبية مصالحهم كما أن صنع وتنفيذ القاعدة القانونية يستدعي نظاما دقيقا لجمع المعلومات وتدقيقها وتحليلها.

وخلص "الموند" على أن كل شيء في السياسة اتصال، فالإتصال السياسي هو أهم القنوات الأساسية لتدفق المعطيات والمعلومات من الفاعلين السياسيين إلى المتلقي

¹ سعد بن سعود بن محمد بن عبد العزيز آل سعود، الإتصال السياسي في وسائل الاعلام وتأثيرها في المجتمع السعودي، (أطروحة دكتوراه في الاعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والاعلام، 2006)، ص 43.

والمتمثل أساسا في الجماهير والعكس صحيح أي نقل المعطيات من الجماهير إلى النخب السياسية.

فالحديث عن التواصل هو حديث عن التكنولوجيا، إذ أصبح التواصل المباشر بين الأفراد يترك مكانة لصالح تواصل قائم على الآليات من أبسطها إلى أكثرها تعقيدا، التواصل كذلك هو إيديولوجية، فهو إيديولوجية العالم المعاصر، وبالتالي فيجب عند دراسة العلمية التواصلية استحضار مختلف هذه المعاني ويمكن أن نضيف إلى هذا التعقيد كون فهم التواصل السياسي مرتبط بدراسة عناصر العملية التواصلية.

-المرسل للمعلومات السياسية،

-الخطاب السياسي،

-قنوات التواصل السياسي،

-وأخيرا النتائج المتوقعة،

وطبعا لكل هذه العناصر تشعباته واشكاله إضافة إلى وجود متغيرات تتحكم في تفاعل هذه العناصر وتجعل هذا التفاعل يختلف من مكان ومن زمن لآخر.

المطلب الثاني: نظريات الاتصال السياسي

الفرع الأول: أهم المقاربات النظرية للتواصل السياسي

تخضع دراسة التواصل السياسي لمجموعة من المقاربات والنظريات التي اهتمت بهذا الموضوع فنجدها تتمثل في:

1-المقاربة السلوكية: L'approche comportemental

حيث أن الدراسات التي تمت حول الدعاية كانت لها أدوارا أساسية في بداية الأبحاث حول التواصل السياسي، ذلك أن تطور الممارسات الجماهيرية للدعاية في بداية القرن خاصة مع الحرب العالمية الأولى أثارت اهتمام الباحثين، وشكلت نقطة انطلاق الدراسات الحديثة حول التواصل السياسي.

وفي هذا الصدد عبر "لاسويل" سنة 1948م عن تساؤل مهم: "من يقول؟ ماذا؟ ولمن؟ وعبر أية وسيلة؟ وما هو تأثير ذلك؟"، وذلك من أجل وصف الفعل التواصلي فالتواصل هو أولا مجموعة من العناصر المرسل، والرسالة، والمرسل إليه، والرموز، والقناة الوضعية.

وقد اقترح علماء السياسة السلوكيون النظر إلى التواصل السياسي من منظور كونه إحدى السيرورات الواقعة ما بين القائد ومكونات المجموعة، التي من خلالها تتحرك المؤثرات السياسية لتكون متبادلة أو منقولة فيما بين المؤسسات الحكومية والسلوك الانتخابي للمواطنين¹

والمجال الآخر الذي بدا فيه مفهوم السلوك في التواصل متمركز حول مفهوم النقل Transmission وإشكالية التأثير هي البحوث حول الانتخابات فمنذ 1940م حاول لإزارسفلد La Zarsfeld ورفاقه في مكتب Applied social Resarche في جامعة كولومبيا دراسة وتحليل تأثير التواصل في الحملات الانتخابية.

2-المقاربة البنائية الوظيفية L approach structure fonctionaliste

غيرت هذه المقاربة تعريف التواصل السياسي، وذلك بأن ربطته بمحيط المجتمع لمجموعة من المنظومات المترابطة، وبذلك يصير التواصل السياسي مجموعة العمليات

¹ عبد الرحيم العمري، نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر خطاب الكتلة الديمقراطية من الميثاق إلى التناوب، منشورات زاوية للفن والثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص107.

التفاعلية بين عناصر نظام سياسي معين وبين هذا النظام ومحيطه فحلت بذلك مفاهيم مثل النظام والتبادل والتوازن بدل مفاهيم المقاربة السلوكية "العوامل النقل والتأثير". فأصبح التواصل يستعمل لتحديد الظاهرة السياسية، بحيث أن فعالية نظام معين في نظر "الموند" تحدد من خلال مجموعة من العناصر من بينها حجم المعلومات التي يتم تبادلها. وقد ارتكزت المقاربة الوظيفية بالاتصال السياسي على فكرة أساسية "فيما تعلمنا وسائل الاعلام أن نفكر؟"، وحسب هذه المقاربة فان وسائل الاعلام تؤثر على الحياة السياسية ويظهر هذا التأثير من نظرية "إيلي كوهين" من خلال دراسته لارتباط الاعلام بالسياسة الخارجية الأمريكية في 1963م¹، وهذه النظرية نموذج متعارف عليه والذي يؤمن بالقوة التامة لوسائل الاتصال الجماهيرية في السيطرة على الأفراد، ومنها المجال السياسي؛ فنظرية "إيلي كوهن" شرحت كيفية تأثير وسائل الاتصال الجماهيري في صنع توجهات الرأي العام.

وينظر للمقاربة البنائية الوظيفية إلى الحكومة بمثابة شبكة، وإلى جماعات الضغط بمثابة سيرورة تواصل، والأحزاب السياسية بمثابة أنساق وعوامل فهي مقاربة تستوعب وفق ما سلف حقل الظاهرة السياسية في مجال علم السياسة عموماً، كما نلاحظ التركيز على دراسة العلاقات بين المؤسسات وأجهزة التواصل، وتطور الشبكات ودور الوسائط بمثابة عوامل التغيير المجتمعي، بالطريقة التي تسطر منحى منهاجياً يوسع من زاوية النظر إلى الظاهرة التواصلية والخطابية في الممارسة السياسية².

¹ نور الدين هميسي، "الخارطة النظرية للبحث في الاتصال السياسي"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 14، 2017، ص 108.

² عبد الرحيم العماري، المرجع السابق، ص 108.

يستقيم هذا التخريج النهائي في المقاربة البنائية الوظيفية مع المقدمات والمنطلقات المرجعية، كما يتناسب مع الرؤية العلمية المشدودة إلى الانفتاح على الظاهرة التواصلية كما يتناسب مع الرؤية العلمية المشدودة إلى الانفتاح على الظاهرة التواصلية (الخطابية) كعامل فعال في التنظير للفعل السياسي.

3- المقاربة التفاعلية L approche interactionniste

وتظهر هذه المقاربة من اللحظة الأولى التي نعتبر فيها التواصل بنية تفاعلية وتنظم هذه المقاربة اتجاهين مختلفان بالخصوص في المكان الذي يوليئها بالبعد الرمزي للتواصل السياسي وتيار البعد الواقعي للتواصل أو التداولي له، حيث تنطلق المقاربة التفاعلية الاستراتيجية من أن (الفاعل يواجه خصوما، ويتخذ قرارات معلمة بالترابط، لهذا فالتواصل فعل استراتيجي: خارج الأدلة والأدلة والشفرات والرسائل التي تستعمل والتي تُكوّن البعد الرمزي، وخارج القنوات والشبكات التي تكشف البعد البنيوي يجب النظر إلى التواصل عبر البعد التداولي، ويتحدد تيار التفاعلية الرمزية الذي يدرس العلاقات بين الذات والمجتمع بمثابة سيرورة تواصل رمزي بين الفاعلين الاجتماعيين، فالتفاعل الرمزي نشاط كائنات بشرية تؤول سلوكاتها المتبادلة لتفعل في واقعها السياسي¹.

4- المقاربة الحوارية L approche dialogique

وتقوم أساسا على الشرعية التي ترتبط بالتوافق الناتج عن التجاوز، وهذه المقاربة لها أصول تعود إلى أرسطو إذ كانت الخطابة وسيلة الإقناع بينما كانت الساحات العامة مكانا لممارسة المواطنين لحياتهم في الشؤون العامة.

¹ المرجع نفسه، ص110.

ويحيل "جرستلي" إلى معطى أساسي في حقل التواصل السياسي¹:

تصور تذاوتي (Intersubjective) للتواصل = تفاعلية رمزية. }
المشترك
تصور علمي (Praxeologique) للتواصل = تفاعلية استراتيجية.

ومن ثم تكتسب قاعدة النموذج الحوارى الشرعية في التوافق المحصل اثر النقاش السياسى، وعليه يتشكل الفضاء العمومى بمثابة تلفظ بين مواطنين لهم الحرية فى المشاركة فى الشأن العام، بالخطاب، مصدر قرارات بعد نقاش بحجج.

5- المقاربة النسقية-الإستراتيجية:

يرى التصور الابستمولوجى التواصل إنتاجا ونقلًا للمعرف حول المحيط، بما أن النموذجين السلوكى والبنىوى الوظيفى انطلاقًا من كونه نقلًا وتبادلًا لمعلومات مؤدى كل ذلك التخريج الذى يقوم على التنظير للتواصل كتمثيل، خلافًا لذلك ينطلق التصور العلمى من كون التواصل بناء عالم مشترك بفعل متبادل يجعل الفضاء العمومى قادرًا للتفكير فيه، حيث قام النموذجان البنائى والحوارى على تصور التواصل عملية بناء للدلالة ضمن تفاعل مجتمعى لإشاعة علم مشترك وإيجابى.

وهذا ما نسميه بالمقاربة النسقية الإستراتيجية، التى تهدف فى منهاجها إلى إبراز طبيعة العلاقة (التغايرية) بين بنية الخطاب السياسى ببناء (نسقه)، وبين البنية الخارجى التى تحكمه، وهنا نعتد بالبعد الإستراتيجى فى الخطاب.

¹ عبد الرحيم العمارى، المرجع السابق، ص 110.

وهنا سنستفيد من مفهوم شروط الإنتاج وفق ما جاء في حقل تحليل الخطاب السياسي، ليرى طيف ينهض التوافق كبعد استراتيجي للفاعلين ولخطاباتهم، نشير إلى بعض الضرورات المنهجية على سبيل التمثيل فحسب:

- تحليل الخطاب من خلال التفلف، والإيحاء، والحجاج؛

- مقارنة بنية المعجم السياسي بترميم إحصائي أحياناً؛

- الربط بين البنية الموضوعاتية، والبعد التداولي (الحواري) للخطاب بأكمله، من خلال ترسيخ المعطى الذي مفاده ذلك الترابط (التفاعل) بين أهم الفاعلين السياسيين في المشهد السياسي بالمغرب¹.

6-المقاربة النقدية:

تبنت مدرسة فرانكفورت نموذج للدراسات الثقافية النقدية لوسائل الاعلام الجماهيرية والثقافية، اذ ساهمت المدرسة في تطوير وتحديث مقرب نقدي ومتعدد التخصصات لوسائل الاعلام يقوم بالجمع على نقد الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام، وتحليل النصوص، والاهتمام بالآثار الاجتماعية والايديولوجية لتقبل الجمهور للثقافة الجماهيرية والاعلام، وقد ركز "تيودور ادورنو" و "ماكس هوركايمر" بفحص الصناعة الثقافية كشكل من أشكال الطبقة العاملة في المجتمعات الرأسمالية، فكانت مدرسة فرانكفورت من مجموعة الماركسية الجديدة التي درست آثار الثقافة الجماهيرية و بروز المجتمع الاستهلاكي على الطبقات العاملة التي تنتظر اليها على انها أداة للثورة وفق أدبيات الماركسية الكلاسيكية، كما أنها وصفت كيفية المساهمة في الصناعات الثقافية

¹ نفس المرجع، ص111.

والمجتمع الاستهلاكي في استقرار الرأسمالية، وساهمت في تشكيل الاستراتيجيات الجديدة للتحويل السياسي في افق التحرر السياسي"¹.

وقد ركزت مدرسة فرانكفورت على الثقافة والتكنولوجيا، مؤكدة إلى تحول التكنولوجيا على قوة أساسية لانتاج التنظيم الاجتماعي والتحكم فيه، وقد ذهب "هربرت ماركوز" في مقال له سنة 1941م بعنوان "بعض الآثار الاجتماعية للتكنولوجيا الحديثة" بأن التكنولوجيا الحديثة تشكل أداة لتنظيم أو تغيير العلاقات الاجتماعية ونمط من أنماط السلوك السائد، فنتج التكنولوجيا في مجال الثقافة الشاملة تساعد الأفراد على الامتثال لأنماط السلوك والفكر السائد، وبذلك توفر أدوات قوية للرقابة الاجتماعية والهيمنة².

الفرع الثاني: مستويات الاتصال السياسي

1. الاتصال الصاعد

نعني به الاتصال من المواطنين إلى الحكومة أو الدولة ويكون على شكل احتجاجات، انتخابات، تصريحات في وسائل الاعلام، ويوفر الكثير من المعلومات لصانعي القرار، لذلك يستخدم للتعرف على اتجاهات الرأي العام وردود الأفعال بخصوص القرارات السياسية والتعديلات الدستورية أثناء حدوث الأزمات السياسية.

2. الاتصال النازل

كالاتصال من رؤساء الأنظمة السياسية إلى الوزراء ويتم عادة من خلال نقل القرارات الرسمية والتوجيهات والأخبار لتنفيذها وتعميمها على مختلف الجهات

¹ بكار أمينة وسوراخ الهام، "الاتصال السياسي مقارنة مفاهيمية ورؤية مستحدثة"، مجلة مقاربات، المجلد 2، العدد 28، جامعة الجلفة، الجزائر، 2017، ص 24.

² نجم العيساوي، قدرة الاعلام الجديد على تطوير الممارسة السياسية، تصفح بتاريخ: 2019/12/12 على الموقع: https://najmaleessawi.blogspot.com/2016/07/blog-post_22.html

الأخرى، وقد يكون كذلك من الحكومات إلى المواطنين أو من قبل رؤساء الأحزاب أو الناطقين باسم الحزب ويكون على شاكلة مراسيم، أوامر، دساتير؛ وتلعب وسائل الاعلام دورا هاما في هذا المستوى من الاتصال السياسي إذ تعتبر همزة الوصل بين أعلى الهرم (النظام السياسي) والقاعدة حيث يتلقى المواطنين بواسطتها الأخبار والمعلومات وكما تقوم بالترويج للآراء والأفكار السياسية¹.

3. الاتصال الافقي

يهدف هذا المستوى إلى التعاون والتنسيق بين مختلف الفاعلين السياسيين التي تقع في نفس المستوى وتبادل الأخبار والمعلومات والأفكار حول مختلف الموضوعات السياسية.

الفرع الثالث: الاتصال المرئي والخطاب السياسي

لقد عرفت السنوات الثمانين الماضية تحولا جذريا في الخطابة السياسية بفضل وسائل التواصل المرئي. فقد سُجل أول حديث لرجل سياسة بارز في التلفزيون في الثلاثين من أبريل 1939م، حين ألقى الرئيس الأمريكي روزفلت كلمة في الجلسة الافتتاحية لمعرض نيويورك العالمي. وبعد أقل من ثمانية أعوام، شهد العالم أول بث لخطاب رئاسي من البيت الأبيض في أمريكا أيضا، حيث ألقى الرئيس ترومان كلمة بشأن أزمة الغذاء العالمية في الخامس من أكتوبر عام 1947م. ومنذ ذلك الحين، تخطت الخطابة قيد الساحات المحدودة، وانتقلت من الكلمة المسموعة إلى الصورة المرئية.

لم يساير العالم العربي هذا التحول الجذري في طبيعة الخطابة السياسية المعاصرة؛ لأسباب عديدة يرجع بعضها إلى الصعوبات التقنية، ويرجع بعضها الآخر إلى التطور البطيء في تشكل الفضاء العام. وكان على العالم العربي الانتظار حتى

¹ مروة معمري، "وسائل وتقنيات الاتصال السياسي واستخداماتها في إدارة الأزمات السياسية"، المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 17، العدد 28، ص 193.

سبعينات القرن العشرين، ليشهد بشائر هذا التحول، وإدراك بعض الساسة -مثل الرئيس المصري أنور السادات، والملكين؛ المغربي محمد الخامس، والأردني عبد الله الحسين- أهميته بوصفه وسيطاً للتواصل السياسي. وعلى مدار العقود الأربع الماضية، تعزز حضور الخطابة السياسية المرئية في الفضاء العربي، لتصبح أداة أساسية من الأدوات التي تستخدمها السلطات السياسية بهدف صياغة الوعي الجمعي للشعوب¹.

¹ محمد مشبال، بلاغة الخطاب السياسي، منشورات ضفاف، ط1، بيروت، 2016، ص63.

المبحث الثالث: الجذور التاريخية للأمازيغية

نتطرق في المبحث الثالث الخاص بالشق التاريخي للدراسة وذلك بمحاولة الإلمام بأهم الجوانب الاشتقاقية لمصطلح الأمازيغ وكذا تاريخهم واللغات الأمازيغية ولهجاتهم.

المطلب الأول: الجوانب الاشتقاقية لمصطلح الأمازيغية

كلمة "أمازيغ" مفرد تجمع على "إيمازيغن"¹ ومؤنثه "تمازغت" وجمع المؤنث "تمازغيين" ويحمل هذا اللفظ في اللغة الأمازيغية معنى الإنسان الحر النبيل أو ابن البلد وصاحب الأرض، ويجعلها بعضهم نسبة لأبيهم الأول "مازيغ".

واختلف الباحثون في تأصيل كلمة أو مصطلح "بربر"، فهناك نفر من الباحثين، كان قد رأى بأن هذه التسمية إنما أطلقها الرومان، ومن بعدهم اليونان، على جميع الشعوب التي استعمروها في الشرق الأدنى وشمال إفريقيا من غير الرومان، باعتبار أن كل من كان خارجا عن نطاق حضارتهم يستحق هذا الوصف، في حين يرى باحثون آخرون، وضمن هذا السياق نفسه من التأصيل، أن لفظة بربروس Barbares التي عنى بها الرومان غيرهم من الشعوب التي اعتبروها متوحشة أو وحشية هي غير لفظة Berberes المستعملة حاليا للدلالة على بربر المغرب العربي، بما أنه من الصعوبة حاليا وعلى الأقل في اللفظ اليومي، التمييز بين كلا المدلولين، فإننا نلاحظ أن كثيرا من البربر، يحبذون استخدام تسمية أخرى، ولعل هذا هو ما دفع الشيخ عبد الحميد بن باديس إلى أن يستعمل في مقالاته التي تعرض فيها المكونات الشخصية الوطنية الجزائرية، عبارة "أبناء مازيغ" بدل "البربر"، مع ملاحظة أن كلمة البربر، كانت مستعملة على نطاق واسع في الكتابات العربية بالجزائر خلال العشرينات والثلاثينات.

¹ محمد المهدي علوش، إسلام الأمازيغ قراءة أخرى في تاريخ أسلمة المغرب من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2017، ص9.

وذهب "روم لاندو" إلى الشيء نفسه تقريبا، حيث ذكر بأن "البربر لا يسمون أنفسهم كذلك، ولا يطلقون على أنفسهم اسما شاملا يضم جماعاتهم المختلفة، فبربر البادية يسمون أنفسهم الأمازغ، بينما يسمى بربر الأطلس الأعلى أنفسهم شلوح، وآخرون برابر"².

وهذا ما ذهب إليه الباحث الجزائري عثمان سعدي، بأن البربر لم يعرفوا "أن غيرهم قد أطلق عليهم اسم البربر إلا بعد حلول الاستعمار الفرنسي"، لذلك فإن المصادر القومية العربية تشير إلى أن أصل هذه التسمية، إنما قد جاء منذ عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، وذلك بعد أن عجز الفرنسيون عن إحداث شرح عنصري من خلال الحديث عن وجود قومي مستقل اسمه البربر.

وفي ضوء ما تقدم، يعتقد بعض الباحثين، بأن البربر إنما يفضلون تسمية أخرى، يطلقونها على أنفسهم، وهي "إمازيغن"، جمع أمازيغ-التي أشار إليها ابن باديس- والتي تعني، الحر، أو الشريف، أو النبيل، وربما كان لهذا الاسم علاقة بسكنى الحبل، والتحصن فيه، كما يوجد من الباحثين من يشير إلى تسميات أخرى، مثل الماسيد والنوميديين³ والليبيين والجيتوليين.

² عبد السلام بغدادي، الوحدة الوطنية ومشكلة الأقليات في أفريقيا، مركز دراسة الوحدة العربية، لبنان، 2000، ص125.

³ نوميديا: وهي البلاد التي كانت تضم أراضي مملكتي الماسيل والمساسيل بعد توحيدهما في أواخر القرن الثالث ق.م. وكانت تمتد في عهد ماسنسن من طرابلس شرقا إلى نهر ملوية غربا مع استثناء قرطاجة، وكانت عاصمتها سيرتا (قسنطينة حاليا) لكن بعد ضمها إلى الإمبراطورية الرومانية في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، عقب هزم يوبا الأول من طرف جيوش يوليوس قيصر، أصبحت تشكل إقليما رومانيا تحت اسم إفريقية الجديدة Africa nova على اعتبار أن قرطاجة كانت تمثل إفريقية القديمة. وحسب التقسيم الترابي الذي أجراه ديوكليسيان في أواخر القرن الثالث الميلادي أصبحت نوميديا تشكل أحد الأقاليم الخمسة التي تتكون منها المستعمرة الرومانية بشمال أفريقيا على جانب طرابلس وإفريقية القنصلية وموريطانيا القيصرية وموريطانيا طنجة.

ومن التسميات الأخرى التي تستخدم وبشكل خاص من قبل بعض الأوروبيين، نشير إلى كلمة "Moors"، والحقيقة أن هذه الكلمة تستخدم حاليا بدلالات مختلفة، فهي تستخدم حيناً للدلالة على المسلمين، أو كل ما يمت إلى الإسلام بصلة، وقد تستخدم للدلالة على كل ما هو شرقي.

ويرى بعض الباحثين أن هذه التسمية، إنما ترجع إلى العهد الروماني أيضاً، حيث أطلقوا كلمة "Mauri" على سكان شمال إفريقيا من غير الرومان، وعلى إقليمهم، اسم "موريتانيا"⁴ لتطلقه على ذلك الجزء من شمالي غرب أفريقيا الذي استعمرته، والذي يعرف حالياً، باسم "جمهورية موريتانيا الإسلامية"، وهكذا، وعلى الرغم من الدلالات الواسعة لهذه التسمية - إلا أنها تستخدم، من قبل البعض للدلالة على الأمازيغ⁵.

⁴ أول ما ظهرت هذه الكلمة في عهد الرومان (نقلا عن الكلمة اليونانية موروسيا) كان يقصد بها بلاد الماوريين الواقعة بين المحيط الأطلسي غرباً ونهر ملوية شرقاً، والتي شكلت مملكة مستقلة توسعت أراضيها على عهد الملك الأمازيغي بوخوس الأول (110-80 ق.م) لتضم جزءاً كبيراً من أراضي نوميديا الغربية (مساسيليا) وتصل حدودها إلى مصب نهر أمساكا (الوادي الكبير) على البحر المتوسط شمال غرب قسنطينة. وفي منتصف القرن الأول قبل الميلاد أصبحت موريطانيا شطرين: موريطانيا الغربية وعاصمتها طنجة تحت حكم الملك بوغود، وموريطانيا الشرقية وعاصمتها شرشال، شرق نهر ملوية، يحكمها الملك بوخوس الثاني. وعندما احتلها الرومان في منتصف القرن الأول الميلادي قسموها إلى:

- موريطانيا الطنجية Mauretanie Tingitane في الغرب (جل بلاد المغرب الأقصى الحالي)
 - وموريطانيا القيصرية Mauretanie Cesarienne (وسط وغرب الجزائر حالياً) في الشرق يفصلها عن الطنجية نهر ملوية. ومن أهم مدن موريطانيا القيصرية شرشال العاصمة وتنس والجزائر العاصمة حالياً.
 - موريطانيا السطايفية Mauretanie Csitifienne أحدثت بموجب تقسيم جديد للمستعمرة الرومانية أقدم عليه الإمبراطور ديوقليسيان في أواخر القرن الثالث بضم أجزاء من أراضي موريطانيا القيصرية في الغرب إلى بعض أراضي نوميديا في الشرق. وكان من أهم مدنها العاصمة سطيف وبجاية وجيجل ودلس..
- أنظر: محمد المهدي علوش، إسلام الأمازيغ قراءة أخرى في تاريخ أسلمة المغرب من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2017، ص9.

⁵ عبد السلام بغداي، مرجع سابق، ص126.

وهناك تسمية فرعية أخرى، تطلق على جماعة تعيش في الصحراء الكبرى جنوبي الجزائر والمغرب وليبيا، وشمالى تشاد والنيجر ومالي وموريتانيا، وهذه التسمية هي "الطوارق" أو "التوارج Tuaregs"، إذ يرى كثير من الباحثين أنهم جزء أو جماعة من البربر، يتكلمون لغة أو لهجة خاصة تدعى "التماشيكية"، وهي لغة أمازيغية محكية ومكتوبة، وتسمى حروفها "التيفيناغ" أو "التيفينار"، وهي الألفباء (الأبجدية) الأمازيغية الوحيدة المستعملة، ولكن معرفة هذه اللغة، في بعض القبائل، وربما أكثرها أصبحت مقتصرة على كبار السن في أيامنا هذه، حين يرى بعض الباحثين، أن الطوارق، إنما هم شبيهون بالبربر، وهذا ما يدعو ليبيا إلى اعتبارهم من العرب لاسيما وأن أبجديتهم قريبة جدا من العربية.

وقد اتفق أغلب المؤرخين على معنى كلمة "مازيغ" والتي يقصد بها الرجل الحر، أو الرجل النبيل أو الشريف أما كلمة "بربر" فهي دخيلة على اللغة الأمازيغية، أطلقها اليونان على شعب لا يتحدث بلغتهم ومن بين هؤلاء نجد الأمازيغ والجرمانيين.

غير أن تسمية "بربر" بقيت لسيقة بهم لغاية بداية القرن العشرين الميلادي، وهي التسمية التي اعتمد عليها المؤرخ "ابن خلدون" عند كتابته لتاريخ البربر إذ نجده يقول: "وما كان للبربر من الآثار ما تشهد أخباره كلها، بأنه جيل عزيز على الأيام وأنهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم، كثير جمعهم، مضاهون للأمم العالم وأجياله من العرب والفرس والروم".

وإذا نظرنا إلى كلمة "أمازيغ" من منظور عربي، فنرى أن معظم القواميس العربية القديمة والحديثة لا تشير على هذه الكلمة، ولا إلى مشتقاتها مثل: مزغ أو أمزغ، أو مازغ، والكلمة التي تذكرها المعاجم وتؤدي إلى نفس المفهوم تقريبا هي: "مزر"، أو أن

الإسم الحقيقي للأمازيغ هو "مازر"، وجمعه أمازر والمزير: الشديد القلب، وهذا التغيير في حرف الغين إلى الراء ربما يعود ذلك إلى مسألة التبادل بين الصوتين الغاء والراء⁶. وعلى أي حال، فإن التسمية الأكثر تداولاً بين الباحثين، للدلالة على البربر دائماً هي كلمة "مازيغ"، والتي أستعملها في هذه الدراسة بدلاً من البربر.

المطلب الثاني: تاريخ وأصل الأمازيغ

مثلما اختلف الباحثون في تأصيل كلمة "أمازيغ"، فإنهم اختلفوا أيضاً في أصلهم، فهناك زمرة من الباحثين التي ارتبطت بالمرحلة الاستعمارية الفرنسية، حاولت أن ترجع الأمازيغ على أصول أوروبية، وذلك بدوافع استعمارية واضحة، من أجل ربط المغرب العربي بفرنسا من جانب، أو إحداث شرخ في صفوف الوحدة الوطنية التاريخية بين أبناء الشعب العربي المغربي من جانب آخر، بل أن نفرا من هؤلاء اشتط في رأيه إلى درجة التشكيك في إسلام الأمازيغ، بيد أن أغلب الدراسات والآراء، ترجع أصول الأمازيغ إلى جذور سامية حامية-فهناك عدد كبير من الباحثين أكد بأن الأمازيغ هم من اصل سامي، هاجروا من جنوب الجزيرة العربية إلى شمالي افريقيا، وقد نسبتهم العديد من المصادر، تحديداً إلى أصل سامي-كنعاني أو سامي حميري، بمعنى أنهم قدموا إما من بلاد كنعان(فلسطين) أو من اليمن، فالذين رأوا بأنهم جاؤوا من أرض كنعان مثل المؤرخ العربي (ابن عبد الحكم)، يقولون: (أن البربر كانوا مقيمين في فلسطين)، أو إنهم هاجروا بعد انتصار داود على جالوت من اتجاه المغرب، والرواية نفسها نجدها عند البكري، وهذا ما ذهب إليه بعض الأوروبيين، فمثلاً، يقول "هنري لوت"، بأن المؤرخ "بروكوب" كان قد كتب هو الآخر، بأن "البربر" ينعتون بالفلسطينيين، لأنهم قدموا من فلسطين بعدما طردهم منها العبرانيون)، ومن هنا نلاحظ أن بعض المصادر

⁶ صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، دار هومه، الجزائر، ط2، 1999، ص17.

تتسبهم إلى جد تاريخي، يدعى "أمازيغ" بن كنعان بن نوح، الذي كان قد هاجر من مدينة "صور" الكنعانية العربية، بعد سقوطها بأيدي الرومان على شمالي إفريقيا، ومما يدعم هذا الرأي هو ظهور الفينيقيين في غرب البحر المتوسط منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد 1500 ق.م، وضاف "صقلية" و"سرديني" و"اسبانيا"، وعلى طول الشواطئ الجنوبية للمتوسط، وإقامتهم المراكز الحضارية على طول ذلك الساحل، ومن أشهرها قرطاجة، التي ظلت تشع بحضارتها في المتوسط طوال قرون عديدة، قبل أن يخرجها الرومان سنة 146 ق.م، فالمرحلة الفينيقية في إفريقيا الشمالية خمسة عشر قرناً، وقد أدى ذلك على تزواجهم مع سبقهم من السكان في هذه المنطقة، مما أدى إلى تكون شعب أو جماعة متميزة، (بحضارة رفيعة وأخلاق قرطاجية خاصة)، وقد احتفظ هذا الشعب بتقاليد تلك الحضارة حتى في ما بعد خراب العاصمة (قرطاجة)، وقد مهد هذا الشعب السبيل إلى دخول الإسلام واللغة العربية إلى إفريقيا الشمالية، لأن المنطقة كانت قد عرفت أصلاً انتشار لغة الفينيقيين كما أنها عرفت ديانة التوحيد من خلالهم أيضاً⁷.

أما الرأي الثاني الذي ينسبهم (الأمازيغ) إلى أصل سامي-حميري، فإنه يرى أن سكان بلاد المغرب، إنما هم في الأصل والأساس من بلاد اليمن، ويذهب فريق آخر إلى أن الأمازيغ ينتسبون إلى سلالتين، فالسلالة الأولى هي الهندية الأوربية التي نزحت إلى إفريقيا من آسيا ثم أوربا والسلالة الثانية سامية، ثم التقت السلالتان بالمغرب وهذا ما يفسر لنا اختلاف الخصائص البشرية عند الأمازيغ في السحنة ولون الشعر والعيون

⁷ عبد السلام بغداي، مرجع سابق، ص ص 127-128.

وشكل الجمجمة وحتى اللهجات، وهذا ما يفسر أيضا الخلاف القائم بين "مصمودة"⁸ و"صنهاجة"⁹ مثلا¹⁰.

ويرى "هيرودوت" وهو مؤرخ يوناني كتب عدة كتب في التاريخ في القرن الخامس قبل الميلاد وتناول شمال إفريقيا بالذكر أن اصل الأمازيغ نزحوا إلى شمال إفريقيا من الجزر الموجودة ببحر "إيجه" جنوب اليونان.

تؤكد الدراسات الحديثة بأنه حدثت موجات هجرة كبيرة من الجزيرة العربية في فترات مختلفة من عصور ما قبل الإسلام؛ وفي هذا الصدد يقول الدكتور "أحمد فخري" : "هناك حقيقة مهمة وهي أنه في الألف الرابع قبل الميلاد وصلت هجرات من جنوب الجزيرة العربية إلى مصر"؛ ويذكر الدكتور أسعد أشقر بأنه: "ليس من قبيل المصادفة أن تقع عام 3500 ق.م موجة هجرة من الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين وموجة هجرة إلى سورية ومصر في وقت واحد"¹¹.

⁸ تعتبر قبائل مصمودة (إمصودة) من أكبر القبائل الأمازيغية بالمغرب الأقصى، ومن أهم بطونها قبيلة غمارة السابق الحديث عنها وقبيلة برغواطة التي سيأتي بيانها. ومصمودة تستوطن المجال الممتد بين السفوح الغربية للأطلس والسهول الساحلية، من نهر سبو إلى وادي سوس. وهي معروفة في تاريخ المغرب بإنجاب المهدي بن تومرت المؤسس الروحي للدولة الموحدية التي حكمت، خلال القرن الثاني عشر، بلاد الأمازيغ من طرابلس إلى المحيط ومن موريتانيا إلى الأندلس. تحدها من الغرب قبيلة برغواطة المستقرة ببسائط تامسنا على الساحل الأطلسي بين سلا وآسفي. وهي المشهورة بدولتها الخارجة عن الإسلام والتي عاشت بين 744 و1058م كما سيأتي تفصيله في حينه. ومن بطون مصمودة أيضا قبائل هسطورة وهنتاتة وهرغة وغيرها من القبائل المنتشرة على مرتفعات الأطلس الكبير إلى بلاد سوس. وتلي مصمودة قبائل جزولة (إيوزولن أو إكوزولن) ولمطة (المطن) من وادي سوس إلى وادي درعة و وادي نون.

⁹ تمثل منطقة الصحراء الواقعة جنوب المغرب الأقصى فكانت تشكل المجال الحيوي لقبائل صنهاجة المكونة من لمتونة ومسوفة وكدالة الممتدة حتى بلاد السودان، ويعتبرهم ابن خلدون من صنهاجة الطبقة الثانية الذين سوف يؤسسون إحدى أكبر الإمبراطوريات المغربية في العصور الوسطى تحت اسم المرابطين أو (اللمتونيين).

¹⁰ عثمان الكعاك، البربر، (بدون دار وسنة النشر)، ص51.

¹¹ عبد السلام بغدادي، مرجع سابق، ص130.

ويذكر ابن خلدون في صفحة 96 في الجزء السادس من كتابه "العبر..." بأن الأمازيغ ينتسبون إلى "بربر" الذي ينتسب بدوره على "يعرب بن قحطان"، وهنا هنا يتفق مع ما ذكره العالم "الهمداني" في القرن الرابع الهجري-العشر الميلادي الذي يقول في الجزء الأول في كتابه "الإكليل" بأن قبائل صنهاجة وكتامة¹² وعهامة ولواته وزناتة تنتسب إلى "بنو مرة" بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سباء بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وتأسيسا على ذلك، فإن هناك عددا من الباحثين-وانطلاقا من الآراء التي تؤكد انحدار الأمازيغ من أصول سامية، أو سامية حامية، على أساس أن الحاميين هن خليط من الساميين والأفارقة-يرى بأن الأمازيغ، إنما هم من أصل عربي، بل عن ابن خلدون يذهب على أن الأمازيغ هم بقايا القبائل القديمة التي كانت تسكن "فلسطين" والتي انقرضت باستثناء الأمازيغ حيث يقول: "وكان بين بني فلسطين هؤلاء وبين بني إسرائيل حروب كثيرة من البربر وإخوانهم، ومن سائر أولاد كنعان يضاؤونهم فيها، ودثرت أمة فلسطين وكنعان وشعوبها لهذا العهد، لم يبق إلا الأمازيغ" ويقول المؤرخ الأمريكي "وليم لانغر" W. langer في تاريخه (موسوعة تاريخ العالم): "وانتشر فرع من عناصر البحر المتوسط والصحراء، الطويلة الرؤوس وأقاربهم من العرب والأمازيغ وغيرهم في

¹² كتامة (يكتامن) فقد كانت تستوطن منطقة شاسعة تمتد على طول الساحل غربا، وتتقدم داخل البلاد حتى قسنطينة وسطيف من الناحية الغربية، وهي المنطقة المعروفة حاليا بالقبائل الجزائرية. وكتامة تاريخ حافل في ميدان المقاومة ضد الوجود الروماني بنوميديا وموريطنيا الشرقية تحت اسم (الباربار). ويتحدث المؤرخون عن ظهور اسم كتامة باللاتينية Ucutamini لأول مرة في القرن السادس الميلادي أيام البيزنطيين في كتابات دينية باللاتينية، اكتشفت جنوب جيجل، تُذكر بملك كتامة. وكتامة هي التي حضنت الدعوة العبيدية بإيجكان وشكلت ذراعها المسلح حتى خلقت منها جولة شيعية قوية فوق الأرض الأمازيغية قبل أن تغزو مصر والشام وتسيطر عليهما بعد استقرار خلفائها بأرض الكنانة. ولم يجد المؤرخون ما يثبت وجود علاقة عضوية بين هذه القبيلة ومثيلتها بإيساكن بالريف المغربي. ويقول فيها ابن خلدون "أما بلاد بجاية وقسنطينة فهي دار زواوة وكتامة وعجيسة وهوارة، وهي اليوم ديار للعرب إلا ممتنع الجبال".

جنوب أوروبا وشمال إفريقيا والشرق الأدنى¹³ وهذا ما ذهب عليه عثمان سعدي بعد أن أشار إلى انتمائه شخصيا إلى أمازيغ الشاوية في الجزائر، بأن تاريخ الهجرات البشرية الأولى من غربي آسيا والجزيرة العربية، الذي حدث من القدم بفعل الجفاف والتصحر الحاصل إثر انتهاء العصر الجليدي، ومكتشفات الجماجم البشرية المتماثلة والراجعة إلى عصر واحد في المغرب والمشرق العربيين، تثبت أن جميع هذه الأقوام، إنما هم من أصول عربية، لأن كلمة "سامي"، إنما هي تسمية حديثة جاء بها الأوروبيون استعملها الألماني (شلوتزر shlotzer) لأول مرة في عام 1781م والصحيح أن التسمية يجب أن تكون عربية، لذا يرى عثمان سعدي أن الأصح، هو أن نطلق على هذه الجماعات اسم "الأقوام العربية"، وهو يؤكد في كتابه (الأمازيغ - البربر - عرب عاربة - وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ) عروبة الأمازيغ - البربر - ويرتكز في تأكيده على أكثر من ستين مرجعا نصفها مراجع عربية، ومن هنا يستنتج بأن الأصل أو التسمية الصحيحة للبربر إنما هي العربية، باعتبارهم قوما من الأقوام العربية.

إلا أن تحليل الدكتور أحمد سعدي وتمسكه الشديد بأن أصول الأمازيغ هي عربية لقي انتقادات شديدة ورفضاً تاماً من بعض الباحثين، فقد أكد "الحسين بن شيخ آث ملويا" في كتابه (التعريف بالأمازيغ وأصولهم) بأن رأي الأستاذ عثمان سعدي خاطئ وفساد على حد تعبيره في مختلف النقاط التي أثبتتها في كتابه من أن الاستعمار الفرنسي دعا إلى النزعة البربرية ورد عليه بأن الاستعمار كان ضد هذا التوجه وحارب اللغة الأمازيغية، وكذلك كانت له عدة انتقادات خص بها نسب الأمازيغ وخالف في الرأي على أن الأمازيغ ذو أصول عربية.

¹³ عثمان سعدي، الأمازيغ البربر عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ، بدون دار نشر، 1996،

وعلى أي حال، فإن معظم الآراء ترجح قدوم الأمازيغ تاريخياً من الجزيرة العربية أو المشرق العربي، فالأستاذ "عبد الله الغروي"، الذي كتب تاريخ المغرب، يرى أن معظم سكان العربي إنما ينحدرون (من مجموعتين متوسطتين، جاءت كلتاهما من آسيا الغربية، لكنها دخلتا المغرب من منفذين مختلفين: أحدهما شمال شرق، وهي مجموعة تميل إلى البيضاء، والأخرى نفذت من جنوب شرق، وهي مجموعة امتزجت بالزنوج)، وهكذا فهو يؤكد بأنه مهما تعددت الآراء فإن الدراسات عن لغة قدماء الأمازيغ وثقافتهم ترجح الكفة نحو الشرق. كما قال ابن خلدون: "هؤلاء البربر جيل ذو شعوب وقبائل تحصى... ولم تنزل بلاد المغرب إلى طرابلس بل إلى الإسكندرية عامرة منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها..." وقال: "...الجيل من الآدميين (يعني البربر) هم سكان المغرب على القدم ملأوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره"¹⁴. وقد قسم ابن خلدون الأمازيغ إلى أقسام ثلاثة:

1. البرانس: هم أبناء "برنس" بن بر بن مازيغ، وهم قبائل جبلية مستقرها في الغالب بجبال الأطلس (المغرب الأقصى) كما نجدهم أيضاً بجبال جرجرة بالجزائر ومنهم الزواوة.
2. البتر: هم أبناء "مادغيس" الأبتري بن بر بن مازيغ، وهم قبائل رحالة منهم سكان جبل "نفوسة" بليبيا.
3. المثلثون: وهم قبائل الصحراء بالجنوب، يجعلون لثاماً أزرق على وجوههم ومنهم الطوارق.

ويقول ابن خلدون: "هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلولة وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين

¹⁴ المرجع نفسه، ص 26.

ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر"¹⁵، ويصل في آخر المطاف إلى أن الصحيح بأن هذا الجيل هو من ولد كنعان بن حام إلا أن المحققين من نسابتهم يذكرون لى أنهم من ولد مازيغ بن كنعان.

الفرع الأول: شبكة من الأجناس

لا شك أنه منذ أوائل عصور التاريخ استقرت ببلاد المغرب شعوب مختلفة شديدة الاختلاف، وإذا نحن استثنينا الشعوب التي لم تمتزج بصفة عامة بالسكان الأصليين أو المندمجين، مثل الأوربيين الذين استقروا منذ ما يقرب من قرن، أو اليهود الذين أتوا في دفعات متتابعة منذ العصور القديمة، فإننا نلاحظ استيطان الساميين (الفينيقيين والعرب) والهنديين (الوندال واليونان) والأتراك والزنج، غير أن هذه العناصر المختلفة- وإن هي امتزجت بالسكان المستقرين- فقد أتت في عدد ضئيل جدا بحيث تعذر عليها تغيير المقومات الجنسية بإفريقيا الشمالية، فالوندال كانوا ثمانين ألفا وكذلك العرب المستوطنون فعددهم لم يكن كبيرا جدا، فالجيوش المرسله من الشرق إلى إفريقيا في القرنين: السابع والثامن بلغ مجموعها 150 ألف رجل تقريبا، وكما قال "وليام مارسى": يجب أن نعتبر الخسائر في الأرواح بساحات القتال مدة الغزو الطويلة والثورات الأمازيغية، غير أنه من الواجب أن نزيد على هذه المجموعة النساء والأطفال والموظفين والتجار والمبشرين الذين كلفوا بنشر تعاليم الإسلام بين الأمازيغ، ومجموع هؤلاء جميعا مائتي ألف أو ثلاثمائة من الدخلاء على أكثر تقدير، أما فيما يخص العناصر الأخرى المستوطنة فليس لدينا أرقام- ولو تقريبية-، ولكن ليس هناك ما يدعى إلى الاعتقاد بأنها كانت كبيرة العدد، وفي الجملة لا نرى أن واحدا منها يمكن أن يكون له مفعول قوي فيما يخص واقع البلاد الجنسي، وبخاصة إذا نحن لم ننس أن المستوطنين كانوا يتعاقبون في الزمان، وينتشرون في المكان.

¹⁵ لحسين بن شيخ آث ملويا، التعريف بالأمازيغ وأصولهم، دار الخلدونية، الجزائر، 2006، ص60.

فهذه الملاحظات تدعونا إلى التفكير في أن السكان الذين يعمرّون بلاد الأمازيغ اليوم- مع اعتبار بعض عمليات التوليد- هم أنفسهم الذين كانوا يعمرّونها في أوائل عصور التاريخ، لكن يكفي أن نقارن بين الميزابيين¹⁶ ذوي الرؤوس البيضوية والقامات القصيرة واللون الأسمر والوجوه المفلطحة وبين سكان جبال القبائل ذوي الرؤوس المستطيلة، والقامات القصيرة، والنظرة الصافية، والشعر الأشقر أو الأصهب غالباً، لنذكر لحد اليقين أن الأمازيغ لا يكونون جنساً منسجماً من حيث الانتروبولوجية ولا شك أنه حدث خلال عصور ما قبل التاريخ اختلاط كبير بين مختلف عناصر السكان انبثقت منه النماذج الجسدية الحالية، وأنه من السابق لأوانه و-أبحاثنا الانتروبولوجية في إفريقيا الشمالية على الحالة التي عليها الآن- أن ندعى توضيح خفايا الامتزاجات الواقعة في العصر النيوليتي وما قبله توضيحاً كاملاً، غير أن أبحاثاً حديثة تسمح لنا بالاعتقاد أن الأمازيغي يستمد أصوله من عنصرين أساسيين: إنسا مشتي العربي و إنسان ما قبل المتوسط (Préméditerranéen)، ومهما يكن الأمر فإن أغلب الملاحظات قديمة ومستمدة من الأمازيغ الحاليين تبين تنوعهم الانتروبولوجي.

الفرع الثاني: تصنيف "برتولون" (Bertholon) و"شانتر (Chantre)"¹⁷

في سنة 1913 تم تقسيم سكان بلاد الأمازيغ الشرقي إلى ثلاث أصناف:
الصنف 1: وهو قصير القامة مستطيل الرأس، متوسط الأنف، أسود الشعر، بشرته صدأة وصبغها أحمر يضرب إلى السمرة وهو صنف الاس (Ellez) الذي ضبطه كولينيون (Collignon).

¹⁶ المزابيون أو بني مزاب (تنطق آت مزاب)؛ مجموعة أمازيغية جزائرية يعيشون في المنطقة الطبيعية وادي مزاب شمال الصحراء الكبرى في الجزائر، يتحدثون الأمازيغية المزابية (تامزابت) وأيضاً الدارجة، والميزابيون مسلمين إياضيين. ويعود تواجد الميزابيين بمنطقة شبكة مزاب إلى العصر الحجري القديم حسب دراسات علماء الآثار وتمتاز مناطق تواجدهم بطراز معماري خاص جعل اليونيسكو تصنفها كتراث عالمي.

¹⁷ محمد مزالي، مترجماً، تاريخ إفريقيا الشمالية، مؤسسة تاولت الثقافية، 2011، ص 55-56.

الصنف 2: وهو قصير القامة بيضى الرأس، دقيق الأنف طويله، أسود الشعر في عينيه دكنة، وفي بشرته صدأة صبغها ضارب إلى الصفرة، وهو صنف "جربة" الذي ضبطه "كولينيون".

الصنف 3: وهو كويل القامة مستطيل الرأس، دقيق الأنف طويله، له شعر أشقر إذا كان أصيلا، وله عينان زرقاوان وبشرة بيضاء وردية اللون، لكن هذا الصنف داخله التوليد وتفرع عنه نوعان آخران:

أ. له خصائص الصنف 3 ولكنه بيضوي الرأس.

ب. مولد من أصل زنجي، أنه منتشر وبشرته أكثر دكنة، وهو صنف الواحات، وقد ضبطه "كولينيون".

والصنف ذو الرأس المستطيل والقامة القصيرة له صلات بالجنس المتوسطي، أما الصنف ذو الرأس البيضوي فله علاقة بأصناف آسيا الصغرى الشبيه به (أكراد)، وبخاصة فرنسا (دردونيا)، والصنف ذو الرأس المستطيل والقامة الطويلة له صلات بالجنس الأوربي المعبر عنه بالشمال.

وهكذا يرى الدكتور "لوبلان" أنه يوجد في بلاد القبائل نوع من الأجساد واضح المعالم ولو أنه أقل دقة مما نجد عليه الطوارق غير أنه وإن تشابه الصنفان في طول القامة واستطالة الرأس ودقة الأنف وطوله، فإنهما يختلفان في كل الخصائص الأخرى، ويظهر أن الأمر بالمثل بالنسبة للشاوية وسكان الريف، وما نعرفه عن أمازيغ المغرب الأقصى يمكننا من ضبط صنفين: صنف الشمال الشبيه بالقبائلي، وصنف الجنوب والوسط القريب من الطوارق.

الفرع الثالث: تاريخ الأمازيغ

من المعروف أنه كان للأمازيغ إسهام فعال في الحضارة العربية الإسلامية، إذ استغرقت عملية الفتح لبلاد المغرب مدة طويلة وهي حوالي 70 سنة، فبعد حملة

عمرو بن العاص 614م بدأت الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب بعد فتح مصر مباشرة بقيادة عمر بن العاص ووالي مصر لتأمين حدود مصر الغربية من خطر البيزنطيين الذين كانوا يحكمون المغرب، وقد كان اختيار "معاوية بن أبي سفيان" لعقبة بن نافع" قائدا لجيوش بلاد المغرب موفقا، وكانت حملات كثيرة على بلاد المغرب التي لاقت صعوبات مع الأول ثم أصبح الأمر معاكسا إذ أصبح الأمازيغ هم السابقون لمساعدة المسلمين لمسيرة الفتح الإسلامي، وكانت حملة "حسان بن نعمان" (693م-704م) الذي نصبه الخليفة "عبد الملك بن مروان" من أهم الحملات نظرا لأنها لاقت مقاومة عنيفة من قبل امرأة تدعى "الكاهنة" لكنها سرعان ما انقلب عليها "حسان بن نعمان" ولقيت حتفها في أواخر 700م.

وكان للأمازيغ دور مهم مع إخوانهم العرب في فتح الأندلس سنة 711م بقيادة "طارق بن زياد"، كما قامت لهم دول معروفة، من أشهرها دولتا المرابطين والموحدين، اللتان كان لهما دور كبير في توحيد الممالك العربية الإسلامية التي قامت في شمالي إفريقيا وبلاد الأندلس، كما كان لهاتين الدولتين إسهام كبير في نشر الإسلام في غربي إفريقيا وظهر في تلك المرحلة أحد أبرز اللغوين العرب من واضعي القواعد الصرفية والنحوية، ألا وهو "ابن المعاطي البربري" المولود في مدينة (مقلة)، الذي درس "ابن خلدون" ولا أدل على هذا الدور الإيجابي للأمازيغ، من أن سيدة مغربية أمازيغية كبيرة (فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني)، هي التي أنشأت جامعة القرويين العريقة بمدينة فاس سنة 245هـ/859م¹⁸.

وقد كان للأمازيغ دورهم المعروف في التاريخ المعاصر مع إخوانهم العرب في مقاومة الاستعمار الفرنسي وبرز من بينهم قادة معروفون في خدمة قضايا الأمة العربية، وتحرير بلاد المغرب من الهيمنة الأوروبية، كما كان للأمازيغ إسهام مباشر

¹⁸ عبد السلام بغداددي، مرجع سابق، ص133.

وريادي مع العرب في اندلاع الثورة الجزائرية بتاريخ 1 نوفمبر 1954م من جبال الأوراس في شرقي الجزائر، إذ كان منهم من بين أعضاء اللجنة الثورية التي قادت الثورة الجزائرية ثلاثة من مجموع أعضائها التسعة.

أولاً: التوزيع الجغرافي للأمازيغ في شمال إفريقيا

بلاد الأمازيغ تمتد شرقاً حتى غرب الإسكندرية المصرية وغرباً حتى المحيط الأطلسي في بلاد المغرب الأقصى وموريتانيا والصحراء الغربية والسنغال وشمالاً البحر الأبيض المتوسط، وجنوباً مالي والنيجر والتشاد والسودان.¹⁹

ففي مصر يتواجد الأمازيغ في واحة تقع في الشمال الغربي تدعى "سيوة"، وفي ليبيا يتواجدون في جبل "نفوسة" و واحات "غدامس" وسكنى و"أوجيلات" وأيضاً في سواحل "زواره" ويقدر عددهم في ليبيا بنحو 55 ألف نسمة، أما في تونس فهم يتواجدون في "أحواش" وفي قرى على جزيرة "جربة" و "تامزرت" وفي "شنين" و"دويرات" شرق "تاطوين"، أما في الجزائر فإن بلاد القبائل تعد بلا منازع المنطقة الأكثر انتشاراً للأمازيغية في ربوعها وتحتضن الأوراس فئة هامة من الشاوية وفي وادي ميزاب جماعة أمازيغية أخرى، ولا زالت إلى اليوم بعض المناطق في جبال القصور بالجنوب الوهراني وإليزي و ورقلة، أما في المغرب الأقصى توجد ثلاث مناطق كبرى في شمال الريف لهجة تتحدث "تريفيت": في الوسط وفي الأطلس الوسيط، وفي الجنوب، والجنوب الغربي وفي الأطلس العالي، والأطلس السفلي الذي يشكل بلاد الشلوح، أما في موريتانيا يتركز الأمازيغ في منطقة واقعة شمال نهر "السينغال"، بالإضافة إلى إقليم كبير هم الطوارق يقدر عددهم بـ 800 ألف نسمة يشكلون مجموعة أمازيغية هامة متناثرة بشكل متناثرة بشكل متكافئ بين "النيجر" و"مالي" والجزائر وليبيا وبوركينا فاسو ونيجيريا، وينبغي أيضاً احتساب جالية

¹⁹ خدام محند أوبلقاسم، معطيات أساسية عن الحضارة الأمازيغية، بدون دار نشر، ص 67.

أمازيغية هامة منتشرة في أوروبا إذ أن "فرنسا" وحدها تضم حوالي 900 آلاف مهاجر أمازيغي بين مغاربة وجزائريين على زجه الخصوص²⁰.

وتختلف التقديرات، باختلاف المصادر في تحديد نسبتهم إلى مجموع السكان في كل من الجزائر والمغرب، ففي الجزائر تتفاوت النسبة ما بين 20 على 25 بالمئة من مجموع السكان.

ويرتكز أمازيغ الجزائر بشكل خاص في منطقة القبائل، شمالي شرقي الجزائر، حيث يتواجد هناك نصفهم تقريبا، ويسمون أمازيغ القبائل كما ينتشرون في جبال الأوراس، حيث تقطن قبائل الشاوية، وهناك قبائل المزاب في الجنوب والذين يجيدون العربية مئة بالمئة، والطوارق الذين يتواجدون في الصحراء، ويقدر البعض عددهم (الطوارق) بعشرة آلاف شخص في الصحراء الكبرى، في حين يصل عددهم إلى أربعمئة ألف في كل من مالي والنيجر، أما على الحدود الجزائرية الليبية الجنوبية، فيصل عددهم إلى بعض عشرات من الآلاف.

وتتراوح أعداد الأمازيغ في الجزائر، ما بين 3 إلى 5.5 مليون نسمة، ويتوزع أمازيغ المغرب بدورهم على أربع مجموعات قبلية بعضها تأثر بالثقافة العربية، مثل أمازيغ الريف (شمالي المغرب) وجنوب جبال الأطلس والبعض الآخر خضع للمؤثرات الإفريقية مثل أمازيغ وادي سوس، والبعض الثالث، أكثر انطواء على ذاته، مثل بربر جبال الأطلس الأوسط أو الأعلى²¹.

ثانيا: طبيعة مهنة وحياة الأمازيغ

²⁰ لحسن سرياك، الخوية الأمازيغية: الجزائر في أصول البشرية ثلاثون قرنا من التاريخ، مدونة وبيبلوغرافيا، ص26.

²¹ عبد السلام بغداددي، مرجع سابق، ص135.

يمتحن الأمازيغ بشكل عام، أعمال الزراعة، وتتنوع طبيعة زراعتهم باختلاف كبيعة المناطق التي يتواجدون فيها، حيث تتراوح بين زراعة الحبوب كالقمح والشعير، وبين زراعة الأشجار المثمرة، مثل الزيتون والكروم والتين والنخيل، كما يمارس البعض منهم، أعمال التجارة، أما الذين يعيشون في الصحراء مثل الطوارق، فإنهم يمتحنون تجارة القوافل والصيد، إضافة إلى أعمال الزراعة والرعي، وكذا إلى امتحان أبناء الجيل المعاصر مختلف المهن التي تتطلب قدرا من التعليم والتدريب الفني، مثل الطب والهندسة والتدريس وغيرها، وذلك بفعل انتشار التعليم والثقافة بين جميع المواطنين، ولاسيما في المدن والقرى المجاورة.

ويتوزع الأمازيغ، ولاسيما خارج المدن، على مجموعة من القبائل، أشهرها "قبائل زناتة" و"صنهاجة" وكتامة والمصامدة في المغرب، والشاوية في الجزائر، علما بأن كثيرا من القبائل الأمازيغية، كان قد تعرب بحيث أصبح من العسير التمييز بينهما وبين القبائل العربية، بعد قرون عديدة من التاريخ المشترك. ثم إن ابن خلدون يصف لنا أحوال الأمازيغ بالترتيب فيقول:

1. مساكنهم "يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخصاص والشجر ومن الأشعار والأوبار.."

2. معائشهم "ويظمن أهل العز منهم والغلب لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة ولا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفرة الألمس. ومكاسبهم الشاة والبقر. والخيل في الغالب للركوب والإنتاج..."

3. ملابسهم وأثاثهم "ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف، ويشتملون العماء بالأكسية المعلمة. ويفرغون عليها البرانس الكحل. ورؤوسهم في الغالب حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق"²².

²² عثمان الكعاك، المرجع سابق، ص37.

المطلب الثالث: اللغة أو اللهجات الأمازيغية

إن الإشكال الذي واجهنا في تحديد أصول الأمازيغ، يرافقنا أيضا هنا في تحديد مصدر اللغة واللهجات الأمازيغية، فهناك من حاول إلى أصل حامي، مثل الفرنسي "غوتيه" و"كارل ماينهوف"، و"محمد مكرم"، في حين أرجعها البعض الآخر إلى أصول سامية-حامية، وتنتمي الحامية إلى اللغة الأكادية والبابلية القديمة وهي من أقدم اللغات، وقد رأى "جوزيف غرينبرغ"، وهو من الأساتذة المعروفين بدراساتهم العميقة للغات الإفريقية، أن لغة البربر واللغات السامية تعود كلها إلى أصل واحد، وقد سماها بالمجموعة الأفروآسيوية، والقرباة اللغوية لن تكون قائمة-في رأيه- دون أن تستند إلى شيء من القرباة الروحية بين العرب و الأمازيغ.

وهذا ما ذهب إليه عالم اللغة (مرسيل كوين) الذي يصنف الأمازيغية مع اللغات السامية-الحامية، التي تشمل إضافة إلى الأمازيغية، اللغة العربية، والعبرية، والمصرية القديمة وغيرها، والشيء نفسه أكده الباحث (دافيد دلبى نمت) أن الأمازيغية، ومنها التماشيكية، إنما هي لغة سامية-حامية، أو ما يسمى أحيانا أفروآسيوية، في حين ذهب "عثمان سعدي" على تأكيد الأصول العربية المباشرة للغة الأمازيغية، وفي إطار اثباته لذلك، فإنه قام بإجراء دراسة مقارنة بين أبجدية قبائل الطوارق (التيفيناغ) من جهة، وبين عدد من اللغات السامية من جهة ثانية، وتوصل مثلا إلى أن حرف الألف بـ(التيفيناغ) مثل الجيم الفينيقي والآرامي، والذال مثل الدال العربية والشين بالتيفيناغ يشبه المصري القديم والكنعاني... الخ²³، وحروف لغة الطوارق (أكثر من النصف) متطابقة الشكل مع أبجديات اللغات السامية القديمة، ويثبت التشابه بين البربرية العربية في التركيب اللغوي والقواعد النحوية والصرفية والاشتقاق والتشابه في تاء التأنيث ويقول أن العربية تستعمل التاء للتأنيث أنا الأمازيغية في تستعمل التاء بدل التاء متقاربة مع التاء.

²³ عثمان سعدي، مرجع سابق، ص 77.

وينتهي إلى القول: "إنني صرت متيقنا بأن اللغة الأمازيغية ماهي إلا إحدى اللهجات العربية القديمة التي تفرعت من اللغة العربية الأم، التي يعتبر مهدها الجزيرة العربية، ثم إن القبائل التي تكلمت (اللهجة) الأمازيغية انتقلت جميعها بلغتها إلى شمال أفريقيا، ومما يؤكد ذلك وجود بعض القبائل بجنوب اليمن لا زالت تتكلم لغة شبيهة بالبربرية"²⁴. ويضرب المؤلف أمثلة عديدة لتزكية اعتقاده عن المفردات البربرية المحرفة عن اللغة العربية والمتداولة في الحياة اليومية، وهذا ما يؤكد باحث آخر، هو "أحمد بن نعمان" حيث يذكر أن هناك تشابها واضحا بين (اللغة البربرية واللغة العربية في النطق)، وقد قام الباحث المذكور بمقارنة لاستنتاج هذه النسبة، وقدم لنا بعض المفردات المتقاربة في اللغتين، وقد أرجع الأستاذ بن نعمان، أسباب هذا التشابه الكبير إلى عاملين أساسيين: أ. اختلاط الأمازيغ بالفينيقية وتأثرها أثناء ازدهار الحضارة القرطاجنية التي دامت عشرة قرون قبل الميلاد، والتي شارك في بنائها الأمازيغ والفينيقيون معا، واللغة الفينيقية كما هو معروف من اللغات السامية مثل اللغة العرية وشبيهة بها إلى حد بعيد.

ب. إن اللغة الأمازيغية ذاتها من اللغات المتفرعة عن اللغات السامية، كما ذهب إلى ذلك العديد من الباحثين والمؤرخين.

وعن التقارب والتداخل الكبيرين بين اللغتين العربية والأمازيغية، يخبرنا عالم اللغويات "غرينبرغ"، بأن (اللهجات العربية تشترك في كثير من الخصائص التي اكتسبتها نتيجة احتكاكها بلغة "أمازيغ"، وفي الوقت نفسه، نجد أن لغة البربر بدورها، تحتوي على عدد كبير من المفردات المستعارة من اللغة العربية، وعلى بعض الأصوات التي دخلتها نتيجة للأثر العربي).

²⁴ عبد السلام بغداددي، مرجع سابق، ص130.

وتتطوي اللغة الأمازيغية، على عدد كبير من اللهجات، أبرزها ثلاث لهجات رئيسية في المغرب (مراكش)، وتتوزع هذه اللهجات على ثلاث مناطق جغرافية من المغرب، فهناك (سكان جبال الريف-السلسلة الجبيلة المحاذية للبحر المتوسط- ويتحدثون لهجة خاصة تسمى-تاريفت-نسبة إلى الروافة، سكان جبال الريف، وهناك سكان جبال الأطلس المتوسط وجزء من المتوسط الكبير ويتحدثون لهجة خاصة أيضا تسمى-تمازيغت-نسبة إلى -إيمازغن- وهناك سكان الجنوب ما بين مدينة مراكش و الصحراء الغربية-إقليم سوس خاصة-ويتحدثون لهجة خاصة تسمى- تشلحيت-نسبة إلى أهلها: الشلوح، فضلا عن أن التفاهم بين هذه اللهجات الثلاث غير ممكن، إذ كل واحدة منها قائمة بنفسها، مفردات وتراكيب وإصاته(صوت) فإن كل واحدة منها ذات لهجات فرعية يصعب في الكثير من الأحيان التفاهم بها.

وفي سياق ذلك، يؤكد "محمد عابد الجابري"²⁵ أن (اختلاف مناطق السكنى وبعد بعضها عن بعض واختلاف اللهجات على الدرجة التي يستحيل معها التواصل والتفاهم جعل علاقة التداخل والترابط وحركة الاندماج الاجتماعي تتم، على جميع المستويات اليوم، كما بالأمس، في اتجاه: عرب-أمازيغ، وأمازيغ-عرب، مثل العلاقة بين أمازيغ جنوب المغرب(الشلوح) وبين السكان العرب المجاورين لهم شمالا وجنوبا وشرقا، هي أقوى بما لا يقاس، من العلاقة بين الفئات الأمازيغية الثلاث بعضها مع بعض، سواء تعلق الأمر بعلاقات المصاهرة و لزواج أو التجارة أو غيرها من العلاقات الاجتماعية، والنتيجة أن ثنائية أمازيغ-عرب في المغرب تقوم على الاتصال، وليس على الانفصال).

ومما يشجع على ذلك الاتصال والتلاحم بين العرب و الأمازيغ، هو أن اللغة أو اللهجات الأمازيغية إنما هي لغة تخاطب شفوية، فاللهجات الأمازيغية، هي لهجات

²⁵ نفس المرجع، ص ص131-132.

كلام فقط، أي أن الأمازيغية، هي لهجة محلية يتكلم بها، ولكنها لا تكتب في عموم بلدان المغرب العربي، باستثناء لهجة أو لغة واحدة، هي "التماشيكية" التي يتحدث بها الطوارق في الصحراء الكبرى، علما بأن للأبجدية التماشيكية المسماة بالتيفيناغ، علاقة قوية بالأبجدية العربية، مع التأكيد بأن التيفيناغ لم تكتب باستمرار على أية حال في المغرب، وهذا ما رفع من جاذبية اللغة العربية، فأكثر الوثائق التي عثر عليها بين الأمازيغ، كانت باللغة العربية، أما الأدب الأمازيغي، مثل القصص والأغاني والشعر فهو أدب شفهي ويحفظ في الصدور.

وقد توصل الأستاذ سالم شاكِر "Salem Chaker" في أبحاثه الخاصة بخط التيفيناغ إلى أن هذا الأخير مستنبط من الكتابة التصويرية والتي نجدها في جميع مناطق شمال إفريقيا وعلى الخصوص بمنطقة "التاسيلي" فهو يقول: "لقد سبقت حروف التيفيناغ الحالية ما يسمى بالكتابات التوارقية القديمة أو الصحراوية، وقد تمكن الباحث "فوكولد" Foucauld في سنة 1920 من نقل عدة أنواع من التيفيناغ القديم، وتضاف إلى تلك الحروف التيفيناغية، الحروف الموجودة في جزر الكناري التي هي من أسرة الحروف البربرية، وتمتد تلك الحروف على مدى عدة قرون، وقد تجاوز الألف سنة، شهدت خلالها تطور اللغة وكتابتها..."²⁶

ويرى الأستاذ "الحسن بن شيخ آث ملويا" أن خط التيفيناغ أقدم من الخطين العربي والفينيقي بكثير، وهو مستقل بذاته استقلال اللغة الأمازيغية واختلافها عن اللغات السامية والحامية، ويستند في تحليله إلى عدة اكتشافات أثرية كضريح الملك "ماسينيسا" ومناطق أخرى كمنطقة "سوق أهراس" و "الهقار" ومنطقة القبائل وغيرها.

²⁶ الحسن بن شيخ آث ملويا، مرجع سابق، ص 91.

خلاصة الفصل الأول:

إن الخطاب السياسي وتحليله بات من المصطلحات المهمة في العلوم الاجتماعية والثقافية؛ إذ يغطي مساحة كبيرة من الصياغات الاجتماعية والثقافية والسياسية للمجتمع، ويتعامل مع الطريقة التي تعمل بها اللغة من أجل دمج الإنسان بعالمه المحيط به، ومن ثم فدراسة الخطاب هي دراسة اللغة في فعلها من خلال النظر إلى هذه الخطابات داخل سياقاتها الاجتماعية؛ ومن هنا إنطلق تساؤل هذه الدراسة حول مدى تأثير الخطاب السياسي على الهوية الأمازيغية حيث يعتبر الأمازيغ السكان الأصليون لشمال أفريقيا ويتكلمون اللغة الأمازيغية بمختلف لهجاتها وبقو محافظين عليها طول عقود من الزمن.

الفصل الثاني: المسألة الأمازيغية من التوجه الثقافي إلى

التفعيل السياسي

منذ البدايات كانت ممارسة وخطاب رواد الحركة الثقافية الأمازيغية يستهدفان إعادة النظر في المكانة التي تضع فيها الأيديولوجية والسياسة السائدتان الأمازيغية كلغة كثقافة وكهوية. إذ تمثلت الاستراتيجية السائدة في المغرب في المجال السياسي على قدرة النظام السياسي على البقاء والديمومة ورفضه بتشكيل أي بؤادر للاستقلال النسبي للأحزاب أو النقابات وكذا الجمعيات وتركها في ضعف مزمن للحفاظ على مراقبة عملية إعادة الإنتاج الاجتماعي، ولذلك فإن مقاومة هذه الأيديولوجية السائدة كان من الصعوبة تحقيقه؛ إذ ظهرت الإرهاصات الأولى لهذه المقاومة في الستينات ثم في السبعينات وظلت الاستراتيجية العميقة للسلطة هي استراتيجية توليد أشكال التنظيم الاجتماعي وفق نموذج يرسخ الهيمنة الثابتة والكلية للدولة.

وفي هذا الفصل نحاول أن نبين المسار الفعلي للمسألة الأمازيغية من بدايتها كفعل ثقافي هوياتي إلى الوصول بها كممارسة سياسية للاحتماء والتعبير عن أزمة هوية، ففي المبحث الأول سنتكلم عن مراحل التحول التدريجي من الوعي الثقافي التقليدي إلى الوعي السياسي، المبحث الثاني سيكون عن موقف النخب الوطنية من المسألة الأمازيغية، وأخيرا المبحث الثالث سنتناول التدبير الثقافي السياسي للإتجاه اللغوي الأمازيغي.

المبحث الأول: التحول التدريجي من الوعي الثقافي التقليدي إلى

الوعي السياسي

تضمن هذا المحبث السياق التاريخي لمراحل الحركة الأمازيغية من الوعي التقليدي الثقافي إلى الوعي السياسي للحركة؛ ومن مراحل ما قبل الاستقلال وبعده وصولاً إلى مرحلة التوجه لإنشاء حزب سياسي أمازيغي.

المطلب الأول: تعريف الحركة الأمازيغية ووظائفها

تعني الحركة الأمازيغية؛ مجموع الفعل الملزم المناضل من أجل إقرار حقوق الثقافية الأمازيغية في مقاربة شمولية تشمل الدفاع عن كل حقوق الإنسان طبقاً للمواثيق والعهود والإعلانات الدولية لحقوق الإنسان الصادرة عن الهيئات الدولية المختلفة (الجمعية العامة للأمم المتحدة، المجلس الاقتصادي للأمم المتحدة توصيات لجنة حقوق الإنسان الأممية ومنظمة العمل الدولية)؛ وتكون الحركة وفق هذا التعريف أساساً من العمل الجمعي الأمازيغي الذي ازداد زخماً وتأثيراً على المشهد السوسيوثقافي والسياسي منذ التوقيع على ميثاق أكادير¹ الذي شكل انطلاق العمل الجمعي بتكاثرات الجمعيات المهتمة بالشأن الثقافي الأمازيغي ويتوج بسلسلة من التراكمات النوعية كالمساهمة في المؤتمرات الأممية الخاصة بحقوق الإنسان وتدويل النضال الأمازيغي ونقله إلى المحافل واللقاءات الدولية، وقد تعززت الحركة

¹ في نهاية الستينات وخلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، شهد المغرب ظهور أولى الجمعيات الأمازيغية التي سجلت حضورها في فضاء الحريات العامة عبر المدخل اللغوي والثقافي، كلامريك وتمينوت والجامعة الصيفية والجمعية الأمازيغية، وحاولت خلخلة المقاربة الوحودية والتأحيديّة التي اعتمدها الدولة والحركة الوطنية في تناولها للمسألة اللغوية والثقافية في المغرب منذ الاستقلال، وذلك كامتداد لخيارات الدولة الوطنية والسياسية اليعقوبية، زفي هذا السياق حدثت أشهر محاكمة رأي أمازيغي عند اعتقال المناضل والشاعر الأمازيغي (علي صدقي أزيكو) سنة 1980، والحكم عليه سنة سجنًا نافذاً قضاها كاملة، على إثر نشره لمقال ثقافي عنوانه (من أجل مفهوم حقيقي لتقافتنا الوطنية) بمجلة أمازيغ. هذا السياق الذي توج بصدور ميثاق أكادير سنة 1991 باعتباره من أولى الوثائق التي أفصحت عن حراك أمازيغي معزز بمطالب محددة حول وضعية الثقافة الأمازيغية في المغرب.

الأمازيغية بتأسيس الشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة لتعطي النضال الديمقراطي بشكل عام والنضال الأمازيغي بشكل خاص².

ونقصد أيضا بالحركة الأمازيغية حصيلة التفاعل بين الخطاب والممارسة الذي تنتجه الأطارات المدنية والحقوقية ومراكز البحث والفعاليات والأفراد من باحثين ومبدعين وكتاب ومتقنين ومناضلين ونشطاء، والتي تهتم بالشأن الأمازيغي على المستوى اللغوي والثقافي والاجتماعي والسوسيواقتصادي وتعمل بوعي وانخراط من أجل تطوير الأمازيغية وتمكينها من شروط الإنتاج والتطور في فضاء المجتمع ومؤسسات الدولة ومجالات الحياة العامة. وعلى مستوى الخطاب والوثائق يمكن اعتبار ميثاق أكادير الذي صدر سنة 1991م على هامش الدورة الرابعة للجامعة الصيفية بمثابة ميلاد الحركة الأمازيغية بالمغرب بوعي معاصر وهوية اجتماعية وثقافية واضحة ومطالب أولية محددة³.

ويمكننا تصنيف العمل الجمعي للحركة الأمازيغية انطلاقا من معيارين:

الأول؛ يرتبط بدرجة استقلاليتها تجاه السلطة العمومية

الثاني؛ يتعلق بطبيعة أنشطتها

ونظرا لإقحام العمل الجمعي الأمازيغي لمختلف أنشطة الحياة العامة نشير إلى وظيفتين أساسيتين: التسييرية، والوظيفة المنبرية

الفرع الأول: الوظيفة التسييرية

² أحمد أزعري، المؤسسة الملكية والحركة الأمازيغية-التنظيم والمواقف في أفق الانتقال الديمقراطي، (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2003)، ص 79.

³ رشيد الحاحي، الهوية وقضايا الأمازيغية والإسلام السياسي والحريات، دار ميديا للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2018، ص 25.

إذ تقوم بالوظيفة التسييرية في القطاعات التي لم تقدم الدولة بشكل عام مشجع اتجاهها وتلك التي لا تدخل في اهتمامات الأنشطة التي تقوم بها المؤسسات الخاصة لأن مجموع القطاع السوسيوثقافي مثلا يخرج عن دائرة منطق السوق، إما لأنه غير مربح ومن ثم لا يغري رؤوس الأموال الخاصة أو أن الجهات التي تهتم بالأنشطة السوسيوثقافي تقصي فكرة الربح.

إن تسامح الإدارة تجاه ممارسة بعض الجمعيات لأنشطتها، وتقديم الدعم لها يعود بالأساس لكون أهدافها لا تتداخل إيجابيا لتعارض أهداف السلطات العمومية، ولا تحمل أي مشروع أو رغبة من شأنها أن تغير في مسار توجه القرارات التقنية أو السياسية لدائرة عمل هذه السلطات كما أنها تفيد عملية امتصاص الطاقات البشرية التي تتوفر عليها؛ لذلك أصبحت هذه التجمعات بمثابة قنوات لمساعدة الإدارة في التحكم الإداري لتدفق مطالب لجزء نشط من الأفراد قصد تحقيق التعبئة العمودية.

من هنا نجد أن هذه الجمعيات نفسها لحظة تأسيسها واهتمامها بمساحة اجتماعية معينة مجبرة على طلب المساعدة سواء من الدولة أو من مؤسسات بعينها، هذه المساعدة تكون مشروطة بالتزامات تحد من حريتها، ونتيجة لذلك يصبح مشروع كل جمعية من هذا النوع عرضة إما لعدم الفعالية أو الاستيلاء خصوصا إذا كانت القطاعات المسيرة من طرف الجمعيات تشكل موضوع رهان أساسي كالثقافة أو المرأة على سبيل المثال لا الحصر، وهناك عائق آخر يتعلق بالعلاقة التي تربطها بالأحزاب السياسية من خلال متقفين إما مرتبطين عضويا بها أو متعاطفين معها⁴.

الفرع الثاني: الوظيفة المنبرية

⁴ أحمد أزعري، المؤسسة الملكية والحركة الأمازيغية-التنظيم والمواقف في أفق الانتقال الديمقراطي، مرجع

أكبر معبر عن خصوصية النمو الراهن لجمعيات الدفاع كجمعيات الأمازيغية لأن عبر هذه الوظيفة تكرر مجهوداتها للدفاع عن مصالح اجتماعية بطريقة منتظمة ودقيقة لحماية بعض المصالح والحقوق المهددة واستقطاب اهتمام المقررين السياسيين، فجمعيات الدفاع توجد على هامش السلطة القائمة وتقوم بوظيفة انتقاد واستفسار معارضة السلطات العمومية مما يدخلها في علاقات يطبعها النزاع الحاد لأن وظيفتها تهدف إلى تهذيب السلطة.

وعلى هذا الأساس جاء دور العمل الجماعي ليضيف لبنات أخرى في مرحلة البدايات هاته من أجل تعميق الوعي العصري بالهوية من خلال قنوات العمل الجمعي⁵.

المطلب الثاني: السياق التاريخي للحركة الأمازيغية

الفرع الأول: مرحلة ما قبل الاستقلال

لم تكن الأمازيغية⁶ في تاريخ المغرب مشكلة مطروحة على الصعيد السوسيوثقافي أو على المستوى السياسي، وإنما ساهمت العديد من العوامل وبخاصة

⁵ نفس المرجع، ص 82.

⁶ تعد الأمازيغية أقدم لغة موجودة في المنطقة. وتُرجع مصادر علم آثار مصر القديمة تاريخ الأمازيغية المكتوب إلى الألفية الثانية قبل الميلاد على الأقل. وتُبين معطيات الإحصاء الديموغرافي اللغوي المتوفرة حالياً، على ما تحمله من نقاش، أن الناطقين بالأمازيغية يمثلون 28% بالمغرب، و 27,4% بالجزائر و 1% فقط بتونس. وبصفة عامة، توجد في المغرب من الشمال إلى الجنوب، ثلاث مناطق جيو-لهجية (géolectales)، هي تشليحت وتمازيغت وتريفيت، وحسب إحصائيات المندوبية السامية للتخطيط (إحصاء 2004)، فإن 52% من الأمازيغ يتحدثون تشليحت، و 31,2% تمازيغت، و 16% تريفيت. ويشكلون في مجموعهم حوالي 30% من العدد الإجمالي للسكان.

تشمل منطقة تشليحت الأطلس الكبير الغربي والأطلس الصغير وجبل باني وسوس، وجزءاً من وادي درعة؛ ويشمل هذا المجال تكتلات حضرية رئيسية أهمها: أكادير وتارودانت وتيزنيت وبيوكرى... كما تعرف هجرة

مع مجيء الحماية الفرنسية عام 1912م في بلورتها بالتدريج إلى قضية متشابكة الأبعاد.

كانت القبائل الأمازيغية المغربية في ما كان يسمى (بلاد السبيبة)⁷، وهي التسمية التي كانت تطلقها سلطات المخزن على القبائل المتمردة الراضية لدفع الضرائب، ومع إمضاء الملك (عبد الحفيظ) تحت حصار القبائل الأمازيغية لفاس بتوقيع عقد الحماية في 1912م، والذي التزمت بموجبه فرنسا بنزع سلاح القبائل لصالح السلطة المخزنية مما أدى إلى حروب طاحنة امتدت على مدى عشرين سنة⁸.

ولقد كانت لفرنسا علامة الامتياز الأولى في تطبيق سياسة استعمارية متكاملة تهدف إلى القضاء على مكونات الشعب المغربي وطمس هويته، وكانت تلك السياسة الاستعمارية تهدف إلى القضاء على الإسلام واللغة العربية التي تربط هذا الشعب بإخوانه في المشرق العربي، والتي يعتبرها الاستعمار تهديدا له في المنطقة، وأخذت

الناطقين بتشليحت تطورا متناميا نحو المدن الكبرى بالمملكة، مثل الدار البيضاء ومراكش والرباط وسلا وفاس ومكناس وطنجة ووجدة، شأنها في ذلك شأن الهجرة الخارجية نحو دول أوروبا الغربية. وتتضمن منطقة تمازيغت كلاً من الأطلس المتوسط، والسفح الشرقي للأطلس الكبير، ويتركز الناطقون بتمازيغت في الحدود الشرقية والغربية فتتكون من مجاري ملوية الوسطى ووادي كرو ومن أهم حواضر منطقة تمازيغت مكناس وفاس والخميسات وأزرو وخنيفرة والرشيديّة.

أما منطقة تريفيت فتشمل مجالاً جبلياً محددًا بين ساحل الحسمية المتوسطي والناصور، ويمتد شمالاً وجنوباً إلى ممر تازة؛ وتحده غرباً منطقة جباله. ويمثل الناطقون بتريفيت مجموعات بقوية (إيقوين) وآيت ورياغل وتمسامان وآيت توزين وإقلعين وإكبدانن وإكزنابن وآيت وراين وصنهاجة السراير، وغيرهم. وتعرف هذه المجموعات هجرة متطورة إلى إسبانيا وبلجيكا وهولندا وألمانيا (أحمد بوكوس، مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، 2013، ص 26-27).

⁷ تعنى السبيبة اصطلاحاً التحرر من كل القيود، وأصلها من (السائبة) اللفظ الذي كان العرب يطلقونه على الناقة التي تترك لشأنها في الخلاء، ولفظ السبيبة هنا يعني لدى المخزن المركزي خروجاً عن طاعته.

⁸ أحمد عصيد، سياسة تدبير الشأن الأمازيغي بالمغرب بين التعاقد السياسي وسياسة الاستيعاب، منشورات المرصد الأمازيغي للحقوق والحريات، الدار البيضاء، المغرب، 2009، ص 13.

تعمل على تقسيم المغاربة إلى عرب وأمازيغ، ولأجل الوصول إلى هذا قامت فرنسا بتجهيز إدارتها الاستعمارية بالمغرب بترسانة من القوانين يمكن تلخيصها فيما يلي:

➤ في سنة 1913م أنشأت ب الرباط مدرسة عليا سُميت (مدرسة اللغة العربية واللهجات البربرية) أعضاؤها ضباط فرنسيون، ثم أصدرت ظهير 1914م وهو تشريع يتكون من فصلين بموجبه تقرر أن تكون القبائل الأمازيغية منظومة ومحكومة طبقاً لعوائدها وأعرافها القديمة، وفي سنة 1915م أصدرت فرنسا قراراً بتأسيس (لجنة الأبحاث البربرية) وحددت مهامها في جمع الأبحاث المتعلقة بالقبائل المسماة (بربرية) بالمغرب، وبعد ذلك صدر الظهير المعروف ب(الظهير البربري) في سنة 1930م وكان صدوره الشرارة التي أوقدت فتيل الانفجار، فطان سكان مدينة (سلا) أول من سمع به عن طريق أحد أبنائها(عبد اللطيف الصبيحي) الذي كان آنذاك موظفا بإدارة الأمور الشريفة حتى اهتزت المدينة وهب سكانها بتنظيم الوسائل العملية لمقاومة الظهير⁹.

وفي ظل التوجهات السياسية التي نصح بها المستشرقون¹⁰ الذين سبقوا الجيش الاستعماري إلى المغرب اعتمد هذا الأخير سياسة(فرق تسد)، فعمد إلى التفريق بين العرب والأمازيغ، وكان رد فعل الحركة الوطنية التي كانت تتأهض الوجود الاستعماري أن تشبثت بالمكون العربي والإسلامي الذي أصبح مهدداً من قبل الفرنسيين، وزاد من تقوية البعد القومي العربي وسط الحركة الوطنية التقاؤها مع

⁹ محمد حركات، الهوية الوطنية المغربية أو الهوية البربرية؟ أيهما واقع موجود، في: معارك فكرية حول الأمازيغية، مركز طارق بن زياد، ط1، الرباط، المغرب، 2002، ص80.

¹⁰ المستشرقون جمع مستشرق، والمستشرق هو كاتب أو عالم غير شرقي اهتم بدراسة الشرق وتراثه وشعوبه وخصائصه، وغير الشرقي هنا تحديداً تطلق على الغربي الأوربي.

التيارات المشرقية الوافدة من الشام ومصر وفلسطين، حيث كانت هي الأخرى تدافع عن الهوية العربية أمام زحف التتريك، الذي كان معتمدا من قبل السلطات العثمانية¹¹، وقد كانت المناطق الأمازيغية أشد مقاومة حيث استمرت مقاومتها إلى سنة 1936م، كما أن عددا من أشهر المقاومين بالمجال الحضري نفسه كانوا من الأمازيغ، وهكذا لم يجد الملك (محمد الخامس) غضاضة بادئ الأمر في توقيع الظهير البربري¹² سنة 1930م، والذي أباحت فيه السلطة المستعمرة للقبائل البربرية الاعتراف إلى أعرافها القبليّة، وفي هذا يقول الباحث المغربي (عبد الحق الميريني)¹³: "ولكن السياسة الفرنسية بنت حملتها على أساس على فكرة أن البربر لم يعتنقوا الإسلام إلا ظاهريا فأصدرت ما يسمى بالظهير البربري سنة 1930م، وهذا الظهير يخرج البرابرة من دائرة القضاء الشرعي ويؤسس لهم محاكم عرفية لا تحكم إلا بالعرف والعادات القديمة في موضوع الأحوال الشخصية والعقار أما الأحكام الجنائية فكانت تحال على المحاكم الفرنسية"¹⁴، وقد كانت نظرة الحركة الوطنية من هذا الظهير بأنه يهدف إلى¹⁵:

- تقسيم البلاد حسب العرق والجنس وأصل السكان.
- وضع نظام عدلي يقسم العدالة ويوزعها حسب العرق الذي ينتمي إليه السكان.
- إحياء النظام القبلي فجاء رؤساء القبائل قضاة ينظرون في بعض الأحكام.

¹¹ توفيق بوعشري، الأمازيغية بالمغرب بين الثقافة والسياسة، تصفح بتاريخ: 30-11-2017ن على الرابط:

www.aljazeera.net

¹² الظهير هو القانون الصادر عن الملك.

¹³ عبد الحق الميريني (1934م-الرباط) مؤرخ المملكة المغربية، والناطق الرسمي باسم القصر الملكي منذ 29

أكتوبر 2012م إلى يومنا هذا شغل منصب مدير التشريعات الملكية والأوسمة سابقا.

¹⁴ أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات الأهداف والوسائل البدائل، دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، 2011، ص67.

¹⁵ الحسين وعزي، نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2000،

ص34.

- وضع شيء اسمه (محاكم العرف) يعني التي تحكم حسب الأعراف القبلية لا حسب القانون الإسلامي أو الوضعي ، ومنحها اختصاصات واسعة النطاق.
- ضم القضايا المتعلقة بالمحاكم الشرعية التي ألغيت نهائيا في المناطق البربرية إلى محاكم العرف، وهي بالإضافة إلى العقارات والمنقولات التي كانت من اختصاص المحاكم الشرعية المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية والإرث وما يتعلق به.
- تعميم اختصاصات المحاكم الفرنسية في القضايا التي تعود إليها على المناطق البربرية.

ويقول الأستاذ (المهدي بنونة)¹⁶ في بحث له بعنوان (الظهير البربري بوابة للتصير): "كان صدور الظهير البربر عام 1930م إيذانا ببدء تصدع المد التحرري في المغرب وتأطير الحركة الوطنية المغربية، لقد أرادت سلطات الحماية أن يكون صدور الظهير البربري مدخلا لتقسيم المغرب إلى أمازيغ يقطنون في الأرياف والبوادي وعرب يقيمون في المدن، على أن يتم في مرحلة لاحقة إلغاء الشريعة الإسلامية بالنسبة للتقاضي بين أفراد القبائل البربرية، ومن ثم إلغاء المحاكم الشرعية وإنشاء محاكم مدنية تطبق الأعراف البربرية القديمة"¹⁷، إلا أن الأمازيغ لم يرضوا بهذا الظهير وتصدوا له بكل ما كانوا يملكون من الإمكانيات المادية والمادية والمعنوية، وفي هذا السياق يقول (أبو الحسن) عن تأثر الأمازيغ بهذا الظهير: "تأثروا به إلى درجة عظمى وقد أصبحت الحياة كلها مظلمة في أعينهم وكم أفسلوا من عبارات حينما علموا أنهم ليصبحون عنصرا مستقلا عن العنصر العربي في هذه

¹⁶ المهدي بنونة (1919م-مارس 2010م) صحفي وسياسي ودبلوماسي مغربي من الحركة الوطنية المغربية، ومؤسس وكالة المغرب العربي للأنباء.

¹⁷ أحمد بن نعمان، مرجع سابق، ص85.

البلاد حتى تغنى بذلك شعراؤهم الشعبيون وندبوا هذه الحال التي لم يكونوا ينتظرونها"¹⁸، وقد رأى الكاتب المغربي (التجاني بولعوالي) بأن مصطلح الظهير البربري ليس بالوصف الدقيق لهذا الظهير لأن الأمازيغ ليس لهم صلة بهذا الظهير وهم أبرياء منه ولأنه من صنع الاستعمار وجاء ليقدم مصالحها ويؤكد نفوذها السياسي والعسكري والثقافي في المنطقة، ولهذا فالتسمية الصحيحة هي الظهير الاستعماري وليس الظهير البربري.

في نفس الوقت كانت الهيمنة الاستعمارية شرسة وفتاكة، ويتضح مما سبق أن الفرنسيين جاؤوا لضرب القبائل الأمازيغية التي كانوا يتهمونها بالفوضى، وأن الأمازيغ هم المتضررون الحقيقيون من الاستعمار في كافة النواحي، كالتعليم أو ما يتعلق بالمعاملات التجارية والعقارية وغيرها¹⁹ من صنع الظهير البربري الذي يريد تغييراً حتمياً للنظام القضائي في المناطق الأمازيغية. ويبدو أيضاً أن أهم ما يركز عليه الظهير هو الفصل بين العرب والأمازيغ، وزرع شتى صنوف العداة بينهما، وإعلاء شأن الأول على الثاني، وهكذا ستعيش تداعيات هذا الطرح في لا شعور البعض ليتطور ويشكل عداة قوي.

إن الظهير البربري أو الأمازيغي شكل منعطفا خطيرا في تاريخ المغرب الحديث، حيث أسهم بشكل مكثف في خلخلة الروابط الوثيقة التي كانت تسود المجتمع، وزرع شتى الفوارق بين عناصره المتنوعة، وسيصبح مرجعية لتهميش الأمازيغية والذي يتخذ أشكالا متنوعة، وسيتم وضعها في تناقض مع الوحدة الوطنية وفقا لمعادلة التالية:

¹⁸ التجاني بولعوالي، الإسلام والأمازيغية نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2008، ص121.

¹⁹ المصطفى أكدرد، عشرة مزاعم ضد الأمازيغ، المطبعة السريعة، القنيطرة، المغرب، ط1، 2007، ص100.

حركة وطنية+ عروبة وإسلام-----< وحدة وطنية.

استعمار، فرنسية + بربرية،أمازيغية-----< تفرقة، تمزيق
الوحدة الوطنية.

الفرع الثاني: مرحلة ما بعد الاستقلال

بعد الاستقلال مباشرة في سنة 1956م، كانت الملكية معرضة للتهديد من بعض فصائل الحركة الوطنية التي كانت تحلم بفرض النظام الجمهوري على غرار التجربة التونسية، ثم استمر البعد القومي العربي في سياسات الدولة بتأثير من حزب الاستقلال، أقوى أحزاب الحركة الوطنية المغربية، التي كانت تناضل من أجل الحرية و الاستقلال، ولم يتم الالتفات إلى أن الهوية المغربية ذات أبعاد متعددة لغوية ودينية وعرقية و جهوية، فكان شعار تعريب التعليم والإدارة والقضاء كرد مباشر على سياسة(الفرنسية)الذي فرضه المستعمر على المغاربة، وكان هدفه استمرار التبعية المغربية لفرنسا بعد الجلاء العسكري.

ومن أهم الأحداث التي ميزت مرحلة ما بعد الاستقلال التي كان لها تأثير كبير في صنع وضعية الأمازيغية كثقافة هامشية أدت إلى بروزها وبخاصة مع مبادئ الحركة الوطنية بعد الاستقلال والتي سعت بعد 1930م و- كرد فعل عن مخططات إدارة الحماية- إعطاء الثقافة العربية الرسمية على حساب الثقافة واللغة الأصليتين لسكان المغرب، إلغاء تعليم الأمازيغية من المدارس التي كانت تدرس بها كمادة اختيارية وإغلاق (المعهد العالي للدراسات البربرية) وكل مظاهر الاهتمام بالأمازيغية، وإعلان التعريب كأحد مبادئ التعليم وتكلفت بالنجاح أكثر خلال سنوات السبعينات، حيث وضعت قوانين مؤطرة له في التعليم؛ و في هذا يقول (محمد

شفيق)²⁰: "...مسيرة الاستعراب في المغرب الكبير والمغرب الأقصى خاصة، مسيرة طويلة بما أنها لم تبلغ مداها ونحن في القرن الخامس عشر هجري، تم منها ما تم في مراحل أربع، تميزت أولها وثانيها بالبطء والتلقائية، وتميزت ثالثها بالتسارع الاضطراري، بينما تميزت رابعتها وهي الحالية بالتسارع والتزايد المثير لنوع من التميع"²¹، فقد سياسة التعريب من أكبر العوامل التي ساهمت على انحصار الهوية والثقافة الأمازيغيتين بالمغرب مما أظهر بأمه كخطط واضح يهدف إلى تهميش الهوية الأمازيغية للمغرب المستقل، وقد وضع أول دستور مغربي في 1962م وقد تضمن أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة ولم ترد فيه الإشارة لا من بعيد ولا من قريب لأية مكونات أخرى وعدم الاعتراف رسميا بوجود الأمازيغية لا كهوية أو ثقافة مغربية، ولم يندرج هذا المكون حتى في مختلف التعديلات التي مسها الدستور في 1979م-72-80-92-96، زيادة على ذلك كان التعامل بالرقابة الصارمة على كل مبادرة ترمي إلى التحرك العلني باسم الأمازيغية، ومن جهة أخرى سايرت هذه التطورات ظهور جديد من الشباب الأمازيغي المنحدر وبخاصة من المناطق المهمشة

²⁰ ولد محمد شفيق في 1926م، في منطقة آيت وراين، غير بعيد عن مدينة فاس في المغرب، ترعرع في بيئة أمازيغية ودرس فيه المرحلة الابتدائية م درس المرحلة الثانوية في مدينة أزرو، شغل نصب كاتب الدولة لدى الوزير الأول 1972م ثم كلف بمهمة في الديوان الملكي، وفي عام 1976م عضوا في أكاديمية المملكة المغربية، وفي 2001م عينه الملك محمد السادس عميدا للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، كما عين عام 2003م عضوا لدى المجلس الاستشاري لحقوق الانسان. اعتنى بالأمازيغية ثقافة ولغة وأصدر في 1978م تقريرا كان له صدق واسع في وسائل الإعلام واعتبر أن الاهتمام بالأمازيغية يمر عبر إصلاح دستوري يضعها على قدم المساواة مع اللغة العربية ودعا في (بيان الأمازيغ) عام 2000م إلى تعميم تدريس اللغة الأمازيغية في مدارس المملكة وإعادة كتابة التاريخ، من مؤلفاته: أربعة وأربعون درسا في الأمازيغية، الدارحة المغربية مجال توارد بين الأمازيغية والعربية، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغ، المعجم العربي الأمازيغي.

²¹ علي لكبير بلكبير وفاطمة أفعلي، الشخصية المغربية الأمازيغية في الخطاب التاريخي المدرسي، مطبعة مرجان، مكناس، المغرب، 2010، ص20.

والذي حمل وعيا جديدا مبني على وعي أكاديمي حديث، وكان لكل العوامل الآنفة الذكر وغيرها أثر على شعور النخبة الأمازيغية الناشئة من الطلبة والموظفين الشباب بخيبة لتهميش هويتهم الأمازيغية وعدم إدراجها في أي مكون رسمي داخل الدولة²².

ومع تفاقم الأزمة الاجتماعية، التي كانت حادة في بعض المناطق الأمازيغية-الريف مثلا- وتورط بعض الضباط ذوي الانتماء الأمازيغي في الانقلابين العسكريين الفاشلين ضد الملك الحسن الثاني (1971م-1972م) واعتبر البعض ذلك بمثابة تمرد من داخل البيت الأمازيغي نفسه خصوصا وأن معظم القادة الانقلابيين كانوا من القبائل الأمازيغية، كما أن اللذين أحبطوا المحاولتين معا كانوا من نفس الطينة أيضا، إذ يناقش مؤلف كتاب القبيلة والمجتمع في ريف المغرب (دفيد هارت) (Tribe and society in rural morocco)، انتفاضات الريف الأمازيغي في حقبة ما بعد الاستقلال ضد الحكم في المغرب بعد الاستقلال قامت في مناطق الأمازيغ ضد الرباط، على وجه التحديد انتفاضات 1957م و1958م-1959م و1960م تتصف بصفات مميزة كونها عبرت عن نقمة الأمازيغ على الشكل السياسي والاقتصادي الذي تطور في شكل غير منصف لهم، هذه الانتفاضة وسواها من الحركات الشعبية أو انقلابية ضد حكم الملك محمد الخامس ثم الملك الحسن الثاني لم تشكل بأي حال من الأحوال خطرا حقيقيا على العرش، وبتأكيد هذه النتيجة فإن (هارت) يخالف أكاديميين ومؤرخين آخرين في تاريخ المغرب في القرن العشرين وبخاصة (آرنست غلنر) الذي رأى أن تلك الانتفاضات مثلت تحديا حقيقيا لسلطة الملك وشرعيته.

(هارت) بين هذه الانتفاضات ومحاولات الانقلابات العسكرية في أوائل السبعينات والتحركات الشعبية من القرن الماضي ولاسيما حركة الانتفاضة الطلابية عام

²² أحمد عصيد، سياسة تدبير الشأن الأمازيغي بالمغرب بين التعاقد السياسي وسياسة الاستيعاب، مرجع سابق،

1965م، ويرى (هارت) في هذه المحاولات خطراً جدياً واجهه النظام. لكن منذ انقضاء العهد بآخر تلك الانتفاضات وحتى الآن فإن الدلائل تشير إلى أن الأمازيغ لا يشكلون أي تهديد لسلطة النظام القائم أو تحدياً له، وتمثل سنة 1975م، 1976م لحظة مرجعية أساسية بالنسبة لمطالب الحركة الأمازيغية وتطور القضية الأمازيغية بالمغرب، والتي تزامنت مع تبني الهامش الديمقراطي المتمم بنوع من الانفتاح الجزئي، ولها علاقة بمؤثرات موجة حقوق الإنسان ذات البعد العالمي، وما نجم عنه بوصول الديمقراطيين إلى الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية وربطهم بين الديمقراطية وحقوق الإنسان و ما سيقدم من مساعدات اقتصادية لدول العالم الثالث بمدى احترام هذا الأخير للديمقراطية وحقوق الإنسان وقد تأثر المغرب بهذه المعطيات وتبني ما أصطلح عليه (بالهامش الديمقراطي)، في هذه المرحلة ستزداد مطالب الحركة الثقافية الأمازيغية وستعتمد إلى استغلال مجال الطباعة والنشر للإنتاج الثقافي لدعم القضية الأمازيغية، إلا أن هذا المناخ لم يدم طويلاً وسيشتد الخناق على المطالبين بالحقوق الثقافية الأمازيغية بدءاً بمحاكمة (علي صدقي أزيكو) مقالة بعنوان (في سبيل مفهوم حقيقي لتقافتنا الوطنية) ولم يكتب لهذا المقال النور في مجلة (أمازيغ) التي سحبت ومنعت سنة 1981م وصاحب المقال حكم عليه بسنة سجناً بتهمة المس بأمن الدولة حيث يوضح بأن المشكل الثقافي للمغرب ليس ناتجاً عن مجرد وجوده كحقيقة مجتمعية ثابتة اجتماعياً بل هو عدم طرحه بجرأة وموضوعية، ويضيف بأن الدولة ساهمت بإحلال العربية محل الفرنسية بقدر ما هو رغبة في محو لغة ثالثة أي الأمازيغية وأن هذا الإحلال لمحو الأمازيغية قد ساهم إلى حد كبير جعل المشكل الثقافي مشكلاً سياسياً²³.

²³ علي صدقي أزيكو، في سبيل مفهوم حقيقي لتقافتنا الوطنية، في: معارك فكرية حول الأمازيغية، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، 2002، ص ص 38-40.

وفي سنة 1982م أُلقي القبض على مجموعة من المثقفين الأمازيغ بكتابتهم في مجلة كانوا يصدرونها (الأمازيغية لغة كما أن العربية لغة)، وفي سنة 1994م أُلقي القبض على سبعة أشخاص أمازيغ وحكم عليهم بالسجن والغرامات لأنهم رفعوا بمناسبة الفاتح ماي لافتة يطالبون فيها بتدريس اللغة الأمازيغية، فأثار الحدث الأمازيغ، لكنهم تمالكوا أنفسهم بفضل (الجمعيات الثقافية) وفي نفس السنة أدرك الملك الحسن الثاني أن الاهتمام بالأمازيغية واجبات الوطنية عندما تطرق للموضوع في خطاب يوم 20 أوت وأمر بتدريس اللغة الأمازيغية لكنه لم ينفذ هذا القرار²⁴.

ومع مطلع التسعينات أصبح المناخ الوطني والعالمي مهياً لإعادة بعث (الحقوق الثقافية للأمازيغ) ولكن هذه المرة بنفس سياسي وإيديولوجي، ساهم فيه تراجع نفوذ الإيديولوجيا الاشتراكية، كما هي حال القومية العربية، في مقابل بروز الحركات الإسلامية كفاعل قوي على الساحة السياسية.

وفي هذه الأجواء تحول عدد من النخب الأمازيغية، التي كانت إما نخباً حزبية أو مثقفين أمازيغ وسط الجامعة ومراكز البحث، إلى مناضلين جدد وسط الحركة الأمازيغية، مستفيدين من جهة أولى من الانفتاح النسبي للسلطة تجاه العمل السياسي والاجتماعي، ومن جهة ثانية من نسيج كبير ومتعدد من الجمعيات الناشطة في حقل المجتمع المدني. وهكذا تشكلت حركة يعتبرها البعض ثقافية ويصنفها آخرون سياسية، تطالب برد الاعتبار إلى اللغة الأمازيغية باعتبارها لغة (وطنية)، وإلى الانتباه اقتصادياً واجتماعياً للمناطق الأمازيغية المهمشة والفقيرة، علاوة على إدماج الأمازيغية في البرامج الدراسية في المدارس العمومية وفي الإعلام والإدارة والقضاء.

²⁴ محمد شفيق، بيان بشأن ضرورة الاعتراف الرسمي بأمازيغية المغرب، مؤسسة تاولت الثقافية، المغرب،

وكانت هناك أحداث أخرى وعديدة ستميز بروز حركة احتجاجية أمازيغية كانعقاد دورة لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير في أوت 1980م حول موضوع (الثقافة الشعبية-الوحدة في التنوع) التي تغذت دون شك من الأحداث الأخيرة ل(الربيع البربري) التي اندلعت قبل ذلك بفترة أشهر في الجزائر. وقد امتدت موجة من القمع التي تلت هذه الأحداث إلى الحركة الأمازيغية الناشئة التي لم تتمكن من تطوير نشاط واسع النطاق إلا مع نهاية الثمانينيات تقريبا، فقد اعتقد المحامي (حسن بلقاسم) الذي سيصبح أحد الناشطين المرموقين للحركة الأمازيغية، بسبب كتابته اسمه ومهنته على الياقطة المعلقة على مدخل مكتبه بحرف تيفيناغ. وهكذا تعين انتظار التسعينات لتبدأ هيكلية الحركة الجمعوية. وفي هذا الصدد يؤرخ 5 أوت 1991م (أنظر الملحق رقم الخاص بميثاق حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين بالمغرب) لظهور حركة مطلبية تزودت بعريضة تمثل المطالب الأمازيغية الأساسية، إذ أصدر المشاركون في الدورة الجديدة لجمعية الجامعة الصيفية بأكادير، والتي جمعت معظم النشاط الأمازيغي في المغرب وست جمعيات نص يطالب بالاعتراف باللغة والثقافة الأمازيغيتين وينص الميثاق الذي تمت المصادقة عليه بهذه المناسبة على أن تاريخية اللغة والثقافة الأمازيغيتين مسألة ثابتة (منذ أكثر من 5 آلاف سنة حسب الوثائق الأثرية الموجودة) ومن منطلق هذا التاريخ، يطالب الميثاق بتسجيل الميزة الوطنية للغة الأمازيغية في الدستور إلى جانب اللغة العربية. ورغم بقائها اللغة الرسمية للبلاد فإن العربية لم تعد محددة كلغة وطنية، إذ يطالب الميثاق بإدماج تعليم اللغة الأمازيغية (تمازيغت) في البرامج التعليمية الرسمية، وإنشاء شعب للغة والثقافة الأمازيغيتين بالجامعات المغربية، وأيضا إعطاء مساحة للأمازيغية في وسائل الإعلام²⁵، وفي سنة 1994م

²⁵ ديدي لساوت، قراءة في الخطاب الأمازيغي المغربي، تصفح بتاريخ 03-12-2017. على الرابط:

قامت الحكومة المغربية باعتقالات لأعضاء من جمعية (تيللي)ب (الراشدية) بسبب رفعهم لافتة مكتوبة باللغة الأمازيغية ومطالبتهم باعتراف الدستور المغربي بالأمازيغية كلغة وطنية ورسمية وتم تقديمهم إلى المحكمة التي أصدرت في حقهم أحكاماً قاسية، وبعد ذلك اتخذ الملك الحسن الثاني عدة قرارات أهمها:

- تكوين المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان وتفعيل دوره.
- إطلاق سراح كافة المعتقلين السياسيين والعفو العام على المنفيين منهم.
- الخطاب التاريخي في 20 أوت 1994م القاضي بضرورة تدريس اللغة الأمازيغية لكافة المغاربة في المرحلة الابتدائية.

تشكلت اللجنة الوطنية للتعليم من جميع الأطراف الفاعلة في الحقل السياسي والنقابي والثقافي والفكري، و لم يستبعد من عضويتها إلا الجمعيات الثقافية الأمازيغية التي أصدرت بيانا تعلن فيه أنها غير معنية بما سيصدر عن هذه اللجنة من قرارات لا تأخذ بعين الاعتبار مكانة الأمازيغية كلغة وطنية، وهنا لم تحتل اللغة الوطنية الأمازيغية أية مكانة تذكر في مشروع اللجنة الوطنية للتعليم، وبأمر من الملك الحسن الثاني تم توقيف أعمالها وأعلن أنه سيشكل لجنة ملكية تحت رعايته ستتولى أمر إصلاح التعليم، وبالفعل تم تأسيس اللجنة الوطنية للتربية والتكوين وقد أسفرت اللجنة على مشروع ميثاق وطني للتربية والتكوين وقد انتقل الملك الحسن الثاني إلى رحمة الله قبل أن يطلع على المشروع؛ والملاحظ لهذا المشروع يجد أنه لم يأتي بجديد وأقر أن اللغة العربية كلغة أساسية للتعليم على اعتبار أنها لغة رسمية حسب الدستور وتجاهل المعطيات الخاصة باللغة

الأمازيغية، ولم يحظ هذا المشروع بطموحات وآمال اللغة والمناضلين الأمازيغ ويعتبرونه كتجسيد حقيقي للميز اللغوي في المغرب²⁶.

أما الجانب التنظيمي فقد كانت الحركة الثقافية الأمازيغية وهي حديثة النشأة -إذ استئنينا بعض المحاولات الفردية- فإن أول جمعية ذات تأثير أنشأت للاهتمام باللغة والثقافة الأمازيغيتين هي (الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي)، وكان ذلك سنة 1967م. ويمكن تأريخ ظهور المطالب الأمازيغية في المغرب بمستوى ترابطي مع إنشاء جمعية (الجمعية المغربية للبحث والتغيير الثقافي AMREC)²⁷ وهي جمعية لها بلاء حسن في الموضوع، ولا يزال لها وزنها وإسهامها فيه. وتتبع جذور نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية من واقع المجتمع المغربي ذاته، وذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: ضعف-وأحيانا غياب- الاهتمام باللغة الأمازيغية وثقافتها وأهلها. وهو ما يظهر من مكانتها المحدودة جدا في التعليم والإعلام وبرامج الثقافة الرسمية. وهو أمر تكرر بعد الاستقلال سنة 1956م تأثرا بالدعوات المسيطرة آنذاك على الساحة العالمية و الإقليمية. وذلك مثل الماركسية التي هي أممية بطبعها مهمشة للأقليات والثقافات. وقد كان التيار اليساري ذا صولة في المغرب طيلة تلك الفترة. وينطبق الأمر نفسه على التيار القومي العربي الذي كان لفكره تأثير مقدر على نخب المرحلة أيضا.

²⁶ عبد العزيز بوراس، المشروع الوطني للتربية والتكوين تكريس صريح للميز اللغوي في بلادنا، في: معارك فكرية حول الأمازيغية، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، 2002، ص171.

²⁷ Stephanie Pouessel, Du village au village global émergence et construction d'une revendication autochtone berbère au Maroc, Presses de sciences politique, Maroc, 2006, p 126.

ثانيا: وجود مظاهر التهميش المادي والاجتماعي للمناطق ذات الأغلبية الأمازيغية بالمقارنة مع باقي المناطق. وهو ما تبرزه المقولة المعروفة بأن هناك مغربا نافعا ومغربا غير نافع. صحيح أن الأمر يتعلق بامتيازات لسكان المركز ونخبه على حساب الهوامش والمناطق النائية، وهي مناطق منها ما ينطق بالعربية أيضا، لكن الأغلب الساحق منها ينطق بالأمازيغية.

ثالثا: لكن هناك سبب آخر هو انتشار الدعوة إلى القومية العربية الحديثة، فقد غزت السوق المغربية كتابات ومجلات تمجدها، وتبناها بعض السياسيين. وتحولت لديهم إلى (إنتماء) وإلى أيديولوجيا تعبوية في مقابل قوميات أخرى. فتولد رد فعل طبيعي ومشروع بالاعتزاز بالانتماء الأمازيغي²⁸.

الفرع الثالث: البيان الأمازيغي لمحمد شفيق

في سنة 2000م وقع أزيد من 220 مفكرا وباحثا مهتما بالثقافة الأمازيغية ويترأسهم محمد شفيق بيانا حول الأهمية القصوى لإعطاء الجانب الرسمي للقضية الأمازيغية والإهتمام بها أكثر وبجدية والتي تم تغييبها عن الخطاب الرسمي للدولة، واستغرق تحرير هذا البيان حوالي ثلاث سنوات بشكل سري وكان مبرمج أن يسلم إلى الملك الحسن الثاني.

أولا: المطالب الأساسية للبيان الأمازيغي

اعتبر البيان الأمازيغي للمفكر والمؤرخ محمد شفيق بمثابة الوثيقة التاريخية ونداء بشأن ضرورة الاعتراف الرسمي بالمكون الأمازيغي المغربي، وبهذا يمكن إعتبار

²⁸ سعد الدين العثماني، الأمازيغية بالمغرب رؤية حزب العدالة والتنمية، تصفح بتاريخ 03-12-2017، على

هذا البيان أول خطوة رسمية للتفعيل السياسي للقضية الأمازيغية ولكن في غطاء أو في قالب ثقافي؛ وتحدد أهم مطالب البيان الأساسية في:

- دسترة الأمازيغية.
- أن تجعل الحكومة مسألة الأمازيغية موضوع حوار وطني واسع النطاق.
- التنمية المحلية والاقتصادية للمناطق الأمازيغية.
- مطالبة الحكومة بتهيئة الآليات البيداغوجية في المدارس والمعاهد والجامعات لفرض وتمكين تدريس الأمازيغية فيها.
- إعادة النظر بجد في مادة التاريخ التي يتعلمها في المدارس والتدقيق في تاريخ المغرب
- توسيع مجال الإعلام الرسمي في مجال الأمازيغية.
- تحديث هيئة للمترجمين بين الأمازيغية والعربية يوظفون في المحاكم والإدارات.
- التوقف عن تعريب أسماء الأماكن والقرى والمدن بشكل قسري.
- فتح المجال للجمعيات الثقافية بصفة الصلاحية العمومية للإستفادة من معونات الدولة.
- فتح المجال أيضا للجرائد والمجلات وباقي المنشورات المهنية للحديث والدفاع عن التراث الأمازيغي للمغرب.

ثانيا: لجنة البيان الأمازيغي

بعد صدور هذا البيان والتوقيع عليه شكلت لجنة البيان الأمازيغي والتي تضم 15 عضو من أهم نشطاء الحركة الأمازيغية؛ وهنا استعدت مجموعة من الفعاليات الأمازيغية لخلق إطار قانوني للدفاع عن مضامين بيان بشأن الاعتراف الرسمي

بأمازيغية المغرب الشيء الذي جعل النقاش الأمازيغي-الأمازيغي يرجع لجدل قديم وهو النقاش المتعلق بالثقافي والسياسي في نضالات الحركة الأمازيغية، حيث تمخض عن البيان عقد لقاءات ببوزنيقة وتشكيل لجنة البيان الأمازيغي، حيث أظهرت خلاصة النقاشات في إطار ثنائية الثقافي والسياسي. إذ بدأ الجدل الأمازيغي حول آفاق الآليات والخيارات التنظيمية للحركة الأمازيغية بالمغرب يأخذ منعطفًا آخر واتجاهًا جديدًا من قبل (كل ما ضاع سياسيًا لن يسترجع إلا سياسيًا) الشيء الذي حملهم إلى الخوض في حوار انتهى بهم في نهاية المطاف إلى الحث على ضرورة توفر إطار سياسي لمواصلة النضال وتوسيعه²⁹.

المطلب الثالث: مرحلة التوجه لإنشاء حزب سياسي أمازيغي

تم التركيز في هذه المرحلة على اعتناق خيار حديد من النضال تم تسميته (العمل بجناحين ثقافي سياسي) على اعتبار أن إقصاء وتهميش الأمازيغية هو قرار سياسي ولهذا فإن القرار الثقافي ونشاطه ليس كافيًا لتغيير وتحقيق أهداف الأمازيغية بشكل عام، إلا أن منطلق الفكرة لم يقبل قبول ويرجع ذلك إلى توزع الحركة لأمازيغية لثلاث اتجاهات رئيسية³⁰:

الاتجاه الأول: رسمي وتمثله الحركة الشعبية.

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه معتدل ويمثله بالأساس التيار الجمعي لتحقيق مطالب الحركة الأمازيغية (الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي).

الاتجاه الثالث: اتجاه راديكالي (غير منظم) تمثله الحركة الطلابية.

²⁹ أحمد أزعري، المؤسسة الملكية والحركة الأمازيغية-التنظيم والمواقف في أفق الانتقال الديمقراطي، (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2003)، ص ص 94-95.

³⁰ نفس المرجع، ص 95.

وبهذا نشأت رؤيتان على ضرورة إنشاء حزب سياسي من عدمه؛ الأولى ترى بضرورة الإسراع إلى إنشاء الحزب السياسي، أما الرؤية الثانية فتري أن إنشاء حزب سياسي أمازيغي يتم الوصول لها في إطار منظم وفي سيرورة محددة ذات مراحل دقيقة لا يمكن حرقها أو تجاوزها.

الفرع الأول: التيار المؤيد للإطار السياسي

ويرى دعاة هذا الاتجاه أن العمل الثقافي لم يحقق ما كان ينتظر منه للقضية الأمازيغية، بحيث أن المكاسب ظلت جد محدودة؛ بمعنى أن المطالب الجموعية لم تستطع أن تصل إلى قبة البرلمان والحكومة إذ اتضح أن المطالب الجموعية لم تقدر بالتالي التأثير على الحكومة وبهذا تم وصف العمل الجموعي باعتباره رافد من روافد الديمقراطية لم يفرز أي نتيجة.

الفرع الثاني: التيار الراض لتأسيس إطار سياسي أمازيغي

يرى هذا التيار أن تأسيس حزب سياسي لا يخدم القضية الأمازيغية بقدر ما سيكون ضدها ولن يختلف الحزب السياسي الأمازيغي عن بقية الأحزاب السياسية المخزنية الأخرى والتي تدعي أنها تمثل الأمازيغية سواء في الحكومة أو في البرلمان على اعتبار أن تجسيد الأمازيغية في حزب معين لا يخدم القضية والتي يجب أن تسمو فوق الأحزاب باعتبارها مسؤولية وطنية يجب أن تتبناها كل الأحزاب السياسية.

ومن جهة أخرى فإذا أعطيت للأمازيغية الأهمية اللازمة فإن الحركة الثقافية الأمازيغية ستتجه أكثر إلى المجال الثقافي والإبداعي بكيفية طبيعية، أما إذا أهملت فإنها ستتطور أكثر إلى المجال السياسي³¹.

³¹ أحمد أزعري، المؤسسة الملكية والحركة الأمازيغية-التنظيم والمواقف في أفق الانتقال الديمقراطي، مرجع سابق، ص ص 96-97.

المبحث الثاني: موقف النخب الوطنية من المسألة الأمازيغية

من خلال هذا المبحث سيتم التطرق لموقف النخب الوطنية من المسألة الأمازيغية والتي تم حصرها أساسا في الأحزاب السياسية ومختلف المؤسسات التي ساهمت وأثرت على مسار التوجه الأمازيغي من الثقافي إلى السياسي كالجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

المطلب الأول: الأمازيغية والأحزاب السياسية

بمقاربة سؤال الثقافة الأمازيغية داخل أدبيات ومواقف الأحزاب السياسية خاصة تلك المنحدرة من أصول الحركة الوطنية وامتداداتها، سنجد أن نظرتها ظلا ولمرحلة طويلة موسومة بمخلفات ظهير 16 ماي 1930م ذلك اعتبرت أي حديث عن الأمازيغية هو إحياء للظاهرة الاستعمارية، ويعكس مقال (السغروشني) في الاتحاد الاشتراكي ليوم 27 سبتمبر 1995م هذا التخوف من خلال أسئلة مصاغة بدقة بالغة حيث يقول: في أي إطار تتم المناداة بالأمازيغية؟ هل الانتصار للأمازيغية معناه تكسير الوحدة الوطنية كما عرفناها وعشناها حتى الآن واستبدالها بوحدة جديدة؟ هذه الهواجس تشكل اللامفكر فيه في خطاب الأحزاب الوطنية حول الأمازيغية. ومن خلال أدبيات هذه الأحزاب وطروحات بعض رموزها يمكن الإقرار بوجود لحظتين في خطاب هذه الأحزاب: لحظة المناهضة والرؤية الأحادية ولحظة الحيرة السياسية أو الاعتراف الخجول أحيانا والجريء أحيانا أخرى لبعض مكونات هذه الأحزاب؛ وغي هذا الإطار يجب التمييز بين الأحزاب اليسارية والوطنية التي كانت لديها نخبة ثقافية هامة ولديها مشروع ثقافي يعتبر قاعدة أو كمنطلق لمشروعها السياسي، والأحزاب الإدارية التي ليس لها اهتمام بهذا الجانب لأن مشروعها السياسي يوضع

في غياب أي عمق ثقافي، فالصراع كان من الأحزاب اليسارية والوطنية، التي كانت تعمل في إطار إيديولوجية معدة سلفا وهي (القومية العربية، السلفية)¹.

إذ من الملاحظ أنه منذ اعتماد التنظيم الحزبي من قبل رجال الحركة الوطنية في فيفري 1934م والأمازيغية تعرف عدة أشكال من التغييب، حتى بعد مرحلة الاستقلال؛ بحجة أن هناك قضايا ذات أولوية تتمثل في بناء الدولة الوطنية وتحديثها، والتنمية الاقتصادية والصراع الطبقي فبين 1956م-1961م كانت السمة الأساسية الغالبة هي التناقض² بين الحركة الوطنية والطبقات التقليدية وهو التناقض الذي أفرز الحركة الشعبية التي يراها (علال الأزهر) المدافع عن النزعة الأمازيغية والإقطاع واللغة الفرنسية للوقوف في وجه التعريب³. فالحركة بهذا المعنى حركة عنصرية تقسم الشعب المغربي على أساس عرقي، مادامت تناضل ضد الحركة الوطنية الحضرية وان سياسة الحركة الشعبية ليست سوى استمرار للسياسة البربرية الاستعمارية.

¹ أحمد الباهي، الحركة الأمازيغية بالمغرب، (رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2004)، ص ص 42-43.

² عند حصول المغرب على الاستقلال بفضل نضال قادة حلف وطني يضم القوى الوطنية الحزبية والملك، لم يكن ممكنا ولا في صالح أحد أن يتحول النظام السياسي في المغرب المستقل إلى نظام الحزب الوحيد الحاكم، إذ أن ذلك سيعني أن هذا الحزب إما أن يكون (حزب الملك)، في مواجهة الحركة الوطنية التي انتزعت الشرعية بنضالها وانخراط أوسع الجماهير في صفوفها، أما (حزب الحركة الوطنية) في مواجهة الملك الذي اكتسب من خلال انخراطه في العمل الوطني من أجل استقلال الشرعية النضالية إضافة إلى الشرعية التي راكمها طوال القرون الماضية لهذا لم يغامر أحد الطرفين في محاولة للقضاء النهائي على الطرف الآخر فذلك كان سيؤدي إلى الإخلال بالتوازن السياسي الوطني الشيء الذي كان سينتج عنه عواقب خطيرة على الكل (أحمد أزعري، المؤسسة الملكية والحركة الأمازيغية) (التنظيم والمواقف في أفق الانتقال الديمقراطي)، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص 34).

³ علال الأزهر، المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1984، ص ص 54-80.

نشأت الأحزاب السياسية المغربية في سياق (وطني) لمواجهة الاستعمار الفرنسي، لذلك لم يقدم الحزب المغربي نفسه كمعبر عن شريحة اجتماعية؛ بل قدم نفسه كممثل للشعب بأكمله وفي نفس الوقت عمل على تهميش العنصر الأمازيغي معتمداً في ذلك على مبدأ الإجماع حول الاستقلال وسمح لنفسه بتخوين كل اختلاف، وترتب عن ذلك القول بأنه كانت هناك سياسة بربرية لفرنسا؛ أي الاعتراف ضمناً بوجود سياستين لفرنسا الأولى عربية والثانية بربرية. وهنا نلاحظ أن أمر هذه الأحزاب أمر غريب إذ يطلب منها أن تضع برامج سياسية في الوقت الذي يتم فيه تحديد اختيارات الأمة من طرف الملك ممثلاً الأسمى ويطلب منها تأطير المواطنين وتمثيلهم دون حجب الشعب عن ملكه أي دون لعب دور الوسيط. فالكل في المغرب يسير وكأن الملك في حاجة ماسة للأحزاب وللتعددية الحزبية ولكن لكي يتمكن من لعب دور الحكم بين المجموعات السياسية المتنافسة ولكي تقوم بوظيفة صمام الأمان من أجل مراقبة المجموعات الاجتماعية غير الراضية، فالكل يسير وكأن الأحزاب السياسية في حاجة ماسة للملك من أجل ممارسة سلطة حكومية لا يمتلكها سواه إذ يمدهم بها عند الاقتضاء للقيام بمهام من شأنها خدش صورته لدى المحكومين ويمكن أن يرجع ذلك لتظافر أسباب منها⁴:

- استراتيجية الإنشاء والتسخير التي تتقنها المؤسسة الملكية بحكم انتمائها لثقافة مخزنية ضاربة في القدم.
- استراتيجية منح التمثيلية للأحزاب من الأعلى.
- غياب أيديولوجية واضحة المعالم لدى الأحزاب وهو الشيء الذي يجعلها تركز دوماً على اتباع (تقليدية) انتهائية لا توازيها سوى تقليدية النظام نفسه.

⁴ أحمد أزعري، المؤسسة الملكية والحركة الأمازيغية-التنظيم والمواقف في أفق الانتقال الديمقراطي، مرجع سابق، ص35.

➤ غياب اعتماد الأساليب الديمقراطية داخل الأحزاب والركون إلى إعادة إنتاج

النموذج المتجسد في الثقافة المخزنية⁵.

⁵ عرف مصطلح (المخزن) تطورا عقب الحقب التاريخية، قد استعمل في بداية الأمر للتعبير عن اسم المستودع؛ أي المكان الذي تخزن فيه أمتعة الدولة من مؤمن وما شابه ذلك، وبعدها أصبح يطلق على الخزينة أو النظام الضريبي للدولة التي تعمل على اقتطاع الضرائب وكذا الغنائم التي تجنيها من غزوها للقبائل...لكن مدلول هذا الاصطلاح سيعرف بعد ذلك تطورا، إذ صار المخزن يعني الدولة وما يتفرع عنها من السلطات والجيش والموظفين..بمعنى أكثر وضوحا كل الشرائح الاجتماعية التي تتقاضى أجرا من خزينة الدولة من أجل الدفاع عن شرعيته من حيث الاستمرارية والرقى فيها..ومن هذا المنطلق نجد المفكر (عبد الله العروي) يعتبر المخزن كمصطلح شائع في مغرب القرن التاسع عشر، له دلالات يمكن أن تفرزها منها اثنين: تعريف ضيق ويعني كل الأفراد الذين يحصلون على أجورهم من خزينة السلطة، ويعني البيروقراطية والجيش وغيرها. وتعريف عام يصير بموجبه المخزن هو مجموع الشرائح الاجتماعية التي يستمد منها المخزن رجالته وأطره أو ما يسمى بالخاصية (الأرستقراطية) من قبيل، الشرفاء...فالمخزن إذا أداة لممارسة السلطة يحيل قاموسها في المخيال الجماعي على مفاهيم القوة، الهيبة، الصرامة...ويركز في تعاملاته على الأعراف، الشبكات الزبائنية، الروابط الشخصية والدموية والقبيلة..ويحرص على تجديد تحالفاته وتثمينها عبر إعادة توزيع الأدوار في إطار التوازنات السياسية والاجتماعية والسياسية المعينة بهدف تقوية السلطة المركزية وضمان استمراريتها..فهو يقرب المهاندنين له ويدمجهم في استراتيجيته، ويقصي ويهمش المناوئين والمعارضين له وكل الطاقات التي من شأنها التشويش عليه أو منافسته..فالمخزن سياسيا يحيل على السلطة والقوة، أما اجتماعيا فنجدته يحيل على العنف والإكراه واقتصاديا على جمع الضرائب ومراقبة الأنشطة الاقتصادية..من خلال التواجد المباشر في الأنشطة التي تهتم غالبية السكان حتى يتسنى له لعب دور قائد التنمية الاقتصادية ويحيل ثقافيا على رعاية الزوايا، الأضرحة، المواسم الثقافية والفلكلورية...ومنه المخزن يمثل منظومة ثقافية وسياسية تستمد مقوماتها من رواسب القرون الماضية، أكثر من ذلك فهي منظومة قائمة بذاتها من حيث السلوك إذ نجدها تشكل نمطا موازيا للآليات القانونية والمؤسسات الرسمية. ويقوم الإعلام، خصوصا السمعي البصري، بدور مركزي في ترسيخ الثقافة المخزنية سواء من حيث الحرص على تقديم صورة النظام وتأكيدا عبر مختلف الرموز والقيم وكذا الإشارات الثقافية الرامية على إعادة إنتاج النموذج(نيو باترياركالي) المتجسد في الثقافة المخزنية العتيقة داخل المخيال الجماعي أو من حيث مناهضته لكل القيم والأفكار والآراء المخالفة لكل ما هو رسمي؛ فالمخزن اعتمد على الصورة واستطاع عبرها ترسيخ صورته المتعددة الأشكال والمتداخلة فيما بينها داخل النسيج الاجتماعي اعتبارا لتعدد الحقول التي يشتغل في ظلها، ذلك أن الملك يظهر تارة في صورة أمين المؤمنين وتارة أخرى في صورة رئيس الدولة وثالثة في

الفرع الأول: حزب الاستقلال

للإشارة انه لم تتسع رقعة الاهتمام بأطروحة الظهير البربري إلا بعد تأسيس حزب الاستقلال سنة 1944م والذي جعل منها أسطوره التأسيسية وخصص لها دعاية واسعة ليحتفل بها كحدث وطني عظيم وكنقطة انطلاق لتاريخ المغرب المعاصر، فمعالم هذه الثقافة الحزبية التي كانت تنظم سلوكات القيادات الحزبية ومازالت تعبر عن نفسها بأساليب جديدة نظرا لهيمنة الثقافة الحزبية الموروث عن فترة الحماية أفقدتها منذ البداية للمشروعية الديمقراطية حيث تتجلى في البناء التنظيمي للأحزاب ثقافة الإقصاء، فلا تسمح بأي اختلاف وحولت الأحزاب إلى تنظيمات مغلقة تعيد إنتاج سلوك الولاء والخضوع.

فالتشكيلة الاجتماعية المغربية تنسم بالتعددية وفي خضم هذه التعددية تستدعي الانتباه لمسألة اللغة-الثقافية. كيف حددت الأحزاب موقع الأمازيغية ووظيفتها وكذا مصيرها؟ فقد كان لحزب الاستقلال بعد الحماية الفرنسية موقع من الأهمية كمؤسسة حزبية قوية؛ وبعد الاستقلال اتضح للمؤسسة الملكية في سياسة حزب انه ينافسها، مما أزعجها كثيرا ودفعها إلى العمل على إيقاف مسيرته المؤسسية وذلك باستعمالها لرأسمالها الرمزي ولاحتكارها لوظيفة التعيين في المناصب السياسية السامية؛ فسارعت السلطة إلى تعيين رجل أمازيغي في منصب وزير الداخلية⁶، الذي سيعمل

صورة السلطان الذي يمارس دور الحكم.(مصطفى عنتر، تأملا حول المخزن الثقافي في مغرب القرن الواحد والعشرين، www.m.ahewar.org، تصفح بتاريخ: 08-12-2017).

⁶ تم تعيين (لحسن اليوسي) في منصب وزير الداخلية، وهو أول وزير داخلية بعد الاستقلال عام 1956م، ولد بتاريخ 1930م-1970م ب صفرو، وكان يشغل منصب باشا مدينة صفرو وهو من مؤسسي الحركة الشعبية، واستمر (لحسن ليوسي) ما بين 1924م و1940م قبل أن يُطرد من وظيفته حينما رفض التوقيع على عريضة تنصيب (ابن عرفة)، الذي كانت فرنسا تريد أن تضعه ملكا عوض م(حمد الخامس) الذي نفته إلى كورسيكا.

على تحييد الإدارة سياسيا في مواجهة حزب الاستقلال وهي المهمة التي سيتممها (مبارك البكاي)⁷، وموازية مع هذه السياسة سارعت الملكية إلى إسناد الحكومة ورئاستها لـ(عبد الله إبراهيم)⁸، ممن كانوا يمثلون الجناح اليساري لحزب الاستقلال وشكل حكومة 1958م الشئ الذي سارع بانشقاق حزب الاستقلال وتكوين حزب جديد هو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية⁹.

فالحزب لم يكلف نفسه عناء البحث فيها ودراستها لبلورة موقف منها علميا، ويلاحظ أن الحزب قد غيب أي تحليل سوسيوثقافي أو معرفي في طرحه لبرامجه في المسألة، فمن الممكن أن نجد بعض مثقفي الحزب يطرحون تصوراتهم غير أن هذا التصور يبقى متسما بالعمومية وطغيان الخطاب السياسي الإيديولوجي على حساب المعرفة والدراسة السوسيوثقافية والمنهج العلمي لتأطير التصور والموقف؛ لذا تجاهل الحزب اللغة والثقافة الأمازيغية ويعتبرها محاولة لتهديد الوحدة الوطنية مما يؤدي بالضرورة إلى التشتت، لذا فقد ظل مواقفه مقاومة للاعتراف بالبعد الأمازيغي للمغرب ثقافة ولغة، وقد جسدت أدبياته هذا المنحى من خلال التأكيد على البعد العربي الإسلامي للمغرب، فقد حدد (علال الفاسي) تصور الحزب بهذا الشكل في وحدة اللغة الوطنية التي هي العربية، والتأكيد على البعد العربي الإسلامي، يجب تعميم اللغة العربية الفصحى في كل مجالات الحياة العامة على اعتبار أن ذلك هو المدخل للحفاظ

⁷ (مبارك البكاي 1907م-1961م) أول رئيس حكومة بالمغرب بعد الاستقلال، حيث عين ن طرف العاهل آنذاك محمد الخامس 1955م وبقي في هذا المنصب حتى 1958م.

⁸ (عبد الله إبراهيم 1918م-2005م) ثالث رئيس حكومة بالمغرب بعد الاستقلال 1958م-1960م، رئيس حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

⁹ أحمد أزعري، المرجع السابق، ص36.

على الإنسية المغربية ضد الغزو الأجنبي، وظل (عبد الكريم غلاب)¹⁰، يهاجم أي دعوة للاعتراف بالأمازيغية وخاصة من خلال كتابه (من اللغة إلى الفكر) والذي يرى فيه أن المهتمين بالهوية والثقافة الأمازيغية إما يحملون نفس الضغائن والأحقاد التي زرعتها المستعمر، وكذلك من خلال بعض مقالاته في حديث بجريدة العلم إثر صدور كتاب محمد شفيق (لمحة عن 33 قرنا من تاريخ الأمازيغ). ورغم دفاع (علال الفاسي) عن كرسي للأمازيغية في الجامعة وحديثه في أشعاره عن (أمازيغ ويغرب) كبعدين للشخصية المغاربية، فإن سؤال الأمازيغية لم يثر في مقررات حزب الاستقلال حتى حدود المؤتمر الثالث عشر، حيث فرضت نفسها من خلال مد الحركة الثقافية الأمازيغية وانفتاح النسبي على مستوى الخطاب على الأقل عن المسألة الأمازيغية¹¹.

ويعتبر حزب الاستقلال أن من ثوابت مرجعيته استكمال الوحدة الترابية وتكريس العدد اللغوي، الثقافي، والحضاري للهوية المغربية عبر تثمين الإنسية المغربية. إن إعترافا على هذه الدرجة الكافية من الوضوح بالتعدد اللغوي داخل المنظومة الوطنية يبدو ربما متقدما على الموقف السابق للأمم العام للحزب الذي أدلى به خلال الجامعة الصيفية للشبيبة الاستقلالية ببوزنبقة 2005م حيث صرح "إن حزب الاستقلال سيكافح لكي لا تكون الأمازيغية لغة رسمية" وقد اعتبرت الجمعية

¹⁰ (عبد الكريم غلاب 1919م-2017م) ولد بفاس، اشتغل بعد تخرجه أستاذا في المدارس الثانوية المصرية بين عامي 1945م-1947م ثم عاد عام 1948م للمغرب ليمارس مهنة الصحافة حيث تولى رئاسة مجلة رسالة المغرب-ومجلة-العلم- كما ساهم في تأسيس اتحاد كتاب المغرب، وعمل بوزارة الخارجية المغربية سنة 1956م ووزيرا للخارجية في 1983م، انخرط مبكرا في النشاط السياسي في حزب الاستقلال، وأصبح أحد قاداته البارزين، وانتخب سنة 1974م عضوا في مجلس الرئاسة للحزب عقب وفاة علال الفاسي.

¹¹ أحمد الباهي، مرجع سابق، ص 50.

المغربية للبحث والتبادل الثقافي في ردها على هذا التصريح، أنه يمثل موقفا لا وطنيا، ومن شأنه أن يهدد السلم الاجتماعي والأمن الثقافي¹².

الفرع الثاني: حزب التقدم والاشتراكية

يعتبر حزب التقدم والاشتراكية أكثر الأحزاب المغربية انفتاحا على الخطاب الأمازيغي بحكم تصوره الإيديولوجي الذي لم يكن يمدح المد القومي العربي، ما جعل تعامله مع الأمازيغية يختلف نسبيا على تعامل القوى الأخرى إذ أنه أشار إلى الإشكاليات اللغوية والثقافية منذ مؤتمره الأول سنة 1975م، وطرح الأمازيغية أيضا في مؤتمره الثاني في 1979م وهو ما أكدته الأطروحة 144 التي صادق عليها المؤتمر الوطني الثاني على أن: "تكران الخصائص الأمازيغية يعد موقفا قصير النظر ويسمح للتيارات الرجعية الإقليمية أن تتبناها... إن الموقف الوطني والثوري الحق هو إدماج تلك الخصائص في كنز تراثنا المشترك وجعل منها قاعدة للنضال الوطني الديمقراطي ورباطا لتوثيق الوحدة الوطنية"¹³.

كما ضمن الحزب مواقفه من هذه القضية من خلال كراسه الصادر سنة 1980م والمعنون ب(اللغات والثقافات الأمازيغية جزء لا يتجزأ من الإرث الوطني المغربي). ويتميز حزب التقدم والاشتراكية على أحزاب أخرى بموقفه وتحليله للمسألة الأمازيغية باعتباره أول حزب من الأحزاب المحسوبة على اليسار يتناول القضية الأمازيغية، فقد طالب أمينه العام (علي يعته) في 1975م خلال تجمع جرى في الدار البيضاء، وهو التجمع الأول الذي نظمه الحزب بعد حصوله على المشروعية،

¹² محمد الساسي، دسترة الأمازيغية في أي مستقبل للأمازيغية بالمغرب، سلسلة الدراسات الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009، ص62.

¹³ أحمد أزعري، مرجع سابق، ص40.

بإنصاف اللغات والثقافات الأمازيغية، وفي مؤتمره الأول 1975م تبني الحزب هذا الطرح وأفرد له حيزا هاما ضمن برنامجه ومنه ما يلي (يجب إعادة الاعتبار لإسهامات اللغات البربرية وثقافتها وذلك بتطهيره من ظل نزعة إقليمية ومن كل تعصب من نفوذ النظام الإقطاعي) لأن الثقافة الوطنية تعتبر (الثمار التاريخية لإسهامات مختلفة ساهم بها السكان الذين شكلوا الأمة المغربية وأضفوا عليها طابعا خاصا لا جدال فيه). بعد ذلك أصبحت المسألة الأمازيغية هاجسا أساسيا لمناضلي الحزب تطرح في مؤتمراته ووثائق الحزب وبعض أنشطته وصحافته، حيث شكلت جريدة البيان وبيان اليوم نقطة انفتاح على قضايا الأمازيغية، كما قدم فريق التجديد والتقدم الديمقراطي إلى لجنة التشريع بالبرلمان بمقترح قانون يهدف إلى إنشاء (المركز الوطني للدراسات والأبحاث الأمازيغية سنة 1994م)، ويهدف هذا المركز حسب ما جاء في المقترح إلى القيام بجمع وإحصاء مختلف تجليات وتعابير الثقافة الأمازيغية عبر أرض الوطن والمحافظة عليها وصيانتها...وفي إطار الاستعدادات لعقد المؤتمر الوطني السادس للحزب نظم هذا الأخير ندوة حول المغرب الراهن، وسؤال الأمازيغية 21-04-2001م بالرباط، لمناقشة الأبعاد السياسية والسوسيو ثقافية وراهنية سؤال الأمازيغية والتفكير في إطار من الهدوء والرزانة بعيدا عن الخطابات الديماغوجية والشعبوية التي غالبا ما تنتعش في فترات الحملات الانتخابية). وقد تكرر موقف الحزب هذا في القانون الأساسي للحزب في فصل الهوية والمبادئ حيث نقرأ (إن حزب التقدم والاشتراكية، يستمد هويته ممن ثقافة شعبنا العربية- الأمازيغية التي سمحت بالحفاظ على شخصيته الحضارية عبر قرون عديدة) وفي مشروع الأطروحة والبرنامج العام للحزب نجد: المسألة الأمازيغية: وحزب التقدم والاشتراكية الذي كان دائما يندد بالتهميش الذي يطال هذه الثقافة فإنه يدعو اليوم كافة الحساسيات الثقافية والفكرية إلى نقاش هادئ ورصين لدعم مطالب الحركة الثقافية

الأمازيغية والمتمثلة في الأبعاد الثلاث التالية: البعد المؤسساتي، تدريس الأمازيغية، الأمازيغية في الإعلام). ورغم مصادقة المؤتمر على التوصيات المتعلقة بالأمازيغية بالإجماع ومطالبة (إسماعيل العلوي) بدسترة الأمازيغية... فإن الحركة الأمازيغية سجلت بعض المؤاخذات على مواقف الحزب ومنها¹⁴:

➤ الطرح النخبوي والمناسباتي للمسألة الأمازيغية، وهذا ما يفسر غياب مناضلين من الحزب عن الحركة الأمازيغية على مستوى النشاط في الفروع.

➤ عدم اتخاذ أي إجراء لفائدة تعليم الأمازيغية ولو في أقسام نموذجية من أجل تكسير الحصار عليها حينما كان الأمين العام للحزب على رأس وزارة التربية الوطنية، وعدم الدفع بحكومة التناوب التوافقي لإتخاذ إجراءات عملية لصالح الأمازيغية.

➤ عدم طرح نواب الحزب للمسألة الأمازيغية خلال الجلسات البرلمانية.

➤ تصريحات بعض الأعضاء القياديين في الحزب التي تنفي الواقع حينما يتحدثون عن المغرب العربي وعن المغاربة العرب والمسلمين وانزلاقات بعض الكتابات الصحفية على أعمدة جريدتي البيان وبيان اليوم مثل القول (300 مليون نسمة هو الرقم الإجمالي للعرب الموزعين على العرض والطول من المحيط إلى الخليج).

الفرع الثالث: الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية

لقد ظل الخط الرسمي لهذا الحزب ولمدة طويلة ضد أي مطلب للاعتراف بمطالب الحركة الثقافية الأمازيغية، فتحت هيمنة المد القومي دافع (محمد عابر الجابري) على ضرورة إماتة اللهجات المحلية الأمازيغية. فيما اعتبر التقرير

¹⁴ أحمد الباهي، مرجع سابق، ص ص 47-49.

الإيديولوجي للاتحاد الاشتراكي والثقافة والتراث الشعبي وضمنها الأمازيغية جانبا معرقلا للصراع الاجتماعي، في نفس الوقت تأتي مجموعة من الإيجابية التي قام بها المقالات في صحيفة الحزب لتأكيد هذا المنحى، مثل ما ذهب إليه (السغروشنى) في الاتحاد الاشتراكي ليوم 27-09-1995م إذ يقول: "إن هوية المغرب عربية إسلامية والبربر عرب قدامى هاجرو من الشرق، والأمازيغية لهجة سامية قديمة مينة الآن... والحركة الأمازيغية هي انحراف يعود إلى فشل الحركة الوطنية في عملية التعريب الشامل للمجتمع عن طريق التعليم"، وقد اعتبر هذا المقال من طرف العديد من نشطاء الحركة الأمازيغية أنه جاء كرد فعل لتغطية (محمد باهي) في (رسالة باريس) حول أشغال الكونغرس العالمي الأمازيغي بجنوب فرنسا في صيف 1995م بعنوان (تمازيغت بلا حدود). وانطلاقا من مؤتمره الخامس المنعقد بين 03-30 و 02-04-1989م يمكن القول أنه اتجه الإقرار بالتنوع الثقافي والحقوق اللغوية حيث أشار المؤتمر إلى تعدد المكونات الثقافية للشعب المغربي، رغم أن هذه الإشارات تميزت بالعمومية والغموض وعدم تحديد موقف واضح من القضية الأمازيغية في مختلف أبعادها (اللغة، الثقافة، الحضارة، الهوية...). ورغم تنامي الحركة الأمازيغية فإن آخر وثيقة يهيئها حزب الاتحاد الاشتراكي للمؤتمر السادس استمرت في تجاهل مطالب هذه الحركة، وتجاهل التطورات التي عرفها هذا الملف، ففي صفحة 26 من مشروع الأرضية السياسية نقرأ "يشكل البعدان العربي والمغربي مستويين حاسمين في تشكيل الهوية المغربية التي تسند اختياراتنا المذهبية والسياسية وتملي علينا مواقفنا الأساسية وانحيازاتنا الطبيعية، فالانتماء المغربي للعروبة لا ينحصر في ذلك البعد التاريخي المرتبط بالتراث الحضاري..."، وقد خلف إغفال المسألة الأمازيغية في مشروع الأرضية السياسية التي أرسلت غلى الأقاليم للمناقشة

احتجاجا واسعا لدى مناضلي الاتحاد تلك الأقاليم. وقد حاول المؤتمر السادس تدارك هذا الأمر، حيث نص البيان العام على عبارة اللغة الأمازيغية بناء على ما جاء في التقرير التوجيهي للكاتب الأول للحزب (عبد الرحمان اليوسفي) الذي قال: "لقد استمعنا بكل إمعان واحترام لموقف مختلف الجهات من المسألة الأمازيغية، ونحن كحزب للقوات الشعبية تمتد جذوره إلى أعماق تراثنا الثقافي ويتسع صدى إشعاعه إلى مختلف الجهات، دافعنا ومازلنا ندافع عن صيانة المكونات اللغوية لثقافتنا المغربية"، وهذا ما اعتبره (محمد الشامي) من المواقف السياسية الشجاعة التي صدرت عن المؤتمر إلى جانب الإقرار بتدريس اللغة الأمازيغية، حيث نص البيان العام على أن "يتبنى المؤتمر التوجه الذي جاء في التقرير التوجيهي بخصوص تدريس اللغة الأمازيغية"؛ ولم يقف التقرير التوجيهي للكاتب الأول للحزب على مبدأ تدريس اللغة الأمازيغية بل وعد بالعمل على تطبيق هذا التوجه داخل الحكومة قائلا: "سنواصل العمل كاتحاد اشتراكي داخل الحكومة كي يتحقق هذا التوجه في المرحلة المقبلة" وهذا الموقف كان يحاول تدارك التأخر بما وعد به التصريح الحكومي لسنة 1998م من إنعاش الأمازيغية¹⁵. وما يميز المؤتمر هو كثرة تدخلات المؤتمرين بخصوص المسألة

¹⁵ يزيد عدد الأحزاب السياسية المغربية عن 36 كيانا سياسيا، معظمها لا تتجاوز تمثيلته المجتمعية مستوى جمعية مدنية. و لا يتجاوز عدد الأحزاب الممثلة بالبرلمان حاجز عشرة أحزاب. وقد نشأت التعددية السياسية بالمغرب في كنف الحركة الوطنية التي أفرزت أحزابا وطنية كبرى... لكن هذه التعددية السوسيو-سياسية ما لبثت أن تحولت، منذ بداية الاستقلال، إلى تعددية حزبية كمية، في شروط الصراع السياسي بين الحكم والمعرضة، من جهة، وفي سياق الانشقاقات الداخلية، والكيانات الحزبية الناشئة عنها من جهة أخرى. يمكن تصنيف مكونات الخريطة الحزبية المغربية، حسب ما يرشح من (أدبيات) حزبية، أو يصرح به من مواقف سياسية، إلى ثلاث مدارس فكرية-سياسية عامة: المدرسة الليبرالية، والمدرسة اليسارية، والمدرسة المحافظة. وتتطوي كل مدرسة فكرية من هذه المدارس الثلاث على (تلوينات) أيديولوجية، تتأرجح بين النزعة الراديكالية والنزعة المعتدلة. أنظر:

الأمازيغية، حيث تدخل أزيد من 67 مؤتمرٍ لصالح الأمازيغية مطالبين بدسترتها وتدريبها وحققها في الإعلام، وهو الأمر الذي لم يعهد في المؤتمرات السابقة. ومن القضايا التي طرحت في المؤتمر؛ التعامل الديمقراطي مع المسألة الثقافية والتعامل الديمقراطي يقتضي حسب التقرير التوجيهي:

➤ حماية الثروة الثقافية التي يكتنزها الشعب المغربي عبر تعدد مشاريعه الإبداعية واللغوية والفكرية.

➤ تنمية هذه الثروة وتطويرها في جميع المجالات.

➤ نشرها وإدماجها في النسيج الاجتماعي أو كما عبر عن ذلك الأول للحزب (جعل الثقافة في متناول مختلف شرائح المجتمع) وكل هذا في إطار وحدوي لتوطيد دعائم الدولة، إطار الوحدة في التعدد وليس الوحدة المندمجة، والشمولية التي تكرر الأحادية؛ بهذه الإشارة وضع التقرير التوجيهي مفهوم (الإطار الوحدوي) و(التماسك الاجتماعي). ورغم هذا الموقف الإيجابي من مواقف المؤتمر في المسألة الأمازيغية فإنه لم يخف تخوفه من عدم إخراج ما صادق عليه المؤتمر في هذا الصدد إلى حيز التطبيق وأن يكون ما ورد في الوثائق إلا استهلاكاً للانتخابات المقبلة. في مقابل هذه القراءة الإيجابية لما جاء به المؤتمر لصالح الأمازيغية، يذهب البعض إلى اعتبار أن ما جاء في البيان العام للمؤتمر هو تهدة للمناضلين الأمازيغيين الذين يشكلون الطبقة الشعبية في حزب القوات الشعبية، فتعامل الحزب مع مطالب الحركة الأمازيغية تعامل كانت تعوزه الشجاعة الحزبية والجرأة الأدبية، والإرادة السياسية في طرحه وهو شيء متوقع لخلفياته الأيديولوجية الملتصقة به. لكن مقابل مواقف الحزب

محمد الإخصاصي، الإصلاحات في المغرب: الحصيلة والمستقبل، في مستقبل التغيير في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نوفمبر 2015، ص44.

هذه المتأخرة، نعثر على مواقف مخالفة ومتقدمة في تناول قضايا ومطالب الحركة الأمازيغية داخل نفس الحزب، وأبرز توجه أبدى مواقف إيجابية يتمثل في الشبيبة الاتحادية التي انفتحت على الحركة إعلاميا وتنظيميا من خلال العلاقات الجمعوية، ففي بيانها الختامي لمؤتمرها الرابع 1992م نص المؤتمر على "تعميق الحوار العلمي والديمقراطي حول الخصوصيات الثقافية في تعدديتها اللغوية والإبداعية والفكرية، بما يخصب نتائجنا الثقافي والحضاري ويعمق نسق وحدتنا الوطنية". وجسد المؤتمر الخامس الذي انعقد تحت شعار (المواطنة) امتدادا للانفتاح على مكون الأمازيغية في الهوية المغربية، وقد استطاعت هذه الشبيبة تحديد موقفها من الأمازيغية من خلال وثيقتها المعنونة (السببية الاتحادية والمسألة الأمازيغية)، وبالموازاة مع ذلك فإن الخطاب المركزي الرسمي للاتحاد الاشتراكي ليس هو نفسه على مستوى الجهات والأقاليم حيث توجد أكبر نسبة من الحزبين الأمازيغيين، ففي بيان المجلس الإقليمي بالناظور ورد "بخصوص المسألة الأمازيغية يشير المجلس الإقليمي إلى ارتباطها الجذري بالمسألة الديمقراطية في بعدها المجتمعي الشامل...ويشدد المجلس على مكانتها في تشكيل هويتنا الوطنية التقدمية والديمقراطية"، نفس هذا التميز نلاحظ في وثيقة الوفاء للديمقراطية التي تؤكد على أنه "لا يمكننا إلا أن نؤكد أن الانتماء اللغوي إلى الأمازيغية، والثقافي الأمازيغي هو الانتماء إلى ينبوع حضاري". وفي البيان العام للمؤتمر الإقليمي الثاني للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية 21-12-1996م ب(تارودانت) نجد"يرى ضرورة الاهتمام بالمسألة الأمازيغية وتدريبها اعتمادا على التصاريح الرسمية في هذا الباب واعتبارا إلى أن مناطق الإقليم مناطق ناطقة بالأمازيغية تجد صعوبة في التواصل على المستور التربوي والثقافي

والإعلامي والاجتماعي(الخدمات) مما يجعل موضوع تدريس الأمازيغية وخلق مؤسسات ثقافية للمحافظة على هذا التراث الوطني التاريخي أمر لا داعي لتأجيله أو التعامل معه بالتحفظ والتحليل الضيق وبلورة نهج ديمقراطي في هذا المجال¹⁶.

وهكذا نرى أن الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، يعتبر أن البعد الوطني لمرجعياته يرمي إلى إعادة الاعتبار للهوية المغربية القائمة على العروبة والإسلام والأمازيغية، ويقترح الحزب في المجال التربوي إدماج اللغة الأمازيغية في النظام التعليمي ترسيخا لعناصر الهوية الوطنية.

الفرع الرابع: حزب العدالة والتنمية

حزب العدالة والتنمية يؤكد أن المغرب بلد لحضارة كبرى عربية أمازيغية، منفتح على بقية العالم، وثقافة المغرب مطالبة بصهر هذين البعدين في بوتقة مجددة¹⁷.

وكان المحجوبي أحرصان الأمين العام لحزب الحركة الوطنية الشعبية وعبد الكريم الخطيب الأمين العام لحزب العدالة والتنمية قد أصدرنا بيانا مشتركا طالبا فيه باعتماد الأمازيغية كلغة رسمية في الدستور المغربي، وعلى إثر نشر البيان المذكور بادرت الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي إلى توجيه رسالة إلى الرجلين تطالبهما الحركة الوطنية الشعبية وحزب العدالة والتنمية بوصفهما أمينين عامين لهذين الحزبين. ويقنضي ذلك حسب رسالة الجمعية "أن يعيد هذان الحزبان صياغة موقف جديد من ميثاق التربية والتكوين وتقديم تعديلات جديدة في شكل مقترحات قانون

¹⁶ أحمد الباهي، مرجع سابق، ص ص 43-47.

¹⁷ محمد الساسي، دسترة الأمازيغية في أي مستقبل للأمازيغية بالمغرب، سلسلة الدراسات الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009، ص 62.

لتصحيح وضعية الميز اللغوي والثقافي الذي كرسه النصوص التطبيقية، وذلك بتضمينها مقتضيات تنص صراحة على تدريس الأمازيغية الموحدة لجميع المغاربة في كافة أسلاك التعليم العمومي. كما يستلزم ذلك ربط الآليات الدستورية لبلورة هذا الالتزام بما في ذلك التصويت ضد مشاريع قوانينها وضد الميزانية العامة وتقديم ملتمس الرقابة والانسحاب من المسؤولية الحكومية¹⁸.

المطلب الثاني: المؤسسات النخبوية و الأمازيغية

الفرع الأول: الحركة الثقافية الأمازيغية

تعنى الحركة الأمازيغية مجموع الفعل المنظم المناضل من أجل إقرار حقوق الثقافية الأمازيغية في مقاربة شمولية تشمل الدفاع عن كل حقوق الإنسان طبقا للمواثيق والعهود والإعلانات الدولية لحقوق الإنسان الصادرة عن الهيئات الدولية المختلفة (الجمعية العامة للأمم المتحدة، المجلس الاقتصادي للأمم المتحدة، توصيات لجنة حقوق الانسان الأممية ومنظمة العمل الدولية)؛ وتكون الجمعية وفقا لهذا أساس من العمل الجمعي الثقافي الأمازيغي الذي ازداد زخما وتأثيرا على المشهد السوسيو ثقافي والسياسي منذ التوقيع على ميثاق أكادير الذي شكل انطلاق العمل الجمعي بزيادة الجمعيات المهتمة بالشأن الثقافي الأمازيغي وليتوج بسلسلة من التراكمات النوعية كالمساهمة في المؤتمرات الأممية الخاصة بحقوق الإنسان وتدويل النضال الأمازيغي ونقله إلى المحافل واللقاءات الدولية.

¹⁸ محمد الساسي، نفس المرجع، ص65.

و يعزى عدم بروز الحركة الأمازيغية الثقافية كقوة اجتماعية في مرحلة ما قبل التوقيع على ميثاق أكادير¹⁹ إلى القوة الأيديولوجية والسياسية للحركة الوطنية في شقيها المحافظ(حزب الاستقلال والحركات الشعبية) واليساري(الاتحاد لوطني، الاشتراكي، اليسار الثوري...)، بالإضافة إلى عدم قدرة الحركة الشعبية الممثلة للأمازيغي على القيام بوظيفتها التعبوية والتأطيرية المنوطة بها²⁰، إلا أن عقد

¹⁹ في سنة 1991م قامت الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي بتحضير أرضية الميثاق حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين بالمغرب، وقد عرضته على الجمعيات الأمازيغية الأخرى التي شاركت في الدورة الرابعة للجامعة الصيفية بأكادير والتي تمت فيها المصادقة والتوقيع على مشروع الميثاق بعد مناقشته بعمق من طرف الجمعيات وأصبح بعد التوقيع يعرف بميثاق أكادير(أنظر الملحق رقم 19) حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين أو الموقع في 5 أوت 1991م بأكادير من طرف 6 جمعيات، ويعتبر هذا الميثاق أول وثيقة جمعوية يعلن فيها عن الخطوط العريضة للمطالب الأمازيغية المشروعة وموقف الجمعيات من الوضع(أنظر: الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، 40 سنة من النضال الأمازيغي)، ولقد تحول الميثاق بعد عامين من تاريخ توقيعه من وثيقة مطلبية مشتركة، إلى أرضية أيديولوجية لتنسيق وطني بين الجمعيات الأمازيغية التي تكاثرت وأصبح عددها 11 جمعية، يضمها مجلس وطني للتنسيق (CNC) وضع بروتوكولاً لتنظيم سير أشغاله، وإذا كان الميثاق في ظاهره قد قدم كوثيقة ثقافية، فإنه في العمق لم يخل من نزاعات سياسية مضمرة، تهدف إلى خلخلة الأسس الإيديولوجية التي يقوم عليها النظام السياسي المغربي الذي يربط شرعيته بالدين من جهة(إمارة المؤمني)، وبالأصل العربي القرشي (شجرة النسب النبوي) من جهة أخرى، وذلك بالتأكيد على العمق الأمازيغي للمغرب، وبالمطالبة بالاعتراف بالأمازيغية في القانون الأسمى للبلاد أي الدستور، وإدماجها في التعليم والإعلام الوطنيين، وهو ما يعني أن الميثاق يطرح ضمن ما يطرحه إعادة النظر في الثوابت السياسية للنظام والتي تتحدد في شعار (العروبة والإسلام) الذي تبنته الدولة المغربية منذ الاستقلال. ومن المعلوم أن الحركة الهوياتية الأمازيغية قد بلورت-في إطار البحث عن الأشكال المناسبة لتفعيل ميثاق أكادير للغة والثقافة الأمازيغيتين- طريقتين للعمل تتمثل إحداها في العمل بأسلوب جماعة الضغط والثاني في العمل بأسلوب الحزب السياسي. وقد تم ذلك بعد خلافات ونقاشات حادة انتهت بتوقيف العمل المشترك (في إطار مجلس وطني للتنسيق) بين لأنصار كل من التصورين ليعمل كل منهما بتجريب أسلوبه في الميدان مع احترام طريقة اشتغال الآخر(الحسين وعزي، من أجل المساواة بين اللغتين العربية والأمازيغية، منشورات الجمعية الثقافية للبحث والتبادل الثقافي، المغرب، 2009، ص91).

²⁰ رشيد مقتدر، "الحركة الاجتماعية ذات الطابع الاحتجاجي الحركة الأمازيغية والحركة الإسلامية مقاربة أولية في أوجه التشابه والتمايز"، مجلة مقدمات، العدد 27-28، 2003، المغرب، صص 103-104.

التسعينات كان على عكس هذا وبخاصة بعد التوقيع على ميثاق أكادير، لاسيما بعد عقد الكونغرس العالمي للأمازيغية فساهم في إعطاء البعد الدولي للقضية الأمازيغية. وهنا نتساءل هل تعبر الحركات الثقافية الأمازيغية عن مبادرة تنطلق من مما هو ثقافي وجمعي لإنشاء فضاء احتجاجي يكرس التعددية اللغوية والثقافية ويدافع عن حق الأمازيغ في الحفاظ على هويتهم؟ أم أن هذه الحركات تنطلق من الثقافي من أجل المطالبة بالتعددية السياسية وإعادة تغيير المواقع السياسية، والمطالبة بتمثيلية سياسية مستقلة؟ وهنا نحاول التوضيح بين المكونات الإيديولوجية والفكرية التي يستتب منها الخطاب الأمازيغي ونحصرها في تيارين:

أولاً: التيار العلماني المتشدد

تيار غير منظم، يهدف إلى بناء مشروع قومي مرتبط به ثقافياً وسياسياً واقتصادياً، وهو معاد للإسلام، ويعتبر دخول الإسلام للمغرب غزواً، ويستند هذا التيار في مرجعيته على الاتفاقيات الدولية على أساس أن الحركة الأمازيغية جزء من حركة عالمية للشعوب الأصلية، وأنها مدافهة عن حقوق الشعب الأمازيغي، وينادي هذا الاتجاه بالعودة إلى الأعراف والتقاليد الأمازيغية السائدة ما قبل وبعد الفتح الإسلامي وجعلها مصدراً للتشريع، وهو يشبه إلى حد ما في مضامينه الفكرية الأحزاب التي تنشط في المناطق القبائل الجزائرية (RCD, FFS)، ويمثل هذا التيار تهديداً حقيقياً للدولة الوطنية المغربية كاتجاه سلبي في عمومها لمناداته بحل التقسيم الفدرالي، وهذا ما أخذتها كطرف سلبي لبنية الدولة الوطنية الجزائر (فرحات مهني MAK).

ثانياً: التيار الأمازيغي المعتدل

يمثله (محمد شفيق) ويقر بالإسلام كدين يسمو فوق الأمازيغية والعربية: "إن مراعاة الخصوصيات الثقافية للشعوب الإسلامية متواترة في الحضارة الإسلامية ومنصوص

عليها في القرآن... والسنة النبوية"، و أن إيمان الأمازيغ بالديانة الإسلامية هو قناعة سامية، فهذا اتجاه معتدل ينطلق من حقل الثقافة اللغة من أجل تحقيق مطالب الحركة الأمازيغية، فالهوية المغربية حسب هذا الاتجاه "هوية أمازيغية محضة دينها الإسلام ولغتها الأمازيغية والعربية"²¹، ويمثل هذا الاتجاه الجانب البنائي للدولة الوطنية وبتتبعها لسيرورة هذا التيار الأمازيغي المعتدل نجد أنه دائما يحقق إنجازات مهمة في القضية الأمازيغية، لأنه ببساطة يترجم المبادئ الهوياتية والدينية السائدة للشعب الأمازيغي المغربي من جهة ويدعم موقفه بأفكاره وتوجهاته المعتدلة للدولة من جهة آخر.

الفرع الثاني: الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي

عملت الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي منذ تأسيسها في 10 نوفمبر 1967م حتى الآن، من أجل إظهار حقوق الأمازيغية والحفاظ عليها والنهوض بها، وكانت تراعي في عملها درجة الوعي الوطني العام إزاء القضية اللغوية والثقافية للأمازيغية²²، كما شكلت مدرسة تخرج منها عشرات الأطر التي تعنى بالجانب الهوياتي للأمازيغية وتوسع التراكم في مجال الكتابة تجاه الأمازيغية لغة وثقافة وهوية، مما يموقع الجمعية في مكانة متميزة ضمن الحركة الاجتماعية المدافعة عن الحقوق اللغوية والثقافية الأمازيغية في المغرب، وقد ساهمت في تطوير نسيج

²¹ نفس المرجع، ص 105.

²² تأسست الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي في أواخر الستينات إذ بدأ التحضير لتنظيم هياكلها منذ سنة 1965م ليعلن عنها رسما سنة 1967م وبادرت إلى تنظيم محاربة الأمية في صفوف العمال والتجار سنة 1966م تم تقديم أول عريضة مطالبة لمؤسسة الإذاعة الوطنية بهدف تطوير الإذاعة الأمازيغية وبرامجها وذلك في نفس السنة ومنذ ذلك والجمعية تعمل على جادة من أجل تعميق التفكير في المسألة الأمازيغية ومن أجل تطوير أساليب العمل لخدمة اللغة والثقافة الأمازيغيتين من خلال تدعيم جهود الأفراد والهيئات المنصبة في نفس التوجه.

الجمعيات الثقافية الأمازيغية وعلى رأسها ميثاق أكادير، وتلك الأدوار النضالية أدت إلى الاعتراف بشرعية مطالب هذه الحركة في الخطاب الملكي 20 أوت 1994م، كما ساهمت في استعمال الدفع الإيجابي بجبهات أخرى لتساهم بدورها في إنجاز هذه الأهداف ومن بين أهم مبادئ الجمعية²³:

- (الوحدة في التنوع) والذي كان في بداية الثمانينات وهو موجه ضد الخطابات الهوياتية الاقصائية للأمازيغية.
- (الأمازيغية مسؤولية وطنية) الذي أطر عمل الجمعية في بداية التسعينات بتحضير مؤتمر أكادير وتوقيعه.
- (لا ديمقراطية دون أمازيغية) والمعتمد في منتصف التسعينات بمناسبة مراجعة الدستور 1996م.
- (التنمية الشاملة رهينة بتوظيف الأمازيغية) المتبنى في أواخر التسعينات كأفق استراتيجي في النقاشات حول دور الأمازيغية في تعبئة المواطن المغربي للمساهمة في التنمية الوطنية.

أولاً: أهداف الجمعية يمكن تلخيص أهداف الجمعية في :

1- تعميق الوعي بالذات الأمازيغية، وهو إنتاج تراكم كمي وكيفي من الدراسات والبحوث وإيجاد هياكل ملائمة لتنظيم اللغة الأمازيغية وتوحيد كتاباتها، وأن إعادة الاعتبار للثقافة الأمازيغية رهين بالاعتراف بها من المؤسسات الرسمية للدولة سواء الثقافية أو السياسية.

²³ الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، 40 سنة من النضال الأمازيغي، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، الرباط، المغرب، ط1، 2007، ص ص 30-32.

2-دسترة وترسيم الأمازيغية في الحياة العامة وفي كل المرافق العامة للدولة والمحيط، وذلك بتوحيد اللغة الأمازيغية في مجالات التعليم والإعلام وفي مختلف مؤسسات الدولة، وكذلك تصحيح المفاهيم الخاطئة في حق تاريخ المغرب وحضارته²⁴.

3-العمل على تحديث الثقافة الأمازيغية، وذلك بضمان الحقوق اللغوية والثقافية، ولأجل ذلك حرصت الجمعية على تشجيع التحدث بالأمازيغية والكتابة بها والإسهام في إنماء الثقافة الأمازيغية ذات التقليد الشفهي²⁵ وتدعيم الإبداعات الفنية وتوظيف مختلف وسائل الاتصال الحديثة لإعطاء إنتاج إعلامي حديث ومتطور.

سعت الجمعية منذ ميثاق أكادير إلى أسلوب نضالي يجمع بين التعاون مع الجمعيات الثقافية الأمازيغية اعتمادا على النقد الإيجابي والحوار البناء بهدف التنبيه إلى السلبيات وإبراز الإيجابيات واقتراح البدائل، إضافة إلى المراسلة والاتصال بالمؤسسات العمومية وهيئات المجتمع المدني والحوار المباشر معها من أجل اتخاذ مواقف إيجابية تجاه الأمازيغية بشكل خاص، وتحقيق بناء حقيقي لبنية الدولة الوطنية بمختلف مكوناتها، وبخصوص ضرورة الاعتراف الدستوري بالأمازيغية يقول رئيسها: "...فتعديل الدستور المغربي أصبح من أولوية الأولويات الرئيسة لدى الحركة الثقافية الأمازيغية لتضمن ديباجته حماية للأمازيغية كعنصر أساسي من العناصر المكونة للشخصية المغربية وإقرار اللغة الأمازيغية كلغة وطنية ورسمية تتساو تماما

²⁴ نفس المرجع ، ص ص 30-32.

²⁵ الحسين وعزي، نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 2000، ص103.

مع اللغة العربية²⁶. وبهذا يمكن اعتبار أن الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي ساهمت بشكل واضح على مدار أكثر من 40 سنة من إعطاء صور نظيفة-إن صح القول- على التوجهات المترنة للقضية الأمازيغية في المغرب مما ساهم بشكل أو بآخر في بلورة الوعي لدى السلطة لإعطائها اعتبارات متميزة تخص مكانتها كتقافة أعطت الكثير والجيد للحركة الثقافية الأمازيغية دون المساس ببنية الدولة الوطنية.

ثانياً: يمكن تحديد الدور الأساسي للجمعيات الأمازيغية في المغرب في ثلاث نقاط مركزية:

الدور المعرفي: قامت الجمعيات الأمازيغية رغم تواضع إمكاناتها المادية، بما لم تقم به الدولة ومراكزها ومؤسساتها، وبما لم تقم به الأحزاب وجمعياتها في مجال الدراسات والأبحاث الخاصة بمجال اللغة والثقافة الأمازيغية، وكذا تدوين الموروث الشفهي، وتشجيع الإبداع والكتابة بالأمازيغية، وإصدار الصحف والمجلات والكتب النظرية بهذا الموضوع، والاعتماد على سرد التاريخ بالاعتماد على أسس معرفية استلهمت العلوم الإنسانية كاللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم التاريخ لمعاصر وعلم الحفريات، كما استمدت مبادئ أساسية من الإعلام العالمي لحقوق الإنسان ومن المواثيق والاتفاقات الدولية التي تطورت عنه، دون أن ننسى الدور البارز لهذه الجمعيات في اتخاذ المبادرة لدعوة مختلف التيارات والحساسيات إلى الحوار والتناظر في موضوع الأمازيغية والثقافة الوطنية وقضايا التعدد اللغوي والثقافي.

الدور الإيديولوجي: قامت الجمعيات الأمازيغية بدور هام من خلال عملها الثقافي المعرفي، ويتمثل في إعلاء النعرة الشعبوية ذات الصلة بالروابط الإثنية و الإقليمية

²⁶ إبراهيم أخياط، مطالب شمولية لا تقبل التأجيل، في من أجل الاعتراف الدستوري بالأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط1، الرباط، المغرب، 2002، ص8.

وتحويلها إلى خطاب وطني حول (الحقوق الثقافية واللغوية)، وقد قدمت بذلك خدمة جائلة للمغرب الحديث المعاصر، حيث وصلت القبيلة عن وعي القبيلة وربطها بالشأن الوطني، ومن ثم انبثق شعارها الأساسي: الأمازيغية مسؤولة وطنية، ولهذا السبب لا تطرح الحركة الأمازيغية مطلقا موضوع اللهجات أو المناطق أو الجهات بقدر ما تتناول الأمازيغية في شموليتها كإرث وطني، وقد قامت الجمعيات خلال ذلك بإعادة بناء المفاهيم الأساسية للفكر المغربي لاسيما في مفاهيم: الهوية-الوحدة-الوطنية-التاريخ.

الدور الحضاري: مارست الحركة الأمازيغية دورا هاما في لفت الانتباه إلى ما نتج عن خطاب الحركة الوطنية في النظرة السلبية للقضية الأمازيغية والتي أدت بالأساس إلى تهميشها ولهذا دعت الحركة الأمازيغية إلى إقامة علاقة تفاعل إيجابي مع كل من الشرق والغرب على السواء، وذلك بالكشف عن بواعث النهضة في الذات المغربية اعتمادا على خصوصيتها الحضارية التي تتفاعل في إطارها مختلف العناصر²⁷.

وفي حوار مع رئيس ومؤسس الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي (ابراهيم اخياط) أكد على أن الجمعية دائما تقوم على تفعيل الحوار والتواصل وأن الجمعية قامت بحوار مباشر مع كل فعاليات المجتمع السياسية منها والحقوقية والشبابية والثقافية، وأن الانطباع الذي تركته هذه اللقاءات هو اعتراف الجميع بأنها بادرة حسنة وإيجابية بالنسبة للعمل السياسي والثقافي في بلادنا لحل المشاكل بطريقة حضارية متميزة²⁸.

²⁷ أحمد عصيد، الدور الحقيقي للجمعيات الأمازيغية، في: معارك فكرية حول الأمازيغية، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، ط1، 2002، ص210.

²⁸ محمد حفيظ، المسألة الأمازيغية الخطاب والحركة، ص ص 119-120.

"فالحركة الثقافية الأمازيغية كحركة هوية تستخدم أساليب التعبئة الهوياتية، تسعى بذلك إلى إحداث انقلاب جوهري في التعامل مع هوية المغرب وشخصيته ويعتمد هذا التحول في إعطاء الأولوية للتوجه الداخلي في إعادة التوازن المختل إلى الذات عوض ما كان مألوفاً لدى الأمازيغ، أي إعطاء الأولوية للتوجه الخارجي والذي يركز على البحث عن التوازن بين الذات والوسط. ولم يكن هذا التحول اختيارياً بل اضطرارياً، فهو يشكل إحدى الأجوبة الممكنة على الاضطرابات المتزايدة التي تعترى الهوية الأمازيغية منذ نشوء الدولة العصرية بالمغرب بعقد الحماية سنة 1912م وهي اضطرابات أسرعت دولة الاستقلال في وتيرتها إلى درجة يهدد الهوية بالتفكك"²⁹.

وتعد الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي من المدافعين عن أسلوب العمل الذي يضع الدفاع عن الأمازيغية فوق الانتماءات الحزبية والاختلافات الفكرية والإيديولوجية التي تهم القضايا الأخرى للمجتمع، فالمهم بالنسبة للجمعية هو ردم الهوة القائمة بين مختلف التصورات في موضوع الأمازيغية، وبلوغ هذه الغاية لا يوجد أحسن من الحوار الذي يعتمد قوة الحجة وهو ما اعتادته الجمعية في تعاملها مع مختلف الفاعلين في المجتمع دون استثناء لتقادي الانزلاقات المحتملة في كل صراع للأمن الهوياتي³⁰.

هذا ما ساهمت به الجمعية في الدفع بالمغرب إلى التحوار والنقاش الإيجابي نحو إضفاء مختلف العناصر المكونة للثقافة واللغة والهوية المغربية.

²⁹ عبد اللطيف الزيزاوي، أوام الظهير البربري السياق والتداعيات، دار النشر فيديبرانت، المغرب 2003، ص 84.

³⁰ الحسين وعزي، من أجل المساواة بين اللغتين العربية والأمازيغية، في أي مستقبل للأمازيغية في المغرب، منشورات الجمعية الثقافية للبحث والتبادل الثقافي، الرباط، المغرب، 2009، ص 91.

ولا يمكن في الحقيقة إغفال بعض الشخصيات التي كان لها دور كبير في دفع المطالب الأمازيغي قدما. ومن أبرزهم (محمد شفيق)³¹، وهو شخصية أمازيغية قريبة من الملك و مؤلف معجم عربي أمازيغي صدر عام 1989م وكان ذا أهمية تاريخية في المغرب الذي سوف يزود المخزن بالدعامة الأيديولوجية التي ستساعده في التعامل مع الحركة الأمازيغية، وقد عكف (شفيق) على تحرير بيان من أجل اعتراف رسمي بالأمازيغية في المغرب وفر حجة قوية من حيث المضمون لإصلاح لغوي وثقافي من غير بلبلية ومزايدات وهو القائل: "توخينا البعد عن التهريج وإثارة البلبلية في إثارة البيان حول الأمازيغية لجلالة الملك"؛ هذا البيان الأمازيغي الذي صدر في مارس 2000م ستوقع عليه أكثر من 200 شخصية من مختلف الأطياف. ونجد فيه المطالبة بعدالة اجتماعية أكبر وبتمثيلية منصفة داخل الدولة وبالفصل بين الدين والدولة أيضا، ويقول (شفيق) في هذا البيان: "بقد غُبنِت "تيمزوغها" (أي الأمازيغية) حقها في أكثر من مجال: في عهد الاستعمار؛ لأن مشاداتها وإياه لم تنته إلا بعد ما دحر، وفي عهد الاستقلال لأن القوى السياسية المتكثرة لها هي التي احتكرت الوسائل المادية والمعنوية الضرورية لاتخاذ القرارات". ويطالب بضرورة الإقرار بالأمازيغية ويصر على أن الأمازيغ "لن يتخلوا عن أمازيغيتهم ولن يهدا لهم بال ما لم يتخل عن التتكر لأمازيغية وطنهم: وسيكون من حقهم التتكر لعروبته إن استمر العناد في التتكر لأمازيغيتهم". كما يطالب الموقعون على البيان أيضا بأن يعترف بالأمازيغية لغة

³¹ ولد سنة 1926م ب فاس بالمغرب، في عام 1971م عين كاتباً للدولة لدى الوزير الأول ثم مكلفا لدى الديوان الملكي وعضوا في الأكاديمية الملكية، عين عميدا للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في 17 أكتوبر 2001م حتى عام 2003م عين مكانه (أحمد بوكوس)، وضع كتاب عن تاريخ الأمازيغ (33 قرنا من التاريخ الأمازيغي) كما ألف (المعجم العربي الأمازيغي) عام 1990م ثم كتاب (44 درسا من البربرية)، وكان هو من حرر (البيان الأمازيغي) الذي وقع عليه 229 من النخبة ويدعو فيه لإعادة الاعتبار للغة والهوية والثقافة الأمازيغية، وسلم هذا البيان في 2001م إلى الملك محمد السادس في عيد العرش العام.

وطنية رسمية في الدستور وبأن تسن الحكومة قوانين تجعل الأمازيغية إجباريا في المدارس والجامعات.

الفرع الثالث: الكونغرس العالمي الأمازيغي

في سياق تدويل القضية الأمازيغية تأسس بمبادرة من مناضلين مغاربة الكونغرس الأمازيغي العالمي سنة 1995م الذي يمثل العديد من التنظيمات الأمازيغية في العالم مما أعطى للمسألة الأمازيغية بعدا عالميا. ويتكون من:

- المؤتمر العام الذي يجتمع كل ثلاث سنوات.
- المجلس الفدرالي ويتألف من 39 عضوا ينتخبهم المؤتمر العام من مختلف المناطق الأمازيغية.
- المكتب العالمي ويتكون من 11 عضوا منتجين من بين أعضاء المجلس الفدرالي .
- الهيئات المحلية واللجان الدائمة.

وقد عقد المؤتمر عدت مؤتمرات الأول في (لاس بالماس) بجز الكناري في 1997م. أما الثاني فعقد في مدينة (ليون) بفرنسا في 1999م. والثالث في (روبيكس) بفرنسا في 2002م. والرابع (بالناصور) بالمغرب في 2005م³² وفي 2015م (بأكادير) في المغرب.

ومن أهداف ومطالب الكونغرس الأمازيغي العالمي، الدفاع عن حقوق الأمازيغ السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية واللسانية، المطالبة على تنصيب الأمازيغية لغة وطنية ورسمية إلى جانب اللغة العربية التي لا يطالبون بإلغائها، وكذا

³² الكونغرس العالمي الأمازيغي، تصفح بتاريخ 2019/01/12 ، على الرابط: www.aljazeera.net

تتمين وترقية التراث الأمازيغي. ومن المطالب الأخرى أيضا إدماج الأمازيغية في التعليم كلغة إجبارية، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وغيرها يطالب الكونغرس العالمي الأمازيغي بدسترة اللغة والثقافة الأمازيغيتين واعتماد الفدرالية والاستقلال الذاتي لل لهجات لإخراج الأمازيغ من التهميش³³، ويعتبر هذا المؤتمر كأول تجسيد مشترك ودولي في سبيل تحقيق مطالبهم.

ويرى أحمد عصيد بخصوص الكونغرس العالمي الأمازيغي، أن تدويل القضية الأمازيغية أصبح واجبا محتوما وهذا راجع إلى الحصار الداخلي الذي تعانيه الأمازيغية و وجوب الحث عن قوى أخرى تساعد وتدعمه في أهدافه ويضيف الحسين وعزي بأن الكونغرس العالمي الأمازيغي أضاف جيلا جديدا من الجالية الأمازيغية في الخارج الذي يعتبره أمرا ضروريا والجانب الثاني هو أن أمازيغ جزر الكناري قد فقدوا لغتهم و أرادوا توطيد العلاقة بين إخوانهم الأمازيغ في شمال إفريقيا وهو مكسب هام حسب رأيه، أما محمد شفيق فيقول أن الكونغرس العالمي كشف أن الأمازيغية ليست أقلية في الجزائر أو المغرب فقط بل هي في عديد دول العالم، ويضيف على أنه يجب على المغرب أن يستغل هذه الفرصة لكي تؤدي دورا رياديا في القضية الأمازيغية لينتزع المغرب السياسة والثقافة في شمال إفريقيا.

الفرع الرابع: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

عمد الملك (محمد السادس) إلى إنشاء معهد ملكي للثقافة الأمازيغية، يعنى برد الاعتبار للأمازيغية في الجامعات والمدارس والإعلام، وفي 11 فيفري 2003م استخدام(التيفيناغ) كأبجدية رسمية لكتابة الأمازيغية لإتباع الثقافة الأمازيغية القديمة

³³ أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات الأهداف والوسائل البدائل، دار الأمة للنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر، أكتوبر 2011، ص ص 165-166.

التي كانت تكتب بهذه الأبجدية³⁴. وأكثر من هذا عمد الملك إلى جعل ميزانية هذا المعهد جزءا من الميزانية العامة للقصر الملكي، كإشارة للرعاية الملكية لهذه المطالب، بينما كان والده الملك (الحسن الثاني) يتحفظ إزاء هذه المطالب، وكان ميالا للثقافة العربية أكثر من الجذور الأمازيغية، رغم أن زوجته أم الملك الحالي كانت أمازيغية. وهي عادة دأب عليها الملوك والسلاطين المغاربة ليضمنوا ولاء القبائل الأمازيغية، فكان النسب أحد أدوات تدبير الاختلافات العرقية في الممالك الشاسعة.

أولا: التأسيس والهيكلية

تأسس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية طبقا لظهير صادر عن ملك المغرب (محمد السادس) بتاريخ 17 أكتوبر 2001م، وقد جاء في خطابه: "واعتبارا منا لضرورة إعطاء دفعة جديدة لثقافتنا الأمازيغية التي تشكل ثروة وطنية لتمكينها من وسائل المحافظة عليها والنهوض بها وتنميتها قررنا أن نحدث بجانب جلالتنا الشريفة وفي ظل رعايتنا السامية معهدا ملكيا للثقافة الأمازيغية نضع على عاتقه علاوة على النهوض بالثقافة الأمازيغية الاضطلاع بجانب القطاعات الوزارية المعنية بمهام صياغة وإعداد الظهير الشريف المحدث لها و تنصيبها قريبا بالقيام بمهام اقتراح السياسات الملائمة التي من شأنها تعزيز مكانة الأمازيغية في الفضاء الاجتماعي والثقافي والإعلامي الوطني وفي الشأن المحلي والجهوي"³⁵.

³⁴ Ennaji moha, Multilingualism cultural Identity and education in Morocco, springer Science, USA, 2005, p73.

³⁵ عمر البويفراجي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، في معارك فكرية حول الأمازيغية، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، ط1، 2002، ص219.

وتتكون هيكله المعهد من مجلس إداري على رأسه عميد وله مقرر (الأمين العام) بالإضافة إلى عدة لجان من أبرزها لجنة الشؤون الثقافية والعلمية والبيداغوجية والتواصل.

وأول عميد للمعهد كان الأستاذ (محمد شفيق) الذي عين في أكتوبر 2001م، ولظروف صحية عين مكانه (أحمد بوكوس)³⁶ عميدا جديدا لمعهد في 2003م.

ثانيا: أهداف المعهد وحصيلته

يهدف المعهد إلى تقديم المشورة للملك المغربي في التدابير التي من شأنها الحفاظ على الثقافة الأمازيغية والنهوض بها في جميع تعابيرها. كما يشارك المعهد

³⁶ ولد بتاريخ 15 أكتوبر 1946م بمنطقة (تيزنيت) (بسوس) جنوبي (المغرب)، درس بأغادير ثم بتارودانت وبعد ذلك بمراكش، و تخرج من كلية الآداب بالرباط سنة 1967م لياتبع دراسته بباريس متخصصا في اللسانيات وعلم الأجناس، وقد حصل على دكتوراه الدولة في اللسانيات في باريس سنة 1987م عمل (بوكوس) أستاذا جامعا بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط بين عامي 1986م و2002م، وقد أشرف على رسائل وأطروحات عديدة حول اللغة الأمازيغية، كما درس هذه اللغة بالمعهد العالي للأركيولوجيا والتراث بالرباط بين عامي 1986م و1994م. وتم إختيار (أحمد بوكوس) على رأس عمادة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية خلفا (لمحمد شفيق) سنة 2003م، ولبوكوس مكانة متقدمة داخل الحركة الأمازيغية، فله مسار سياسي وأكاديمي إلى جانب بعض النشاط والأكاديميين مثل (ابراهيم اخياط)، و(عبد الله بونفور) والشاعر (علي صدقي أزيكو) و(علي الجاوي)، وغيرهم من مؤسسي الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي وله عدة مؤلفات منها (اللغة والثقافة الشعبيتان بالمغرب، الأمازيغية والسياسية اللغوية والثقافية بالمغرب، اللغات والثقافات في المغرب رهانات رمزية، الألسنية الاجتماعية المغربية، الأمية والتنمية المستدامة بالمغرب، مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات). ومن آراء بوكوس في مجال اللغة تأكده أن اللغة لا تعد أداة للتواصل فقط ولكنها تؤدي أيضا وظيفة سياسية، فأى لغة يمكن أن تستغل لفرض الهيمنة الرمزية، كما يمكن للتمهيش الذي تعانیه أن يجسد التهميش بأنها مهمة تأهيل الأمازيغية حتى تكون أداة ناجعة تمكنها من تبوء مكانة لائقة في المجال التربوي والاجتماعي والثقافي والإعلامي الوطني وفي هذا المجال أبرمت عدة اتفاقيات مع مجموعة من المؤسسات الوطنية كالتربية والشباب والاتصال وغيرها، وهدف هذه الاتفاقيات جعلها إطارا قانونيا يمكن من تفعيل إدماج الأمازيغية في سائر المؤسسات بدءا بالتربية والإعلام

بتعاون مع السلطات الحكومية والمؤسسات المعنية في تنفيذ السياسات التي تساعد على إدراج الأمازيغية في المنظومة التربوية وضمان إشعاعها في الفضاء الاجتماعي والثقافي والإعلامي الوطني والجهوي المحلي.

ومن أبرز ما قام به المعهد منذ إنشائه:

- اعتراف الملك محمد السادس في جانفي 2003م بحرف تيفيناغ كحرف رسمي لكتابة الأمازيغية تنفيذا لتوصية المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، بتبني حرف تيفيناغ لكتابة الأمازيغية بدل اعتماد الخط العربي أو اللاتيني في كتابتها. وتتكون أبجدية تيفيناغ من 33 حرفا، وقد طور المعهد منها ثمانية خطوط مطبوعة وتم الاعتراف رسميا باللغة الأمازيغية وظهرت مطبوعات عديدة بها كما بدأ تدريسها في النحو 300 مدرسة ابتدائية مغربية تمهيدا لتعميم تدريس الأمازيغية في جميع المدارس.
- تم الإدماج المتدرج الأمازيغية في المدارس المغربية من خلال توسيع تدريسها في المستويات الثانوية والإعدادية، على أن يشمل تدريسها في المستويات الثانوية والإعدادية، على أن يشمل تدريسها مختلف المدارس المغربية مع بداية السنة الدراسية 2008م.
- أبرم المعهد العديد من الاتفاقيات الثقافية والعملية مع هيئات مغربية وأخرى أجنبية.
- نظم أياما دراسية ولقاءات وموائد مستديرة وتظاهرات تنصب كلها على الموضوع الأمازيغي.
- أنشأ موقعا له بالعربية وبالفرنسية على شبكة الأنترنت.
- أصدر دورية خاصة به.

ثالثا: تحديات أمام المعهد

تعرض المعهد لأزمة³⁷ حين انسحب سبعة أعضاء من مجلس إدارته يوم 21 فبراير 2005م، مبررين انسحابهم بأن إنشاء المعهد لم يؤد-حسب رأيهم-إلى الاعتراف الحقيقي بالأمازيغية لغة وثقافة وهوية وتاريخيا، وأن المعهد في نظرهم لا يتجاوب مع كل المطالب الأمازيغية المشروعة، كما يأخذ بعض المنتقدين على المعهد عدم التوازن في هيكله الإداري والعلمية حيث تسيطر عليه حسب هؤلاء المنتقدين نخبة من أمازيغ منطقة السوس (أهل الجنوب المغربي)، في حين تتراجع نسبة المحسوبين على مناطق أخرى³⁸.

وبخصوص استراتيجية المعهد مع الجمعيات الثقافية الأمازيغية، فهو يثمن دور هذه الجمعيات بدورها الأساسي في ظهور الوعي الحداثي بالأمازيغية في قطاعات

³⁷ جاءت استقالة الأعضاء السبعة من أصل 32 عضوا كوسيلة للضغط من أجل الاعتراف الحقيقي بالأمازيغية لغة وثقافة وهوية تاريخيا، مطالبين بقرار دستوري رسمية اللغة الأمازيغية وحماية قانونية لإدماجها وسن قوانين خاصة ملزمة للمجتمع. وتضمنت رسالة الأعضاء المنسحبين أن عملهم اليومي في المعهد ليس له تأثير على الواقع اليومي للأمازيغية التي لا تزال في نفس الوضع الذي كانت عليه قبل 2001م حسب قولهم-كما نددوا بتهميش لغتهم في التعليم العالي والتلفزيون وانتقدوا تصريحات نسبت لوزير الاتصال عن قلة الإمكانيات وأوضحوا أن هذه ذريعة لم تمنعه من تدشين قناتين تلفزيونيتين باللغة العربية والإعداد لقناة ثالثة. وأثارت أزمة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ردود فعل متباينة في أوساط الحركات والجمعيات الثقافية الأمازيغية ويرى المتابعون أن استقالتهم تشكل مدخلا للفت انتباه الجهات العليا للتعبيل بجعل الأمازيغية لغة رسمية في الدستور المغربي إلى جانب العربية. جاء هذا القرار بعد سلسلة من تحركات الجمعيات الأمازيغية بدأت بالخصوص ثقافية بغرض إحياء اللغة والثقافة الأمازيغيتين ثم بدأت تنحو إلى مطالب سياسية على رأسها الاعتراف الدستوري بالأمازيغية والحق في الإعلام والاتجاه إلى تأسيس حزب أمازيغي سياسي، ويقول الباحث في الشأن الأمازيغي (عبد الله المنصوري) إذا كانت التسمية تحليلا على حركة ذات مضمون ثقافي فإن ممارسة نشاطها تبقى ذات طبيعة سياسية بامتياز كما هو الحال بالنسبة للكاتب العام لجمعية (تماينوت) الأمازيغية غير الحكومية (عبد الله حيتوس) الذي يرى أنه لا حدود فاصلة بين الثقافي والسياسي بل هناك تداخل بين الاثنين.

³⁸ المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، تصفح بتاريخ 12-12-2015، على الرابط: www.ircam.ma

واسعة من المجتمع المدني ومن الطبقة السياسية وقد قدمت الكثير في ظروف صعبة وهي التي شكلت النواة الأولى للمجتمع المدني، حيث كانت زاجهة النضال من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان ولهذا وجل التعامل معها على أساس الاستشارة والتشارك بخاصة في مجالات التكوين والنشر والتواصل³⁹.

و بهذا يمكن القول إن هذه المرحلة قد أفرزت ثلاثة توجهات كبرى داخل الحركة الجمعوية الأمازيغية:

1. توجه ثقافي يعتبر العمل الثقافي الفكري والإبداعي المنطلق الأساسي لتغيير الوعي العام، وللتأثير في القرارات الرسمية عبر المطالبة بإصلاح ثقافي. ورغم ضعفه الاستراتيجي فله الفضل في تأطير المبدعين الشباب وتنظيم اللقاءات الأدبية والفنية وإصدار الكتب والدراسات.
2. توجه يميل إلى تدويل القضية الأمازيغية عبر الاشتغال في لجان الأمم المتحدة والمشاركة في المؤتمرات الدولية لحقوق الإنسان من أجل إسماع صوت الأمازيغية في الخارج. ويعاني هذا التوجه من ضعف في التواصل مع الفاعلين في الداخل.
3. توجه يفضل العمل الراديكالي ويتبنى خطابا أكثر عنفا، ويعتبر أن تهميش الأمازيغية كان بقرار سياسي، ولا يمكن رفعه إلا بتحريك سياسي ويعاني هذا التوجه من فراغ فكري ومن انعدام استراتيجية عمل واضحة.

³⁹ أحمد بوكوس، مقابلة حول الأمازيغية، في: مصطفى عنتر، الأمازيغية وأسئلة المغرب الراهن، مركز طارق بن زياد، الرباط، المغرب، ط1، 2006، ص ص 70-72.

المبحث الثالث: التدبير الثقافي السياسي للإتجاه اللغوي الأمازيغي

ليست الأمازيغية واقعا تاريخيا وأنتروبولوجيا وقانونيا فحسب، بل هي معطى من الواقع الاجتماعي السياسي لمغرب اليوم، تفصح عنه مطالب حركة اجتماعية صاعدة يتعين على الدولة أن تأخذها في الحسبان في إطار التدبير العادل لما يصدر عن المجتمع من تناقضات. وعلى غرار سائر الخطابات التي تهيكّل الحقل الرمزي بالمغرب، يواجه الخطاب حول الأمازيغية مساءلات عديدة: كيف يتأتى إدماج الهوية الأمازيغية ضمن مشروع مجتمعي قائم على الإنصاف والحدّثة؟ وكيف يتحقّق تمفصل اللغة والثقافة الأمازيغيتين لتكونا منتوجين تنافسيين في سوق الممتلكات الرمزية وتؤمن لهما شروط الديمومة؟ وفي الحقيقة أن الإجابة على ما سبق ليس حكرا أو من مسؤولية الحركة الثقافية الأمازيغية. فالواقع أن الأمر يتعلق بسؤال شمولي يقع على ذمة المسؤولية الوطنية الملقاة على الجميع. وذلك ما يفسّر انكباب مختلف القوى عليه لمعالجته كل حسب طريقته، وبهذا وعلى نحو تقريبي، يمكن التمييز بين أربع مقاربات لكل منها طريقة طرح خاصة، علما أن الواقع أشد تعقيدا. وهكذا تظهر هذه المقاربات وكأنها تنافس في معالجتها للمسألة الأمازيغية في بُعديها الثقافي والسياسي، ومتأرجحة في ذلك ما بين الثقافي والسياسي، وما بين الوطني والدولي¹.

المطلب الأول: المقاربة الاحترازية

¹ أحمد بوكوس، مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، المغرب، 2013، ص 301.

تقوم المقاربة السلبية أو الإنكارية على إيديولوجية وحدوية تعتمد كمسلمة أحادية الأمة والتراب والشعب واللغة والثقافة، على منوال النموذج اليعقوبي الفرنسي. وبديهي أن وضع اللغة والثقافة الأمازيغيتين في نطاق هذا الخيار يعني بالفعل إقصاؤهما أو تهميشهما، حيث إن دعاة هذه المقاربة يُنكرون شرعية المسألة الأمازيغية في حد ذاتها، وبالفعل فإن النخب الثقافية والطبقة السياسية تعتبر اللغة والثقافة الأمازيغيتين عائقاً تاريخياً، وعقبة تحول دون اندماج المجتمع المغربي ضمن مجموعات أوسع وأكثر تنافسية وأوفر حظاً في الاستمرارية. وعلى هذا النحو، فالأمر يتعلق بقضية تدخل في ذمة الماضوية والقبلية ومن مخلفات عهد السببية أو ما يعرف بـ(الفوضى البربرية). ويتجلى هذا التصور للمسألة الثقافية على نحو خيارين الأول العروبية-الإسلامية والثاني الكونية التغريبية².

الفرع الأول: الخيار العروبي - الإسلامي

يقوم هذا الخيار على أطروحات القومية العربية ويقدم الخطاب العروبي اللغة العربية بأنها لسان الفصاحة والبلاغة؛ وتتمثل الغاية القصوى للمقاربة العروبية في بناء الأمة العربية، على نحو تدريجي تحت إمرة دولة متعددة القوميات وعبر وطنية من شأنها تدبير سائر الموارد المادية والبشرية المشتركة. وبذلك سيكون على الثقافة واللغة العربيتين أن تشملوا مجموع هذه القوميات تحت شعار(الأمة العربية: أمة واحدة ذات رسالة أزلية من الخليج إلى المحيط). ويرى دعاة هذا التصور في إقامة الأمة العربية السبيل الوحيد لمواجهة تحديات الغرب والصهيونية، وللخروج من التخلف واستعادة العصر الذهبي للحضارة العربية. وفي ذات المنحى يؤول للغات الهامشية

² نفس المرجع، ص302.

المستضعفة وضع دوني، تحضى فيه بتساهل من قبل أقوى الأجهزة الإيديولوجية في الدولة العالمية.

أما أنصار المقاربة الإسلامية؛ فيعتبرون بصفة عامة أن اللغة العربية في العالم الإسلامي، من حيث هي لغة القرآن، لسان مقدس، وهي بالتالي لغة الجنة. ويذهب البعض إلى أن هذه اللغات، وخاصة الأمازيغية في المغرب، يتوسل بها المدافعون عنها كحصان طروادة المشحون بالروح العلمانية إن لم يكن بالإلحادية. ويشاطر الإسلامويون بالمغرب تقريبا هذا الطرح، ولو أن بعضهم يقول بانتماء الأمازيغية للهوية الوطنية وبإمكانية إعادة الاعتبار لها، على أن يتوافر لذلك شرطان: أن يُعتمد الحرف العربي في كتابتها، وأن لا تقل ما دون الثقافة الإسلامية. وعلى أية حال، فلا يمكن العمل بها كلغة رسمية تامة الوظائف وإلا ستكون ضرة للعربية، بل يذهب بعضهم إلى القول إن استعمالها لن يكون إلا مؤقتاً، وبقاؤها لن يستغرق من الزمان إلا قدر ما يستلزمه القضاء على الأمية باللغة العربية الفصحى. ومع هذا وذاك، لا محيد من الإقرار بتغيير تدريجي للمواقف السلبية حيال الأمازيغية منذ ترسيمها³.

الفرع الثاني: الخيار التغريبي

غالبا ما تبنى النخب المتجدرة في منظومة العولمة واستهلاك الثقافة الكونية موقفا من الثقافة الأمازيغية مشوبا إما بالازدراء أو بالتعالي. وبفعل اجتثاث هذه النخب اجتماعيا و-أو بحكم تكوينها وتربيتها واقتناعها، فإنها تكون مقبولة في نماذج الثقافة الكونية القائمة أساسا على مبادئ عامة، مثل العقلانية الاقتصادية، والقيم المادية، والتعددية السياسية، والليبرالية الاقتصادية. ويتم تناقل هاته الثقافة عبر وسائل

³ نفس المرجع، ص304.

الإعلام العابرة للأوطان، والتكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال، وقيم المجتمع الصناعي، وخاصة منها الفردانية والتنافسية والحرية. وضمن الاقتصاد العام للنموذج الكوني، تعتبر اللغات والثقافات منتوجات متنافسة، بحيث إن المنتوجات الأقوى في السوق تضمن بقاءها، بينما الأضعف منها يتعرض للزوال. ومن ثم فالثقافات الهامشية تعتبر في غالب الأحيان من بقايا العهد ما قبل الصناعي، وتعكس المستوى الثقافي الأدنى للمجتمعات المتخلفة، التي لم تلج بعد فضائل العقلانية الغربية. وقد يتأتى لهاته الثقافات أن تواصل اشتغالها كترسبات مشيأة وجامدة، على نحو تحف فنية تقليدية ومتحفية و-أو تجارية، من قبيل منتوجات الصناعة التقليدية والرقصات الفلكلورية. إلا أنه على أمد، يكون محكوما على هاته الثقافات بالانقراض، نظرا لعدم قدرتها على المنافسة في السوق العالمية للممتلكات الرمزية والمادية، إزاء اللغات والثقافات المهيمنة، وعلى راسها اللغة الإنجليزية والثقافة الأنجلوسكسونية، وتلك إذا الواجحة الثقافية للنظام العالمي الجديد من خلال العولمة. ومن باب هذا الخيار، يعتبر انبعاث الثقافات المحيطة مضيعة للوقت وهدرا للمال والطاقات؛ أي محاولة مغلوطة تاريخيا، محكوم عليها بالفشل من قبل دينامية التاريخ نفسه⁴.

المطلب الثاني: المقاربة الأمازيغية

يقوم هذا الاقتراب بالأحدية الهوية الصافية أي أحادية المكون، فهذا الاتجاه يتعالى على التاريخ ويصفه بالثبات والاطلاقية، إذ نجده يتخذ بعض المحطات المشرقة في تاريخ شمال إفريقيا نموذجا له، ناسيا أو متناسيا أن التاريخ لا يعيد إلى الوراء ولا يكرر نفسه كما قال الفيلسوف الألماني كارل ماركس، وإذا حصل ذلك ففي المرة الأولى فإنه يكون في شكل دراما مؤثرة، وفي المرة الثانية فيكون في شكل مهزلة.

⁴ نفس المرجع، ص305.

فهذا الاتجاه يرفض التعددية ويلغي الآخر، ويعابر الهوية المغربية، أمازيغية صرفة وأن العروبة والإسلام دخيلان على المغرب... وهو اتجاه يوصف بكونه متطرفا وأصوليا كما هو حال بعض الإسلاميين في مقاربتهم وفهمهم للمسألة الهوياتية⁵.

حيث تناول (عبد الله حمودي)⁶، في تناوله النقدي للمقاربة الأمازيغية للسؤال الهوياتي من انتقاد لكتابة (محمد شفيق) وقوله بأن اللغة الأمازيغية شكلت "الروح المغربية" وهي "أساس الشخصية المغربية"، حيث أعاب عليه كون المؤلف يرسم شخصية أمازيغية لا تتغير. ورغم الحديث عن المكون وعن تعدد روافد الثقافة المغربية، يقول بأن الباحثين الأمازيغ يصرون على اعتبار الأمازيغية هي الأصل والمكون الأساس للشخصية المغربية ككل. وقد واصل الكاتب نقده من خلال ما سماه

⁵ مصطفى عنتر، تأملات في خطاب الهوية عند النظام السياسي والجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، 2007، ط1، البوكلي للطباعة والنشر والتوزيع، ص40.

⁶ من أبرز علماء الأنثروبولوجيا المغاربة، وهو من مواليد سنة 1945 في المغرب، تحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون سنة 1977. درس في جامعة محمد الخامس في الرباط من سنة 1972 إلى سنة 1989، قبل أن ينتقل إلى جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية كأستاذ زائر منذ سنة 1990. وكان المدير المؤسس لمعهد الدراسات عبر الإقليمية (transrégionales) للشرق الأوسط المعاصر وشمال إفريقيا وآسيا الوسطى في الجامعة نفسها (1994-2004) قام بعدد من البحوث الميدانية حول التاريخ العرقي للمغرب وليبيا والمملكة العربية السعودية. كتابه "الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة" صدر بالفرنسية سنة 1997، وترجم للإنجليزية والعربية. كتاب له هو "الرهان الثقافي وهم القطيعة" الذي صدر سنة 2011 باللغة العربية متضمنا جملة دراسات كان قد أنجزها بالفرنسية والانجليزية. وأخيرا كتاب الحداثة والهوية سنة 2015: سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين واللغة؛ حيث تناول هذا الكتاب مسألتي الحداثة والهوية والجدل القائم بين الهوية الأمازيغية والعربية في مكان الغموض ومشكل الذاتي والموضوعي. ألقى عدة محاضرات حول الحركات الإسلامية ومجتمع الشرق الأوسط والظاهرة الاستعمارية، والنظرية الإثنوغرافية الفرنسية والأنثروبولوجيا السياسية.

بالعملية الخطيرة، ويوضح بأنها عملية إسقاط هوية على شعب بكامله بغض النظر عن الشرائح التي لا تعتبر تلك الهوية كأصل لها. يتم ذلك الإسقاط باسم أصل من الأصول التاريخية ويتناسى إحساس الناس بالانتماء إلى أصول وهويات أخرى. فمن خلال هذه الانتقادات يمكننا أن نتوقف من جهة عند فهم الكاتب والكيفية التي يتلقى بها الخطاب الهوياتي الأمازيغي ومقولاته خاصة ربطه بين الأمازيغية والشخصية المغربية انطلاقاً من الأسس المعرفية والذاتية التي تقوم على تاريخ المجتمع والمعطيات الاجتماعية بما في ذلك اللغة والثقافة، حيث فهم ذلك باعتباره تأكيداً لثبات وجمود الهوية في الخطاب الأمازيغي. ومن جهة أخرى، فهم هذه المقولات والطرح الهوياتي الذي يقوم عليها بكونها إقصائية يتم إسقاطها وفرضها على المكونات الأخرى في المجتمع دون مراعاة لإحساسها واختياراتها. حيث يبدو أنهما قاما على سوء فهم وإدراك لدلالات ومقومات الخطاب الهوياتي الأمازيغي وتناوله لقضايا اللغة والثقافة والتاريخ، بل وللتدبير الديمقراطي التعددي للسؤال الهوياتي والثقافي في المجتمع المغربي بشكل عام. فرغم أن الكاتب حاول تأكيد عملية تناوله المنهجي حيث انتقد من نفس المنظور أيضاً الكتابات التي تنظر للهوية العربية - كما يسميها - خاصة إقصاؤها للمكونات الأخرى كالأمازيغية والكردية وجمع كل الروافد في منظومة وبوتقة موحدة رغم أنها توظف مقولات التعدد والنهضة والديمقراطية، إلا أن النقاد الأساسيين الموجهان للخطاب الأمازيغي يضلان غير وجيهين من حيث مستندهما ودلالات المقولات التي يعتمدها هذا الخطاب⁷.

الفرع الأول: نقد الخطاب الأمازيغي

⁷ رشيد الحاحي، الهوية وقضايا الأمازيغية والإسلام السياسي والحريات، دار ميديا، الدار البيضاء، المغرب،

يمكن اعتباره ناتج عن النزعة والهشاشة النظرية، بل ووصفه بالخطير، ويعني أن الخطاب الهوياتي الأمازيغي يسقط فهمه وقناعاته وأصله التاريخي على بقية شرائح المجتمع التي تتقاسم معه همه وانتماؤه، دون مراعاة لإحساسها وانتمائها لهويات أخرى. إذ يعتبر هذا التوضيح الذي نود بسطه لاستبيان حقيقة الفهم والتناول الأمازيغي للسؤال الهوياتي والثقافي وكذا اللغوي. فعندما يتعلق الأمر بمجتمع ذو وجود وحضارة ممتدة في التاريخ، وكيان متنوع في مقومات وجوده الاجتماعي سواء اللغوية والثقافية والدينية، فهل يمكننا الحديث عن هوية متعددة المكونات والروافد والعناصر أم عن هويات مختلفة حد الانفصال والتباين؟ في سياق مناقشته لمفهوم الهوية في كتاب الهويات القاتلة يؤكد أمين معلوف على أن الهوية مؤلفة من انتماءات متعددة، لكن لا بد من التأكيد كذلك على أنها واحدة، وأنا نعيشها ككل. فهوية الإنسان ليست سلسلة من الانتماءات المستقلة، وليست رقعا بل رسما على نسيج مشدود⁸. لكن القول بوحدة الهوية، وهذا ما تذهب إليه جل كتابات الباحثين والفاعلين في الحركة الأمازيغية بالمغرب، لا يعني أنها بوتقة للاستيعاب والتوحيد القسري، بل المقصود بذلك أن التكوين والبناء التعددي للهوية لا يتركها علامات فارقة أو بوتقات متنافرة ومتضادة، بل أن ديناميتها الاجتماعية وتبادليتها الثقافية تضي عليها طابعا من الانسجام المتنوع لكن الموسوم بانتمائية وتميز جلي مرتبط بموطنها ومجال نشأتها وبنائها المستمر. هكذا يمكننا الحديث مثلا عن هوية مغربية قائمة الذات، متعددة المكونات والروافد، لكن ذات إطار ثقافي، وهو الجمع المتنوع والمتغير يعيشه الإنسان المغربي إلى حد كبير ككل، ويتغذى من دينامية المجتمع وتفاعلاته الاجتماعية والثقافية وخطاباته السياسية والإيديولوجية ونتاجاته المعرفية والإبداعية والرمزية،

⁸ أمين معلوف ترجمة نبيل محسن، الهويات القاتلة، ورد للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 1999، ص 41.

لكن يتحدد بالانتماء إلى المجال الترابي الوطني عبر سيرورة تشكله ووجوده عبر الزمن وفي المكان.

الفرع الثاني: إعادة فهم المقاربة الأمازيغية

مما سبق نصل إلى استبيان الإطار المنهجي الذي ينطلق منه الباحثون والفاعلون الأمازيغ في تأكيد مكانة الأمازيغية باعتبارها صلب الإطار الهوياتي الوطني، وأساس الشخصية المغربية، وذلك انطلاقاً من العمق التاريخي والثقافي لتشكلها ونصغ تميزها وبنائها، حيث أنه ليس في هذا الإقرار أي إقصاء للمكونات والأفراد والجماعات الأخرى، ولا إسقاطاً استيعابياً للهوية الأمازيغية بالمعنى الجزئي والفتوي على الشعب كله. فهذه الكتابات تؤكد الطابع التعددي للهوية الوطنية وغنى مكوناتها ومقوماتها، وحق كل مكون هوياتي في الاعتزاز بأصوله وممتلكاته الرمزية سواء كانت تاريخه الشخصي أو لغته أو دينه وثقافته الأصلية، وبمساهماته البنائية في الهوية الجامعة التي تحمل تميزها وفعاليتها في توطينها الترابي وانبائها وصلبها الأمازيغي. توقف (عبد الله حمودي) في سياق هذا النقد عند ما سماه بحرية الاختيار حيث كتب أن الهوية هي مسألة إحساس واختيار. من هذا المنطلق فلكل الحق في اختيار هويته وفي استبدال هويتهم إن رغبوا في ذلك أو الاستمرار في الهوية الموروثة⁹.

ومن خلال ما سبق ينتقد (عبد الله حمودي) المقاربة والخطاب الهوياتي ويعتبرها شأناً حقوقياً وخصوصاً اختياراً حراً، فيما يتناسى أو يغيب عنه نقاش الهوية والخطابات النقدية التي راكمها تتجه أساساً إلى اختيارات الدولة وهوية السلطة وسياساتها في هذا

⁹ رشيد الحاحي، مرجع سابق، ص 29.

الشأن، تلك التي تحسم الديناميات الاجتماعية وتشكلها وحظوظ مكوناتها في الوجود والتأثير والانتشار، بل وفي استعدادات الأفراد وتشكل الجماعات وإدراكها وتمثلها الثقافي والاجتماعي لهويتها وهوية الآخرين في المجتمع. وهذا ينسجم مع ما أكده بنفسه في فقرة أخرى من كتابه من خلال قوله بأنه يستند في تحليله للهوية إلى مفهومي الثقافة والخطاب، والخطاب عندي منظومة راجعة إلى بنية معرفية مرتبطة ببنيات النفوذ الاجتماعي والسياسي، كما أضاف، مما يؤكد أن الهوية تشكل وإنتاج اجتماعي وليست مجرد موضوع حرية اختيار. حيث يعتبر الفهم التعددي للهوية الذي يضمن لجميع مكوناتها حرية الوجود والحركة، فما يضمن للتعدد الهوياتي وضعه وصفته الاختلافية داخل سيرورة محكومة بالعلائق والتقاطعات، ليس هو "الوحدة" القسرية التي لا تعدو أن تكون مبررا إيديولوجيا لنفي الاختلاف، بل هو التمايز بين الهويات المتعددة. ومن الواضح أن هذا لا يأتي إلا بقرار وتدبير استراتيجي يحافظ لكل هوية عن دورها وفعاليتها الرمزية والاجتماعية. إلا أننا لا نتغاضى في فهمنا عن حظوظ وأشكال التفاعل بين هويات متعددة في فضاء معين، وما يفضي إليه من تبادل وتأثر وإعادة تشكيل الهوية والفضاء معا، لكننا نؤكد مبدأ "تقاسم السلطة" وديمقراطية آليات الإنتاج الاجتماعي وعلى مبدأ التعاقد وشروط تحقيقه، وذلك في إطار إمكانات التدبير الديمقراطي والاستراتيجي لسؤال الهوية وما ينبغي أن يتيح من فرص وإمكانات الثقافة والتفاعل والتبادل، وليس التجانس والهيمنة والاستيعاب¹⁰.

وباستحضار كيفية تعاطي الدولة مع الأمازيغية وأشكال تدبيرها السياسي والثقافي للمعطى الديمغرافي والاجتماعي، يتضح أن هذا الحضور والمقاربة يختلفان عن تجارب أخرى في العالم خاصة المرتبطة بمجموعات بشرية أو أقليات معزولة،

¹⁰ نفس المرجع، ص30.

حيث يتعلق الأمر بالنسبة للأمازيغية والأمازيغ في المغرب بأغلبية مهيمن عليها، كما أن أفق تطوير هذه المقاربة يرتبط بشكل وطيد بموضوع وقضية الأرض والسلطة. ومن ثم، فبإمكان هذه المقاربة أن تؤطر أفاق تطوير الخطاب العمل الأمازيغي خاصة على مستوى السياسة الترابية وما يرتبط بها من آليات قانونية وسياسية وتدبير الحياة الديمقراطية وتحقيق العدالة المجالية والتوزيع العادل للثروات، كما من شأنها تبرز العمق الإنسي والثقافي للمقاربة الأمازيغية لقضايا التنمية والديمقراطية والمواطنة، وأفاق التغيير الممكن.

المطلب الثالث: الممارسة السياسية كاحتفاء وتعبير عن أزمة هوية

الفرع الأول: نموذج أهل سوس في الممارسة السياسية

في الحقيقة يعتبر أهل سوس¹¹ ورموزهم في قيادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لا يتحدثون عن انتمائهم الأمازيغي بل يكتفون بترديد الخطاب السائد داخل حزبهم حتى ولو كان متعارضا أحيانا مع هويتهم، فهم يستعملون ثقافتهم الأصلية لأغراض التعبئة والتأسيس، فبمجرد التأسيس يتقبلون الفكرة والثقافة والإيديولوجية السائدة داخل الحزب والذي يستعملونه كأداة للصراع السياسي للحفاظ على هويتهم

¹¹ تؤخذ كلمة سوس هنا بالمعنى الثقافي لا الجغرافي أو التاريخي؛ فسوس بالمعنى الجغرافي هو السهل الممتد بين الأطلسين الكبير والصغير في حين أن سوس بالمعنى التاريخي يتوسع ويتقلص شمالا أو جنوبا حسب العصور. أما سوس بالمعنى الثقافي فأقصد به هنا المنطقة التي يستطيع أهلها أن يتفاهموا فيما بينهم باستعمال إحدى اللهجات الأمازيغية المعروفة بتاشليحت والتي لا تنتشر فقط في سهل سوس بل في الأطلس الصغير كله وتخومه الجنوبية من آخر نقطة في آيت باعمران على المحيط الأطلسي غربا إلى آخر نقطة بقبائل آيت أوسا شرقا، كما تشمل الأطلس الكبير الغربي الغربي في آخر نقطة لقبائل إحاحان على المحيط الأطلسي في الشمال الغربي إلى إقليم وازازات في الشرق باتباع خط وهمي يمر عبر إقليم أويلال. ولسوس امتدادات ثقافية في كافة المناطق المدنية التي يتواجد فيها السوسيون بكثرة كما هو الشأن بالنسبة للمدن الكبرى في المغرب.

(الدفاع عن الأرض في فترة الحماية والسعي لممارسة السيادة عليها في فترة الاستقلال)¹².

الفرع الثاني: الانتماء الجماعي لحزب الاستقلال

اشتهر أهل سوس وخاصة الذين يقطنون في المناطق الفقيرة في الأطلس الصغير وبعض مناطق الأطلس الكبير بالهجرة إلى مدن الشمال لممارسة التجارة، وقد حافظ هؤلاء وخاصة الجيل الأول منهم على ثقافتهم التقليدية، وقد نقلوا تقاليدهم تلك من المجال الاقتصادي الاجتماعي إلى المجال السياسي بواسطة مكونات ثقافتهم الأمازيغية حيث تعطى الأولوية للسياسي على حساب الثقافي؛ أي الثقافي يصبح أداة للتعبئة وليس هدف لها وبذلك الطريقة كان انتمائهم لحزب الاستقلال.

وقد ساهم الوعي التقليدي الأمازيغي المرتبط بالانتماء القبلي في تأسيس منظمة خاصة من داخل حزب الاستقلال تعبر عن الانتماء القبلي والأمازيغي داخل مؤسسة حزبية وهو بذلك انتماء جماعي يركز على الشبكات التقليدية الممثلة للقبائل الأمازيغية¹³.

الفرع الثالث: الانتماء الجماعي للإتحاد الوطني للقوات الشعبية

يعتبر أهل سوس محافظين من ناحية الاجتماعية وقد ساعدت ثقافتهم الدينية التقليدية التي حافظوا عليها على إعادة إنتاج هذه الرؤية المحافظة في نظرتها لقضايا المجتمع.

¹² الحسين وعزي، نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2000، ص70.

¹³ نفس المرجع، ص72.

وكان بالأساس انتماء أهل سوس أو تجار سوس إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية والنضال من داخله نوعا من التعبير عن الخصوصية الأمازيغية بواسطة جماعة الضغط الاقتصادية؛ فإنتمائهم لهذا الحزب هو بالأساس لغرض البحث عن الحماية والأمان الضروريين لمشاريعهم ومشاريع مجموعاتهم ولا يدل عن إصلاح النظام أو التعبير عن القضية الأمازيغية بشكل علني و واضح. فالحزب بالنسبة لهم هو بمثابة الشجرة التي تخفي الغابة، إذ أضحي انتمائهم ونضالهم داخل الحزب عائقا يحول دون اهتمامهم بهويتهم بشكل عصري يكون أساسه إنماء لغتهم وثقافتهم فإذا دخلوا على الحزب بصفة جماعية كتعبير عن هويتهم بالشكل التقليدي المألوف فقد تفرقوا بعد ذلك في تياراته وحساسياته وتوجهاته الثقافية والأيدولوجية وفي المنظمات السياسية المتفرعة عنه.

تحول أهل سوس بصفة جماعية إلى الحزب الجديد (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) بالاعتماد على نفس الشبكات التي أسسوها سابقا وهم في حزب الاستقلال، وكانت ثقافتهم الجماعية التقليدية أداة تعبوية في هذا الانتقال. فلم تراخ فيه الاعتبارات الأيدولوجية بل آراء الجماعة التي يخضع لها الفرد ويثق فيها ويحتمي بها. فالسلوك السياسي هنا ليس سوى امتدادا للسلوك الاجتماعي. ويأتي الخطاب الأيدولوجي ليبرر هذا الاختيار السياسي الناجم عن المنظومة الثقافية التقليدية. وهكذا يتم الانتقال من المنظومة الثقافية الأصلية التي كانت وراء الانتماء الجماعي لأهل سوس للحزب الجديد إلى استهلاكهم لخطاب الحزب الجديد كمنظومة وافدة على مجتمعهم وثقافتهم الأصلية¹⁴.

¹⁴ نفس المرجع، ص73.

ومجمل القول أن أهل سوس ونخبهم ذات الثقافة التقليدية التي انتمت إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية يعانون من فشل مزدوج: فشل سياسي، إذ نتج عن السيرورة السياسية والتنظيمية للحزب تهميشا لهم ولدورهم ليس فقط حزبيا بل وطنيا كذلك وفشل ثقافي لأن انشغالهم بالسياسة بالشكل الذي طرحت به داخل الحزب حال بينهم وبين التفكير الجدي في المآل الذي آلت إليه لغتهم وثقافتهم في مغرب الاستقلال، ولم يصب الإخفاق هذه النخبة ذات الثقافة التقليدية فقط بل امتد كذلك ليشمل الذين حاولوا بعد خروجهم من الاتحاد وتأسيس أحزابهم الخاصة تعتمد أهل سوس كقاعدة جماهيرية لها.

وقد غادر الكثير من أهل سوس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بعد أن أصبح لا يوفر لهم الحماية اللازمة والضرورية لأعمالهم ومشاريعهم الصناعية والتجارية، وقد حاولوا انشاء أحزاب سياسية جديدة تركز على الاثنية كأداة للتعبئة وهما بالأساس الحزب الحر التقدمي والذي يدافع في تصوره ومبادئه عن الاتجاه الليبرالي وهي بذلك تتجه إلى طبقة المقاولين، أما الحزب الثاني هو حزب العمال الذي يتبنى برنامجا إصلاحيا يعطي الأولوية للبادية؛ ويشار لكلا الحزبين أن أي منهما لم يتطرقا إلى المسألة الهوياتية الأمازيغية. ولم يسعف لهما النجاح في المغرب؛ ويعود اخفاقهم إلى التحولات التي شهدتها التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية المغربية في مغرب الاستقلال لم تعد تسمح باستمرار الوعي التقليدي الأمازيغي ودوره في الحفاظ على الهوية الأمازيغية¹⁵.

خلاصة الفصل الثاني

¹⁵ الحسين وعزي، نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 2000، ص

المتتبع لمسار الحركة الأمازيغية بالمغرب، يلاحظ تبني الحركة للخيار المطلبي وللعمل الثقافي المحض والدفاع عن حقوق الانسان الأمازيغي الثقافية على وجه الخصوص، كما اشتغلت الحركة على البحث الأكاديمي وإحياء التراث الثقافي الأمازيغي من خلال الجمعيات الثقافية وعمل الأفراد، لكن مع تطور التراكم الفكري والأيدولوجي للحركة بدأ بعض الفاعلين في الحقل الأمازيغي يعتبرون أن الحركة الأمازيغية ليس فقط حركة ثقافية وحقوقية، بل كحركة فكرية أتت لقلب المنظومة الأيدولوجية التي حاولت النخبة السياسية المغربية فرضها على المجتمع منذ الاستقلال. لكن مع احداث المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية؛ حاولت الدولة قوقعة الشأن الثقافي بمفهومه الضيق(الأبحاث الأكاديمية، الابداعات الفنية والأدبية) الشيء الذي اعتبره النشاط داخل الحقل الأمازيغي تقريبا لمطالب الحركة التي تدافع عن الحقوق الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للإنسان الأمازيغي مما أصبح يميل إليه دل الفاعلين الأمازيغيين الذي عملهم لم يبق مقتصرًا على الجمعيات الثقافية بل انضموا للجمعيات ذات البدائل السياسية للحركة الأمازيغية بالمغرب.

إن الجمعيات الثقافية الأمازيغية ورغم ما حقته من خطوات ورغم نشاطها المتزايد وإشعاعها المتصاعد، فهي تعي أنها لا تستطيع لوحدها تحقيق نتائج إضافية وسياسية للأمازيغية، ولكنها تشكل حتى الآن في حقل المجتمع المدني المغربي قوة ضاغطة واقتراحية مهمة، وتمارس أدوارا ملموسة في التحسيس بأهمية تلك المعركة وتعزيز أدوات ومسالك التأثير والإقناع والحوار، وخاصة في علاقاتها مع الأحزاب السياسية وبقية الفاعلين.

الفصل الثالث: مضمون الخطاب السياسي بالمغرب وارتباطه

بالمسألة الأمازيغية

تؤكد المدرسة السلوكية أن فهم الظاهرة السياسية لا سيما على مستوى التحليل الفردي تحتاج إلى فهم السلوك الإنساني الذي يعتبر هو الفاعل الرئيس في إيجاد هذه الظاهرة، وأن حصيلة سلوكه ومواقفه هي ذاتها مكونات الظاهرة الإنسانية، كما ترى هذه المدرسة أن لهذه الظاهرة محددات وعوامل تؤثر فيها، وهي النتيجة النهائية ذات المؤثرات التي يعيشها ويتأثر بها الإنسان، وهذه العوامل تقسم إلى قسمين هما:

- العوامل الجزئية (شخصية وثقافية) من نشأة، وطفولة، وتعليم، ودين، وخبرات علمية وعملية.

- العوامل الكلية، وتشمل البيئة المحيطة التي يتفاعل معها الإنسان متأثراً بها أو مؤثراً. وما يهمنا هو التعرف على أثر هذه العوامل في بلورة الخطاب السياسي للملك الحسن الثاني ومحمد السادس وأثرها على الهوية الأمازيغية، إذ أن الشخصية بمكوناتها الذاتية لا تعيش في فراغ، وإنما تعيش واقعا وبيئة محيطين بها، تؤثر فيهما ويتأثران بها، لا سيما إلى القادة والحكام أو المفكر أو ذلك لتكون أما مثبطا أو حافزا، إزاء هذا الخيار أو ذلك.

وفي هذا الفصل سنحاول ملامسة خطاب الهوية في تصور النظام السياسي من خلال محطتين بارزتين تناول من خلالهما الملك الحسن الثاني هذا الموضوع. الأولى

بمناسبة ندوة صحفية¹ كانت مطبوعة بالصراع القائم بالجزائر بين الحركة الأمازيغية ونظام الحكم، والثانية² في خطاب له بمناسبة ذكرى 20 غشت 1994م. أما بخصوص الملك محمد السادس، فإننا سنعتمد على خطابي العرش وأجدير وكذا الظهير الملكي المنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، فضلا عن بعض الاستجابات الصحفية التي تناول فيها هذا الموضوع³.

المبحث الأول: خطاب الحركات الثقافية الأمازيغية

بداية يجب التأكيد على أن تنامي الخطاب الهوياتي بالمغرب لدى الحركة الأمازيغية جاء نتيجة عوامل متعددة، أولهما الإقصاء الذي مورس على الأمازيغية في السياسات العمومية للدولة منذ الاستقلال نتيجة هيمنة النموذج (اليقوبي) في بناء الدولة

¹ مقتطف من حديث الملك الحسن الثاني في ندوة صحفية عام 1980:

"...أما فيما يخص المغرب فقد حاول الفرنسيون في عام 1930 أن يقسموه إلى قسمين: وجاؤوا بالظهير البربري، ذلك الظهير الذي من أجله مات من مات ونفي من نفي من بربر وعرب، أو أقول من سكان الجبال وسكان المدن. وكان ذلك الظهير أو تلك المحاولة بالنسبة لنا كالحقة الواقعية، فنحن -والحمد لله- لنا حقنا، وحقنا أخرى أتى بها المستعمر، وبها التحم الشمل نهائيا بين المقومتين للشخصية المغربية، ألا وهما البربر والعرب، وإذا نحن نظرنا بصورة أعمق إلى هذا المشكل نرى كتب التاريخ الحديثة أن أصل البربر من اليمن، وهكذا نجد حلقة متلاحمة من واحات مصر الجنوبية إلى التشاد، والنيجر ومالي، وصحراء الجزائر والمغرب، نجد قاموسا بربريا مشتركا، وهذه أبحاث إن أردتم أن تتعمقوا فيها نعطيكم الكتب اللازمة. ومما يؤكد هذا أن ثلاثة أرباع القاموس البربري أصل تحليل كلماته من الناحية الصرفية عربي، الشيء الذي يجعل البربر يقولون اليوم نحن عرب أكثر منكم، لأننا جئنا من اليمن، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "الإيمان يمان، والحكمة يمانية" كيفما كان الحال، هذا المشكل ليس موجودا عندنا ولن يوجد تماما، لأنه كما قلت لكم المرابطون برابرة، والموحدون كانوا برابرة من "تينمل" من الأطلس الكبير وهم الذين أعادوا للإسلام شبابه وعنفوانه في الأندلس، وهكذا فإن تاريخ المغرب لا يمكن أن يفرز ولا يمكن للمؤرخ يقول هذا للبربر وهذا للعرب، الأمجاد لنا جميعا ونكباتنا كانت لنا جميعا، وحينما وقفنا أمام المستعمر وقف المغرب بدون أن يعلم أن هذا أصله عربي أو أن ذلك أصله بربري".

² أنظر: خطاب الملك الحسن الثاني بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب بتاريخ 20 أوت 1994. (أنظر الملحق رقم

³ أنظر: خطاب العرش بخنيفرة والظهير الملكي المنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. (الملحق رقم 03)

الوطنية الذي يقوم على المركزية ويلغي الخصوصيات وثقافات الهامش...، وهو النموذج الذي يعود تاريخيا على دخول المغرب تحت (الحماية الفرنسية)، ثانيا سيادة الوعي التقليدي للهوية القائم على ثنائية الإسلام والعروبة، ثالثا تداعيات الفهم الخاطئ لـ (الظهير الاستعماري) الذي كانت وراء الحركة الوطنية...

وقد استفادت الحركة الأمازيغية من وجود (جبهة معارضة) لها كانت تصر على إقصاء المكون الثقافي الأمازيغي والتأكيد على أن هوية المغرب لا تخرج عن الإسلام والعروبة، فقامت النخبة الأمازيغية مستفيدة من ولوجها مجال التعليم وتوظيف العلوم الإنسانية المتطورة من لسانيات وانثروبولوجيا وغير ذلك بدحض ما سمي ب (الأطروحات الوطنية) وإنتاج أطروحات متقدمة حول الهوية لتأكيد ذاتها وإعطاء شرعية لوجودها⁴.

المطلب الأول: النمط الثقافي لخطاب الحركة الأمازيغية

وهنا يمكن تقديم ملاحظتين أوليتين بشأن موضوع الهوية بالنسبة للحركة الأمازيغية **الملاحظة الأولى:** أننا بصدد خطاب تغيب فيه اللحظة السياسية بالرغم من استحضارها ضمنا، فهو خطاب يستحضر تواريخ الاستقلال، وضع الدستور وتعديله، أزمة المشروع القومي العربي.

الملاحظة الثانية: خطاب غير زمني، فهو يعيد قراءة الماضي وإعادة تأويل الأحداث التاريخية ولكنه لا يبقى أسيرا لها في تشكيل الهوية انطلاقا من معطى انفتاح الخصوصية على العالمية. فعمل الحركة الأمازيغية على مستوى الهوية على نقد خطاب الهوية القائم أو ما يمكن تسميته (الهوية المنتصرة) عبر:

⁴ مصطفى عنتر، تأملات في خطاب الهوية عند النظام السياسي والجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط1، البوكلي للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، 2007، ص34.

➤ إعادة قراءة التاريخ وإعادة بناء كامل للماضي عبر مواجهة شاملة للدولة المغربية: نشأتها وشرعيتها، الإنسان وربطه بالأرض وليس بموجة الهجرة من الشرق أو الغرب وأيضا نقد أطروحات (الوطنية) حول الدولة، اللغة، الوطن، الشعب...

➤ تثبيت الهوية من داخل اللغة، عبر الحديث عن الأمازيغية كلغة الأم واعتبارها التعبير عن الهوية الأولى في مواجهة لغة جهاز الدولة والمقدس المتوفرة على الحماية الدستورية والمستأثرة بسلطة الكتابة⁵.

➤ مساعلة سياسات تدبير الهوية وآلياتها خصوصا في مجال التنشئة ومضمون البرامج التعليمية ومن ذلك سياسة التعريب.

في مقابل هذا (الخطاب النقدي) اشتغلت الحركة الأمازيغية في مستوى ثان يتمثل في التأسيس ل (هوية أمازيغية صاعدة) بالمقومات التالية:

➤ مقوم الماضي: من خلال وظائف إحداث التماسك وإضفاء الشرعية، وكحافز على الفعالية والتعبئة.

➤ مقوم التمايز الثقافي: عبر التشارك في رموز معينة وبلورة الوعي بالذات والآخر.

➤ مقوم التفرد: والتفرد لا يعني هنا أي حكم قيمي يسمو أو يدنو داخل جماعة معينة بل يفهم من خلال أفكار الشعور بالاختلاف عن الآخرين والاستقلال والتميز عن الجماعات الأخرى.

هذا الخطاب الهوياتي بالمواصفات السابقة اتخذ له ثلاث مداخل:

⁵ محمد أتركين، حول خطاب الهوية بالمغرب: الأمازيغية وسؤال الهوية، حول خطاب الهوية بالمغرب، أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط1، البوكيلي للطباعة والنشر والتوزيع، 2007، ص46.

➤ المدخل الرمزي: ويضم المطالب الرمزية المتعلقة بالهوية: الأسماء الشخصية، أسماء المدن...

➤ المدخل الدستوري: فالمطالبة بوضع رسمي للغة ما، يعني البحث عن شرعية لمتحدثيها فاللغة أداة من أدوات الهيمنة والسيادة.

➤ المدخل الدولي: عبر المطالبة بتغيير شكل الدولة نحو دولة فدرالية أو دولة للجهات أو بالتمثيل في المؤسسات الرسمية أو إعادة توزيع الثروة عبر المطالبة بالحق في الأرض والماء⁶...

المطلب الثاني: مرجعيات الحركة الثقافية الأمازيغية

وتتمثل أساسا في:

➤ خطاب 20 أوت 1994م للملك الحسن الثاني، بمناسبة ثورة الملك والشعب، حيث تم ولأول مرة في التاريخ الرسمي والسياسي الاعتراف من أعلى سلطة سياسية، في تاريخ المغرب، بالبعد الأمازيغي ك مكون للهوية الوطنية وجزء من أصالة المغاربة، وقد ورد مفهوم "التاريخ" في هذا الخطاب 22 مرة.

➤ بيان محمد شفيق سنة 2000 الذي وقع عليه أكثر من 209 شخص بينهم أساتذة أكاديميين وباحثين ومتقنين وشعراء وعدة إطارات وفعاليات أمازيغية والذي يحمل عنوان "بيان بشأن ضرورة الاعتراف الرسمي بأمازيغية المغرب".

➤ خطاب العرش 30 جويلية 2001م للملك محمد السادس، وذلك بمناسبة الذكرى الثانية لاعتلائه العرش. حيث تم الاعتراف السياسي والرسمي الملموس بالأمازيغية، بالإعلان عن قرار إحداث معهد ملكي للثقافة الأمازيغية مع تحديد مهامه.

⁶ نفس المرجع، ص 47.

➤ خطاب 17 أكتوبر 2001م للملك محمد السادس في أجدير حيث أشرك بمناسبة وضع الطابع المحدث والمنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ممثلي مختلف مكونات الأمة، من سياسية ونقابية ودينية وثقافية واقتصادية وجمعية، نظرا لأهمية ومغزى الحدث، وحيث تم (التأكيد على أن الأمازيغية، التي تمتد جذورها في أعماق تاريخ الشعب المغربي، هي ملك لكل المغاربة بدون استثناء).

➤ الظهير المحدث والمنظم للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، حيث عبر الملك محمد السادس عن اقتناعه بأن الاعتراف بمجمل الإرث الثقافي للشعب المغربي يقوي وحدتنا الوطنية ويعزز هويتنا⁷.

المطلب الثالث: البعد الثقافي والسياسي للهوية في الخطاب الأمازيغي

خصص (عبد الله حمودي)⁸ جزءاً هاماً من مؤلفه "الحدائث والهوية" لبسط تصورهِ المعرفي للهوية وذلك انطلاقاً من مقدمات نظرية وتوضيحية، لينتقل إلى تقديم مقارنة

⁷ الحسين آيت باحسين، حول المرجعية الفلسفية لكتابات الصافي مومن علي، حول خطاب الهوية بالمغرب، أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط1، البوكلي للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، 2007، ص102.

⁸ من أبرز علماء الأنثروبولوجيا المغاربة، وهو من مواليد سنة 1945 في المغرب، تحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون سنة 1977. درس في جامعة محمد الخامس في الرباط من سنة 1972 إلى سنة 1989، قبل أن ينتقل إلى جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية كأستاذ زائر منذ سنة 1990. وكان المدير المؤسس لمعهد الدراسات عبر الإقليمية (transrégionales) للشرق الأوسط المعاصر وشمال إفريقيا وآسيا الوسطى في الجامعة نفسها (1994-2004)

قام بعدد من البحوث الميدانية حول التاريخ العرقي للمغرب وليبيا والمملكة العربية السعودية. كتابه "الشيخ والمريد، النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة" صدر بالفرنسية سنة 1997، وترجم للإنجليزية والعربية. كتاب له هو "الرهان الثقافي وهم القطيعة" الذي صدر سنة 2011 باللغة العربية متضمناً جملة دراسات كان قد أنجزها بالفرنسية والانجليزية. وأخيراً كتاب الحدائث والهوية سنة 2015: سياسة الخطاب والحكم المعرفي حول الدين واللغة؛ حيث تناول هذا الكتاب مسألتَي الحدائث والهوية والجدل القائم بين الهوية الأمازيغية والعربية في مكامن الغموض ومشكل الذاتي والموضوعي.

نقدية لأهم الخطابات والكتابات التي تناولت مقولات الهوية في فضاء الإنتاج والنقاش العام في المغرب، والمرتبطة أساسا بالحركتين الاجتماعيتين اللتان يقترن حضورهما ووجودهما الثقافي والمعرفي بتصورين هوياتيين بارزين ومتنافسين حد التناقض والصراع، وهما الحركة الأمازيغية والحركة الإسلامية.

فقد ارتبط نشوء خطاب الحركة الأمازيغية في المغرب الذي يعكس نشأة الحركة ذاتها، ببروز وعي ثقافي عصري وتوظيف مجموعة من المقولات والمفاهيم النقدية والتصحيحية التي وفرها تطور المجالات الفكرية والعلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، وتحظى المعرفة والمقاربة الأنثروبولوجية بمكانة كبيرة في هذا الجهاز المفاهيمي والمنتج الخطابية. فانطلاقا من نقد وإعادة التأسيس لمفهوم الثقافة ذاتها، ومفاهيم اللغة والتاريخ والهوية... استطاع الخطاب الأمازيغي أن يحرك البرديغم المعرفي الذي هيمن لسنوات عديدة على التفكير الثقافي والسياسي والإنتاج المعرفي والخطابات المعروفة، وأن يبلور لمشروعية ثقافية وأن يؤسس لرؤية كبيرة ما لبثت تفصح عن أبعاد وإضاءات جديدة لتناول قضايا المغرب المعاصر، ولل فكر والانتماء، ولل نظرة إلى الذات والكون. فإذا توقفنا عند العديد من المفاهيم المركزية والمقولات الثقافية التي يقوم عليها الخطاب الأمازيغي، يتضح أن هذا الخطاب استفاد من تطورات عدة حقول معرفية منها اللسانيات وعلم الاجتماع والأنثروبولوجية، حيث تم توظيفها في نقد عدة أطروحات و يقينيات وأفكار ساهمت بشكل كبير في محاولة فهم وضعية الأمازيغية على عدة مستويات، بل وفي تبرير التمايز الثقافي واللغوية وسياسات الاقصاء التي اعتمدها الدولة وحلفاؤها من

ألقى عدة محاضرات حول الحركات الإسلامية ومجتمع الشرق الأوسط والظاهرة الاستعمارية، والنظرية الإثنوغرافية الفرنسية والأنثروبولوجيا السياسية.

الحركات والأحزاب والتيارات السياسية والأيدولوجية على امتداد أكثر من نصف قرن⁹.

الفرع الأول: اللغة والثقافة

يعتبر مفهوم الثقافة من المفاهيم التي كانت موضوع نقاش كبير ولا تزال منذ منتصف القرن العشرين، حيث يحرص بشكل بارز في حقل الدراسات العلمية والتداول المعرفي منذ الاهتمام الذي حظي به في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية الأنجلوسكسونية، خاصة منذ الإصدارات الأولى (تايلور وكيستاف كلیم ثم سيمر وكيلير...) الذي طوروا التعرف الشهير الذي قدمه تايلور حيث اعتبر "الثقافة بالمعنى الأنثروبولوجي الواسع تشمل كل ذلك الإنتاج المعقد الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأعراف والأخلاق والعادات، وكل المواقف والسلوكيات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في مجتمع". كما يعتبر مفهوم اللغة بدوره من المفاهيم التي تطورن بشكل كبير خلال نصف القرن الأخير، خاصة منذ الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت علاقة اللغة بالثقافة، حيث أمدت الأنثروبولوجيا البنوية على اعتبار اللغة مكون اجتماعي وعلى علاقتها بالثقافات التي تحملها وتتعاقد معها على المستوى المجالي والاجتماعي وحتى البنيوي والسميائي، كما اعتبر (لفي سترأوس) بأن اللغة والثقافة ليستا سوى صيغتان متوازيتان لنفس النشاط الإنساني. كما أبرزت الدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة قيمة الثقافات واللغات المحلية في العديد من مناطق العالم، ووظائفها الاجتماعية الهامة بغض النظر عن قيمتها ومكانتها السياسية والمؤسسية، حيث اتضح مع هذه الدراسات الميدانية والمقارنة بأن اللغات والثقافات تتساوى في قيمتها وبنياتها، والتميز أو الفروق القائمة في وظائفها وإنتاجاتها وانتشارها أو انحصارها ليست لأسباب في ذاتها، بل هي نتيجة الشروط المحيطة بوضعياتها في المجتمعات ومؤسسات الدول

⁹ رشيد الحاحي، الهوية وقضايا الأمازيغية والإسلام السياسي والحريات، مرجع سابق، ص 31.

وأنظمة التنشئة. وقد تأكدت قيمة اللغات المحلية وأهميتها مع تكور الدرس اللساني المعاصر الذي أبرز القيمة التواصلية للغة وفروعها اللهجية أو المتداولة في مجالات محدودة نتيجة غياب الشروط الضرورية لتنميتها وتطوير وظائفها، كما أبرزت المقاربة التواصلية بعض إخفاقات وأوهام الدرس اللغوي التقليدي الذي يعلي من شأن اللغة في ذاتها، انطلاقاً من وضعية التتميط والمتن النحوي والتركيب، بدل الاهتمام بالوظائف والدور التواصلية للغة، خاصة أن تضخم المقاربة اللغوية فسح المجال للتعاطي الأيديولوجي والتوظيف السياسي للغات في الهيمنة وتبرير الإقصاء، وتوهم قيم ومواصفات ميتافيزيقية كـ(القداسة ولغة البعث واللغة المختارة...) ¹⁰، مقابل دناسة ووضاعة اللغات الأخرى، خاصة التي لم ترتبط بكتب مقدسة أو أديان سائدة أو فئات وسلالات حاكمة وسلطة مهيمنة.

على المستوى الوطني، لقد ظل مفهوم اللغة والثقافة وتناولهما في الحقل المعرفي والابداعي، ومقاربات التدبير السياسي في المغرب، محصوراً في الدلالة والإطار التقليدي الذي يحصرها في اللغة والثقافة العالمية والنصوص المكتوبة والابداعات المعاصرة، أي في التراث الفرنكفوني وفي ما أنتج باللغتين العربية والفرنسية. وقد زاد من انتشار وتوطيد هذه المقاربة التقليدية لدلالات الثقافة وتدبير الشأن الثقافي، سياق دخول الحمايتان الفرنسية والإسبانية وتأسيس منظومات الإنتاج العصرية، خاصة التعليمية والثقافية والترابية والإعلامية... واستمرار هذه المقاربة والخيارات السياسية والثقافية بعد خروج الحمايتين، حيث استمرت الدولة المستقلة ومختلف المكونات السياسية والثقافية ونخبها المتعلمة في تثبيت هذا الخيار وتصريفه مؤسساتياً في تجاهل مبير لمختلف الأبعاد والمكونات الثقافية والاجتماعية التي يعرفها فضاء المجتمع وحياتة الانسان المغربي، خاصة في الهوامش والمناطق المعزولة. وزاد من ذلك الاهتمام الكبير

¹⁰ نفس المرجع، ص 32.

الذي حظيت به الثقافة العاملة في هذا السياق، خاصة الثقافة العربية وموروثها من النصوص والتعابير العصرية، والثقافة الفرنكفونية التي كانت تقترن بالتحديث والتطور. وقد شكل النموذجان القومي العربي والفرنكفوني المدعومين سياسيا وثقافيا وماديا، المعلم المهيمن على فكر وثقافة النخب، وعلى الاختيارات السياسية والتربوية والثقافية الرسمية، مما جعلهما يتحولان إلى آليات للهيمنة الرمزية والاستيعاب الأيديولوجي الذي كانت الأمازيغية لغة وثقافة وهوية تتأثر به سلبيا.

الفرع الثاني: الهوية والمجال الجغرافي

في البداية كانت الجغرافيا، والمؤكد أن المجال يحظى بأهمية مركزية في تحديد هويات الشعوب وتشكل شخصياتها الثقافية والحضارية ورؤيتها إلى الكون. وقد تناول حسن أوريد¹¹ هذا الرباط فاستشهد (بأنست برونان) في قوله بالأساس الجغرافي وأسبقية المجال الترابي¹²، وعملا بهذا الاختيار المنهجي، ولتناول هوية الشعب المغربي والمغربي وصيرورة وجوده، ذكر الباحث بهذا المجال المعروف باسم بلاد البربر (Berberie) التي هي الإطار المجالي الذي عاش ولا يزال يعيش فيه الأمازيغ، ومسرح وجودهم، كما عرفه الإغريق والفينيقيين والرومان والعرب والقوى الأوروبية، فهو يمتد من واحة سوى بمصر إلى الأطلسي وجزر الكناري، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى بالجنوب¹³.

¹¹ حسن أوريد هو سياسي وكاتب مغربي، تم تعيينه في 1999 كأول "ناطق رسمي باسم القصر الملكي"، وهو المنصب الذي ظل يشغله حتى 2005، بعد ذلك تم تعيينه مؤرخا للمملكة المغربية في 2009 خلفا للمؤرخ السابق عبد الوهاب بن منصور الذي توفي في 2008. ويرأس حسن أوريد مركزا للدراسات والأبحاث، اسمه "مركز طارق بن زياد". يشغل حاليا أستاذا جامعيا للعلوم السياسية بالرباط، كما يتولى مهمة مستشار علمي بمجلة زمان المغربية المتخصصة في التاريخ، وبها ينشر مقالات متخصصة وعمودا صحفيا شهريا بالنسختين الفرنسية والعربية.

¹² Aourid Hassan, De l'identité au devenir, Actes de colloque de l'université, 11eme session, Agadir, 2015.

¹³ Ibid.

كثيرا ما يثار السؤال حول الدلالات التي يكتسبها مفهوم الهوية في خطاب الحركة الأمازيغية انطلاقا من ربطه بالأرض، وقد انتقدت بعض الكتابات مؤخرا هذا الربط، وبذل أصحابها جهدا كبيرا في سبيل تنفيذ الأساس المفهومي لهذه العلاقة، بل وإصدار أحكام من قبيل اعتبار هذا الربط دليل على تقليدية خطاب الحركة، وذلك بشكل لا يستقيم والنقاش الفكري والنظري الهادئ والمرتزن خاصة في موضوع شائك ومفهوم معقد تتجاذبه العديد من الحقول المعرفية والإطارات المرجعية والنزوعات الأيديولوجية والميتافيزيقية. فعند تناول موضوع الهوية في علاقتها بالتراب أو المجال الجغرافي في خطاب الحركة الأمازيغية، لابد من استحضار الصفة الاجتماعية لهذه الحركة وموقعها في المجال الثقافي والنقاش الهوياتي، وكون موضوع الهوية من المواضيع الشائكة التي تطرح في سياق كل تحليل موضوعي يروم مساءلة الكينونة البشرية ومختلف تشكيلاتها وأبعادها الوجودية والاجتماعية، وذلك باعتبارها معطى اختلافيا يميز بين الأفراد والمجتمعات والثقافات المتعددة، ونتاج لمختلف الاختيارات والشروط التي تتحكم في نشأتها وتطوره. عند تحليل علاقة الهوية بالأرض في خطاب الحركة الأمازيغية المقصود في الحقيقة بالأرض ليس الأرضية (Le sol) التي نطوؤها بأقدامنا، بل المقصود من جهة، (الأم الكونية)¹⁴، ومن جهة أخرى، التراب أو المجال بمفهومه الواسع والحديث، حيث إنه لا يمكن فهم أسس وأبعاد هذه الصلة إلا انطلاقا من البعد السوسيوثقافي والايكولوجي للمشروع والمطلب الحقوقي والثقافي والهوياتي الأمازيغي، والإطار الإنسي للخطاب الأمازيغي ومقارنته الأنثربولوجية¹⁵. فوضعية اللغات والثقافات تتسم بالتعدد والتنافس داخل مسارات الحياة الاجتماعية والتدابير المؤسساتية

¹⁴ والتي يعني بها في حالة المغرب ودول شمال افريقيا الأمازيغية.

¹⁵ رشيد الحاحي، النار والأثر الرمزي والمتخيل في الثقافة الأمازيغية، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2006، ص 34.

المرتبطة بها، كما أن المعطى الديني يبقى بدوره متغيرا ومتعددا حسب تباين اختيارات الأفراد والجماعات، واختلاف الشروط الثقافية والاجتماعية التي تؤثر في الممارسة الروحية والمعتقد. في حين أن المعطى الأساس الذي يقوم عليه متغير الهوية والاختلاف هو الإطار المجالي الذي تتفاعل داخله هذه المتغيرات والعناصر. فالمحدد الترابي يتقدم كموضوع انتماء وفضاء ووجود، يملك عمقه التاريخي والحضاري، وديناميته الطبيعية والبشرية، وما يرتبط بها من أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية، تشكل الدولة الحديثة ووضعيتها المواطنة الإطار الناظم لها ولهويتها الوطنية. ولعله في هذا التوضيح إقرار بحدثة هذا المفهوم في خطاب الحركة الأمازيغية التي كان لها الفضل في نقد الفكر الأحادي والتوحيد والاستيعاب القسري والتصور الدوغمائي لقضايا الهوية اعتمادا على فكر وثقافة الاختلاف والتعدد، وهذا كاف لتفنيذ الأحكام الجاهزة وكل إسقاط يتوهم النزعة العرقية في ربط الهوية بالأرض.

تتطلق مقارنة الحركة الأمازيغية للهوية، من اعتبارها معطى أنثربولوجيا، ونتاج لمختلف العناصر والمكونات التي تشكل الكيان البشري وتغذي سيرورة تطوره وتفاعله مع عناصر ومستجدات محيطه السوسيوثقافي المتغير باستمرار. وإذا اعتمدنا هذا المنظور العلمي في تناول سؤال الهوية، ومختلف القضايا التي تنفرع عنه كالسياسة اللغوية والثقافية وتدبير المسألة الدينية، نجد أن المفهوم (الإيكولوجي) للهوية أي ربطها بالمجال هو الذي يحدد مفصل الثابت والمتحول في تناول هذا الموضوع، حيث إن هوية الشعوب والمجتمعات البشرية تتحدد من خلال مجال وجودها ككيانات وطنية وحضارية، أي من ارتباطها بأرض تشكل موطنها، لتضاف مختلف عناصر التعدد ومتغيرات الحياة الاجتماعية التي تتفاعل داخل الإطار الهوياتي المنظم للكيان الوطني المشترك.

المبحث الثاني: تحليل مضمون خطاب الملك الحسن الثاني

تحتل المؤسسة الملكية مكانة سامية في النسق السياسي المغربي كمؤسسة محورية وفاعل رئيسي لاعتبارات عدة: دستورية، تاريخية، وطنية، سياسية، دينية، تنموية، ...، فقد خصها الدستور بوضعية مميزة ومنحها سلطات واسعة تمارسها بشكل منفرد أو بمشاركة سلطة أخرى¹. والمؤسسة الملكية بالمغرب تسود وتحكم في نفس الوقت، على أساس أن الحكم كل لا يتجزأ. فالملك سلطة فوق جميع السلط، ومبدأ السلط لا ينطبق عليه، إذ أنه يمارس اختصاصاته بصفته سلطة عليا بالنسبة لكل السلطات²، سواء التنفيذية أو التشريعية أو القضائية.

المطلب الأول: نبذة عن حياة الملك الحسن الثاني

ينتسب الملك الحسن الثاني إلى الأسرة (العلوية) التي حلت بالمغرب في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي من واحة (ينبع النخل) الواقعة على ساحل البحر الأحمر من الجزيرة العربية والتي استقرت بمدينة (سجلماسة) في جنوب المغرب، وهي أسرة تتحدر من صلب النبي عليه الصلاة والسلام عن طريق ابنته فاطمة الزهراء، والملك الحسن الثاني هو الملك الحادي والعشرون من ملوك هذه الأسرة التي أبتدأ حكمها للمغرب في منتصف القرن السابع عشر الميلادي.

ولد الملك الحسن الثاني بالرباط يوم الثلاثاء جويلية 1929م، حيث كان والده الملك محمد الخامس موجودا بفرنسا في زيارة رسمية، وضمنا لحسن تربية ابنه بنى محمد الخامس المدرسة المولوية بالقرب من القصر الملكي في الرباط، وهي عصرية رغم شكلها المغربي. مسندا تربية الأمير الحسن إلى المربية الفرنسية (ايسباني) لتستبدل

¹ - مصطفى قلوب، النظام الدستوري المغربي: المؤسسة الملكية، مكتبة دار السلام، 1997، ص22.

² - Sehim M La prépondérance du pouvoir royal la constitution marocaine, in revue de droit public mois 7-8- 1984, p 976.

بعد ذلك بالأنسة(مبير)وفي مقابل هذا أدخله والده في سنة 1934 ليتعلم مبادئ الكتابة وحفظ القرآن الكريم، ثم ولج بعد سنتين التعليم الابتدائي العصري، وإثر حصوله على الشهادة الابتدائية تابع دراسته الثانوية بنفس المدرسة، الأمر الذي مكن الملك لحسن الثاني من الحصول على شهادة البكالوريا في سنة 1948 ليلتحق في خريف نفس السنة بمعهد الدراسات العليا القانونية بالرباط لمتابعة دراسته العليا، وبموازاة مع دراسته الجامعية تلقى الأمير مولاي الحسن تدريباً عسكرياً على متن (جاندارك) التابعة للأسطول الفرنسي مثلما تسجل في كلية الحقوق (ببور دو) لتحضير أطروحة الدكتوراه في القانون العام بموضوع(مفهوم الدولة في الأمة الإسلامية) غير أن الوضعية الحرجة التي كان يجتازها المغرب في تلك المرحلة حالة بينه وبين متابعة دراسته إذ ستبعده السلطات الاستعمارية الفرنسية رفقة والده وأسرتهم إلى جزيرة (كورسيكا) في 20 أوت 1953، ثم إلى جزيرة (مدغشقر) في سنة 1954، ولما أجبرت المقاومة المسلحة الوطنية الحكومة الفرنسية على إرجاع الملك على عرشه في نوفمبر 1955 والاعتراف باستقلال المغرب. وفي شهر ماي 1956 أسند إليه والده رئاسة الأركان العامة للقوات المسلحة الملكية ونصبه رسمياً في ولاية العهد في 9 جويلية 1957، مثلما أسندت إليه رئاسة الحكومة سنة 1960 إلى جانب مساهمته في المفاوضات التي جرت مع فرنسا وإسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية قصد سحب قواتها من المغرب³.

وحيثما توفي والده في 26 فيفري 1961 تم توليه الحكم ملكاً على المغرب، فعمد على إقرار نظام ملكي دستوري دشنه بإصدار دستور في سنة 1962 وخلق مؤسسات

³ محمد زين الدين، الفكر الدستوري والسياسي لجلالة الملك الحسن الثاني مقارنة دستورية سياسية، (أطروحة لنيل الدكتوراه الوطنية في القانون العام في العلوم السياسية والقانون الدستوري، جامعة الحسن الثاني عين الشق كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء، المغرب)، 2002، ص8.

دستورية وتبني نظام التعددية الحزبية ليُدشن بعدها مسيرة خضراء لتحرير الأقاليم الصحراوية في سنة 1975.

الفرع الأول: الصراع الملكي السياسي ومسألة السلطة التأسيسية

بعد استقلال المغرب برزت قوى سياسية متباينة أرادت أن تحد من الملكية في المغرب؛ فظهر صراع حول السلطة التأسيسية فظهر من جهة المؤسسة الملكية الحاكمة والتي دامت مدة طويلة (12 قرن)، ومن جهة أخرى برزت الأحزاب المنحدرة عن الحركة الوطنية، وقد دام هذا الصراع قرابة 7 سنوات 1955-1962. ويمكن تحديد أهم مراحل هذا الصراع في عدة نقاط أو مراحل⁴:

➤ ترجع خلفيات هذا الصراع بعد استقلال المغرب حيث أظهر حزب الاستقلال وهو صاحب أكبر تمثيلية في ذلك الوقت في رغبة بإقامة ملكية مقيدة يكون فيها للملك وهو الحسن الثاني في تلك الفترة دورا مقيدا أو شرفيا فقط، وفي النفس الوقت تُسند للحزب الممارسة الحقيقية والفعلية للسلطة التنفيذية بما أنه يمثل قاعدة شعبية عريضة.

➤ بعد ذلك تمكن الملك الحسن الثاني في حسم وإنهاء هذا الصراع في مسألة السلطة التأسيسية وتقييد الملكية واعتبارها منصب شرفي في النظام السياسي المغربي من طرف حزب الاستقلال الذي كان يرى أنه يمثل قاعدة شعبية عريضة وأيضا أنه كان الممثل الحقيقي والوحيد للذين كافحوا لأجل الاستقلال؛ وبهذا وظف الحسن الثاني مجموعة من الآليات والتدابير القانونية والسياسية في هذا الصراع السياسي من جهة وأيضا مساهمة بعض الظروف الداخلية لأحزاب المنبثقة عن الحركة الوطنية إلى حسم الصراع السياسي.

➤ من بين التدابير القانونية للملك الحسن الثاني وضع القانون الأساسي للملكة في جوان 1961 واشتمل على 17 فصلا وقد كان هذا القانون الأساسي بمثابة دستور بعد

⁴ نفس المرجع، ص ص 154-157.

ما فشل المجلس الدستوري من وضع دستور للدولة جاء في اتجاه نظام ملكي دستوري واعتبر أن المغرب دولة ملكية كاملة السيادة دينها الرسمي هو الإسلام ولغتها العربية، كما سن هذا القانون مجموعة من الحقوق السياسية، الاجتماعية والاقتصادية كإقرار وتأكيد الفصل بين السلطات وكذا استقلالية القضاء.

➤ أما فيما يخص الأحزاب السياسية المنبثقة عن الحركة الوطنية فقد بزت بداخلها عدة خلاقات سياسية بين تيارين؛ تيار معتدل في أفكاره وتوجهاته السياسية يتزعمه زعيم حزب الاستقلال (علال الفاسي)، وتيار آخر يدعو إلى التغيير الجذري بزعامه (المهدي بن بركة)؛ وهذا ما تكلم عليه وأكدّه (أحمد رضا أكديرة)⁵ قائلاً: "...لما تحقق الاستقلال برزت مواجهات أخرى لم تنشأ كلها عن مجرد مشاكل التسيير التي امتازت بتصاعدها. لقد كانت مواجهات ذات طابع آخر من الممكن أن يكون لها أثر على مصير البلاد.

⁵ أحمد رضا أكديرة (22 جوان 1922، الرباط - 14 ديسمبر 1995، باريس) سياسي مغربي ومستشار الملك الحسن الثاني، تقلد عدة مناصب وزارية. ونشأ في وقت كان فيه المغرب يعيش تحت سلطة الحماية الفرنسية. أضاف 'رضا' إلى اسمه تأثيراً بالمفكر محمد رشيد رضا، درس سنتين في معهد الدراسات العليا المغربية بالرباط، وانتقل إلى فرنسا ليحصل هناك على شهادة الإجازة، وليلتقي كذلك بزوجه الفرنسية الذي أثرت على اهتمامه الكبير بالثقافة الفرنسية، وقد قرّر مغادرة الحي الجامعي بباريس بعد خلافات بينه وبين الطلبة الاستقلاليين أمثال محمد الدويري. كان يؤيد فكرة خروج فرنسا سياسياً من المغرب، وبفضل علاقته مع محمد رشيد ملين، دخل أكديرة إلى المحيط الملكي، بعد تأسيسه لحزب الأحرار المستقلين سنة 1937 وضم أكديرة إليه. كان هذا الحزب من تضيق واسع من السلطات الفرنسية. وبعد عودته من فرنسا فتح مكتب محاماة، كانت أول قضية يُرافع فيها هي الدفاع عن صديقه رشيد ملين أمام سلطات الحماية سنة 1952م في وقت وصلت فيه العلاقة بين فرنسا والحركة الوطنية درجة بالغة من التشنج. اختلف أكديرة مع زعماء الاستقلال، بسبب صداقته القوية بولي العهد مولاي الحسن، هذا الأخير أحب فيه إخلاصه للملكية ومعرفته الواسعة بالثقافة الفرنسية، وكذلك مطالبته بوقف المقاومة المسلحة بعد عودة محمد الخامس، فبالنسبة لأكديرة، عودة الملك إلى شعبه تساوي الاستقلال ولا حاجة للمغرب بجيش التحرير بعد ذلك حسب المؤرخ عبد الرحيم الوردغي. استطاع الضغط على الحركة الوطنية وإخضاع جيش التحرير، وهو ما أدخله في حرب مع قيادة حزب الاستقلال، الذي كان يريد إبقاء جيش التحرير مستقلاً عن أي مؤسسة. اعتبر أكديرة كل الأحزاب السياسية لا تتكون إلا على أساس المصلحة والطمع في الحكم، وهي دكتاتورية أكثر ما هي ديمقراطية.

ازدادت مطالب الأحزاب وامتدت المزايمة بينهم؛ فحظب الاستقلال الذي كان آنذاك أهم حزب طالب بطرد حزب الشورى والاستقلال من الحكومة وأحرز على ذلك؛ وبعد بضعة أشهر طالب بتكوين حكومة منسجمة فحصل على ذلك، وتكونت بالفعل حكومة برئاسة (الحاج أحمد بلافريج)، ولم تمض سنة كاملة حتى انشق حزب الاستقلال إلى قسمين، الجناح اليميني مع علال الفاسي والجناح اليساري مع المهدي بن بركة وعبد الله إبراهيم وعبد الرحيم بوعبيد وهذا الجناح اليساري هو من شكل الحكومة الرابعة برئاسة عبد الله إبراهيم، ومنذ ذلك الحين تغير المظهر السياسي للبلاد وأخذ لونا جديدا؛ وهذا ما أضفى على النشاط الحزبي السياسي نوع من التشرذم والانقسامات المتتابعة تعبر عن ضعف داخلي ما أدى إلى استغلال الظرف لإعادة بناء وتجسيد الحكم الملكي وتحييد فكرة فصل الملكية عن السلطة التنفيذية. وقد تحدث الملك الحسن الثاني في هذا السياق حيث قال: "...كانت حوادث الريف قد نشبت وقتئذ، وعندما كنت أصطحب معي في الطائرة الصحفي المستجوب وأثناء الطيران ألقى عليا نفس السؤال جوابي، إنه حدث ستكون انعكاسات بالنسبة للمغرب لسنين طويلة، يتعين هنا فهم السياق العام، فالرأي العام المغربي لم يكتشف إلا منذ فترة وجيزة أن عليه أن يسوق سيارته بنفسه وبشكل حذر وواقعي، فالشباب والأطر التي تكونت في الخارج لم يكونوا بحاجة إلى هذا النزاع الذي أثر أيضا تأثير على نضجهم وحسهم بالمسؤوليات، لقد كان الأمر أكثر من محض انفصال في حزب جماعة لأن هذا الشرخ العميق امتد إلى الأسر المغربية وكما تعلمون فإن الديماغوجية جزء مما يمكن أن نسميه بتوابع السياسة اليومية ولذلك فإغفالها أو منعها ضرب من الخيال. لقد أفرطنا في هذا المدال لأن كلا الحزبين كان يريد إقامة البرهان وبإصرار أن الحق معه والفاثورة التي اضطررنا إلى تسديدها لم تكن اقتصادية ولا مالية ولكنها كانت إنسانية نظرا للتصعيدات التي ترتبت عنها على مستويات عدة. إن السياسة لا تشبه الحساب؛ فمثلا حين نقسم اثنين على اثنين لا نحصل

حتماً إلا على واحد، أما بالنسبة للسياسة فقد نحصل مثلاً على 0.2 أو 0.5. لقد استنتجت من ذلك درساً هو أنه إذا كان بإمكان الجراحة اليوم أن تحقق نتائج خارقة كزرع الأعضاء وإعادة المبتور منها فإنه يستحيل تماماً لم حزب وقع فيه انشقاق. فالمرء يجد نفسه أمام حزازات أشد قسوة من (الفانديتا) الانتقامية التي عرفتها (مورسيكا) خلال القرن الماضي؛ وبالتالي فإن المسلسل يفضي إلى حكومة تتكلم بصوت مرتفع ومعارضة تحاول أن تصرخ بصوت أعلى ومن ثم لم تكن تلك الفترة مطبوعة بالهدوء الفكري".

الفرع الثاني: مكانة المؤسسة الملكية ضمن النسق السياسي المغربي

حدد الفصل 19 من الدستور المغربي المعدل في 13 سبتمبر 1996 الإطار العام لكل الاختصاصات -المهام- التي يمارسها الملك، ووضعته المتميزة عندما نص على أن "الملك أهير المؤمنين والممثل الأسمى للأمة ورمز وحدتها وضامن دوام الدولة واستمرارها، وهو حامي حمى الدين والساهر على احترام الدستور، وله صيانة حقوق وحرريات المواطنين والجماعات والهيئات. وهو الضامن لاستقلال البلاد وحوزة المملكة في دائرة حدودها الحقة". وإذا كان الفصل 19 قد صيغ في عبارات عامة، فإنها جاءت كذلك لتكريس سمو المؤسسة الملكية بالنظر لحمولته الدينية، والدستورية، والتاريخية،...، إلى حد أنها جعلت البعض يعتبر الفصل 19 فصل كل الاحتمالات⁶. أو يمنحه بعداً يكاد يهيمش الوثيقة الدستورية بما تتضمنه من مقتضيات وأحكام ويختزلها في هذا الفصل.

وبناء على الفصل 19 فالملك لا يعتبر سلطة بالمعنى الضيق المتعارف عليه، وإنما هو سلطة فوق السلطات الدستورية، وهذا ما أكده عليه الملك الحسن الثاني: "قلت

⁶ - Amalou Abderrahman, L'évocation de l'article 19 de la constitution à la frontière de la 3eme et 4eme législature RMPRD, N° 4, 1983, P29.

وكررت ولازلت أكرر أنه بالنسبة لعبد الله الضعيف، خادم المغرب الأول، عبد ربه، بالنسبة لي ليس هناك فصل في السلطة، أنا أب الجميع، أب المشرع وأب المنفذ⁷. وهو ما يجعل الملك يسود ويحكم دون تحمل المسؤولية السياسية والجنائية، كما أن المؤسسة الملكية تجمع بين سمات الخلافة الإسلامية والأعراف المغربية في الحكم⁸، فلقب الملك لا يقتصر على إمارة المؤمنين بل تتضاف إليه ألفاظ "رمز" و"حامي" و"ضامن" وهي ألفاظ تحمل في طياتها مغزى سياسيا ودينيا ورمزيا معبرا⁹، وهذا فإن الفصل 19 - كمنظومة- يجعل من المؤسسة الملكية محركا أساسيا للحياة المؤسساتية، وفاعلا محوريا في النسق السياسي المغربي. واعتبارا للمكانة الخاصة التي للملك في المغرب ومسؤولياته الجسيمة، كان من الطبيعي أن يكون الاتصال بين الملك والمواطنين أو بين الأمير والمؤمنين اتصالا مباشرا، مستديما وغنيا بالدلالات، وفي هذا تندرج الخطب والكلمات الملكية العديدة بالإضافة إلى زيارات الملك الشخصية إلى المدن والأرياف، هذه الزيارات التي يعتبرها الملك محمد السادس بأنها "شيء طبيعي أن يقوم ملك المغرب بزيارة رعاياه الأوفياء في كل الأقاليم سواء كانت في الشمال أو الجنوب وهي زيارة درجنا على القيام بها لتتعرف عن قرب على اهتمامات وقضايا مواطنينا وهذه سنة قديمة دأب عليها أسلافنا الميامين"¹⁰. وبما أن الملك هو الممثل الاسمي للأمة وممثل

7 - خطاب ملكي، ألقى أمام أعضاء مجلس النواب، بتاريخ 9 أكتوبر 1987

8 - مصطفى قلوش، النظام الدستوري المغربي: المؤسسة الملكية، مرجع سابق، ص 13.

9 - نخس المرجع، ص 75.

10 - الاستجواب الذي خص به الملك محمد السادس أربع مجلات لبنانية مجلة (الحوادث) ومجلة (لاروفي دو لبيان)

ومجلة (مانداي مورنينغ) عشية انعقاد القمة العربية ببيروت - بيروت 21 / 3 / 2002

الدولة على المسرح العالمي والمدافع الأول عن المصالح القومية المغربية، فيظل هو المخاطب الأول للرأي العام الوطني والدولي¹¹.

المطلب الثاني: مسألة الهوية في الخطاب الملكي للحسن الثاني

يكتسي الخطاب الملكي صبغة قدسية؛ إذ يشير الفصل 23 من الدستور المغربي أن: "شخص الملك مقدس لا تنتهك حرمة" كما ينص الفصل 28 على أن "للملك أن يخاطب الأمة والبرلمان ويتلى خطابه أمام كلا المجلسين، ولا يمكن أن يكون مضمونه موضوع أي نقاش"؛ والمتتبع لخطاب الملك الحسن الثاني على امتداد 38 سنة من توليه الملك يلتبس غلبة الجانب الثقافي في معظم خطابه للشعب وقد كان أيضا حريصا على افتتاح واختتام خطبه بآيات من القرآن الكريم تكون في الغالب مرتبطة بموضوع الخطاب الموجه، وتتميز خطابات الملك الحسن الثاني إلى عدة مستويات تختلف كلها حسب الظروف والمناسبات.

الفرع الأول: خصائص الخطاب الملكي بالمغرب

ولما كان الخطاب discours يُطرح عادة، باعتباره مجموعة من المفاهيم والتصورات التي تتمظهر في نصوص و"كلام وكتابة وغيرها بشمله لكل انتاج ذهني سواء أكان...، منظوقا أو مكتوبا فرديا أو جماعيا، ذاتيا أو مؤسسيا." بهدف الوصول إلى أهداف معينة أو بدائل عن وضعيتها بعينها أو مجموع القضايا المطروحة على الساحة السياسية. فالخطب الملكية منها ما هو موجه إلى الأمة مباشرة أو إلى أعضاء مجلسي البرلمان، أو إلى جهة بعينها، فهذه الخطب تعد إرادة سياسية وتشريعية ملزمة، لأن رغبات الملك هي في حد ذاتها أوامر يجب على السلطات الثلاث تنفيذها. ولا

¹¹ - محمد أشركي، الوزير الأول: مركزه ووظيفته في النظام المغربي، (أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في القانون العام، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء، أكتوبر 1985)، ص56.

تكتسي جميع الخطب الملكية نفس القيمة القانونية والسياسية، بل إن الخطاب الملكي قد لا يأخذ به كلية وإنما فقط ببعض نصوصه، بعض جملة، إشارات ورموزه... ذلك أن أهمية الخطاب تبقى رهينة بظرفيته، بمضمونه، بأسلوبه، بانفعاليته، ببعده الإيجابي، وبغائيته...¹² فخطاب العرش يكتسي كل سنة أهمية بالغة لكونه يرصد أحوال الأمة ويرسم معالم العمل المستقبلي، كما تحظى الخطب الملكية الموجهة إلى البرلمان أهمية بالغة، من حيث طقوسها (تلاوة آية قرآنية، ارتداء الزي التقليدي المغربي، ...) ولا من حيث مضامينها (توجيهات سامية، أوامر، اقتراحات، برنامج عمل...)، فيحين باقي الخطب الملكية الملقاة بمناسبة المسيرة الخضراء أو عيد الإستقلال أو عيد الشباب... لا يمكن مقارنتها مثلا بتلك الخطب الملقاة بمناسبة إجراء التحكيم سواء كان دستوريا أو سياسيا، ذلك أن الخطب التحكيمية التي تتضمن فصلا نهائيا ولا رجعة فيه تعتبر في أعلى مرتبة من كل الخطب الملكية الأخرى لأنها تعتبر صادرة عن الملك بوصفه الحكم الدستوري والسياسي الأول في المغرب¹³.

فالخطاب الملكي لا يتصف في روحه ومنطوقه بصلافة مطلقة، بل هو خطاب تأسيسي يسمح للملك بإعطاء تصورات وفقا لما يفرضه عليه واجبه الدستوري، هذه التصورات والتوجيهات يعرضها على بباقي الفاعلين السياسيين من أجل بلورتها وترجمتها وتنزيلها على أرض الواقع.

ويمكن استجماع خيوط الخطاب الرسمي حول الهوية من عدة مصادر، كالخطب الملكية، ونشرات الأخبار، والاستجابات الصحفية للملك، وغيرها.

الفرع الثاني: تصنيف خطابات الملك الحسن الثاني

¹² -Abdellah Boudahrain, *Eléments de droit public Marocain*, ed l'harmathan, Paris, 1994, P 37.

¹³ - نجيب الحجوي، سمو المؤسسة الملكية بالمغرب -دراسة قانونية-، جامعة محمد الخامس -أكادال، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الرباط، ص 46.

يمكن تصنيف خطابات الحسن الثاني على النحو الآتي:

1. خطاب عيد العرش؛ يتميز الخطاب الوطني عند الملك الحسن الثاني بمكانة خاصة ويتوجه به الملك للشعب بخلاف المناسبات الأخرى التي يسند في الكثير من الأحيان لإلقائها لولي العهد أو أحد مستشاريه وتأتي خطب عيد العرش، عيد الشباب، ثورة الملك والشعب، عيد المسيرة الخضراء، على رأس الخطب الملكية.

➤ خطاب عيد العرش 3 مارس؛ يُعنى هذا الخطاب بمكانة متميزة في خطابات الملك الحسن الثاني ويرتكز فيه على التركيز بالموروث السياسي المغربي ويعطي معنى نفسي لضرورة التلاحم الوطني بين العرش والشعب المغربي وارتباطه روحيا وكذا التركيز على التمسك بروح الوطنية الصادقة والكرامة والتضامن، وسيتحضر الملك في هذا الخطاب أسس ومرتكزات النظام السياسي المغربي ورصد ما تم تحقيقه وما سيتم إنجازه في عدة مجالات كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

➤ خطاب عيد الشباب 9 جويلية؛ يركز الخطاب الملكي في عيد الشباب على أهم الإنجازات المحققة وكذا الإجراءات والتدابير الأساسية المقرر إنجازها لفائدة الشباب المغربي حيث يركز أيضا على أهم المواضيع أو القضايا التي تهم الشباب كالتعليم، الشغل، التكوين وغيرها...

➤ خطاب ذكرى ثورة الملك والشعب 20 أوت؛ يمثل هذا الخطاب الجانب التاريخي للكفاح بين المغرب والاحتلال الفرنسي والذي كان فيه الملك الحسن الثاني ووالده محمد الخامس والحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي، فهو خطاب يستهدف بالأساس استحضار الماضي لتمجيده وتذكره¹⁴.

¹⁴ محمد زين الدين، الفكر الدستوري والسياسي لجلالة الملك الحسن الثاني مقارنة دستورية سياسية، مرجع سابق،

➤ خطاب المسيرة الخضراء 6 نوفمبر؛ يأتي هذا الخطاب احتفاء بتاريخ الدعوة من طرف الملك الحسن الثاني في 16 أكتوبر 1975 لضرورة السير إلى جنوب المغرب لضم الصحراء لها وهذا عن طريق مسيرة شعبية تجمع حوالي 350 ألف مواطن تتجه لجنوب المغرب لضم الصحراء الغربية لها باعتبارها امتداد لها وأن الاحتلال الإسباني هو من أخذها بالقوة ولا يمكن الاستغناء عنها مهما كان.

2. الخطاب الديني؛ تمثل شخصية الملك بأنها أمير المؤمنين وبذلك يحظى الخطاب الديني بمكانة مهمة وأساسية ضمن أليات الخطب الملكية، ويمكن تحديد بعض التقسيمات لخطابات الحسن الثاني نذكر منها:

➤ خطاب ديني خاص؛ يعنى الخطاب الديني الخاص ذلك الخطاب الموجه إلى فئة محددة وليس لكل الشعب المغربي، كفئة المثقفين وعلماء الدين لتأكيد التواصل الديني وطرق توسيعه ونشر تعاليم الدين الإسلامي ونقله للأجيال القادمة.

➤ خطاب ديني عام؛ ويوجه هذا النوع من الخطب الملكية لكافة الشعب بمناسبة دينية محددة.

➤ خطاب ديني بمناسبة توديع الوفد الرسمي للحجاج المغاربة؛ ويعد هذا تقليد رسمي وضعه الحسن الثاني للحجاج المغاربة يضم جملة من النصائح لتأدية مناسك الحج.

3. الخطاب الملكي ذو الصبغة الدولية؛ يأتي هذا النوع من الخطب الملكية إثر ظهور قضايا دولية مهمة وحساسة يقدم فيها الملك وصف لتلك القضية وامتداداتها على الساحة الدولية العربية والمغربية ويبيد فيها رأيه وتحليله وما ينص عليه أيضا القانون الدولي في ذاك الشأن.

المطلب الثالث: الخطاب السياسي للحسن الثاني في ضوء التحليل النقدي للخطاب

كما تم التطرق في الفصل الأول على أن الخطاب السياسي يجب أن يستحضر التواصل، والأوضاع السياسية، والمقام السياسي. فبكونه تواملا لغويا وغير لغوي، شفويا كان أو مكتوبا، أنتجته أوضاع سياسية معينة، ويلقيه فاعل سياسي، له علم بالإيديولوجيات السياسية، في فضاء سياسي معين، راميا من خلاله إلى ممارسة أفعال سياسية معينة¹⁵. وهذا التعريف ينطبق على خطاب الملك الحسن الثاني الذي أنتجته الأوضاع السياسية في المغرب، وألقاه فاعل سياسي، بوصفه ملك المغرب وممثلا للإيديولوجية الملكية، وسنسى في هذا المطلب إلى تحليل الخطبة تحليلا نقديا، مبتدئين بعرض مكثف لشروط إنتاجها التاريخية والسياسية، ومنقلين إلى دراستها دراسة لسانية نقدية، باعتماد مقولات اللسانيين النقيدين، ومقولات "فان ديك"¹⁶ لتحليل الخطاب الإيديولوجي. ونشير إلى أننا لا نستعمل مفهوم السياق، كما هو محدد في نظرية "فان

¹⁵ سعيد بكار، الخطاب السياسي لأوباما في ضوء التحليل النقدي للخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، أكادير، 2016، ص 469.

¹⁶ تركز نظرية فان ديك عن الإيديولوجيا على أربع افتراضات: أولا: الإيديولوجيا نوع من الأفكار، أي "نظم اعتقاد". وهذا يدل على أنها لا تتضمن، بحد ذاتها، الممارسات الإيديولوجية أو البنيات المجتمعية (كالكنائس أو الأحزاب السياسية) المؤسسة عليهم. كما يدل أيضا على أن نظرية الإيديولوجيا تحتاج إلى مكون معرفي الذي بإمكانه، أن يبين تصورات "الاعتقاد" و"نظم الاعتقاد". ثانيا: لا وجود لإيديولوجيات شخصية وخاصة، وينجم عن هذا أن نظم الاعتقاد مشتركة اجتماعيا. ثالثا: الإيديولوجيات ليست مثل غيرها من المعتقدات المشتركة اجتماعيا مثل المعرفة السوسيوثقافية أو المواقف الاجتماعية، لكن أكثر جوهرية أو بدهية. إذ إن الناس ينظمون معتقدات اجتماعية أخرى ويتحكمون فيها. رابعا: الإيديولوجيات تُكتسب وتغيير عبر الحياة أو في فترة زمنية محددة. فهي تحتاج إلى أن تكون ثابتة نسبيا. وكما بإمكان الإيديولوجيا التطور، فبإمكانها أيضا التحلل تدريجيا، فمثلا عندما يفقد الأعضاء إيمانهم بقضية ويتركون المجموعة التي ينتمون إليها. ويشير فان ديك أيضا إلى أن هذه الإيديولوجيات يمكن أن تصبح جزءا من المواقف المقبولة لجماعة برمتها، وتصبح بذلك أرضية مشتركة. أنظر: سعيد بكار، الخطاب السياسي لأوباما في ضوء التحليل النقدي للخطاب، مرجع سابق، ص 467.

ديك" أي السياق المعرفي¹⁷، وإنما نستعمل السياق بالمعنى العام؛ أي الشروط التاريخية والأوضاع السياسية المنتجة لهذه الخطبة (الخطابات).

الفرع الأول: السياق السياسي لخطاب الحسن الثاني

عرف الخطاب الهوياتي للملك الحسن الثاني محطتين، الأولى في بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي في ظل التطور الذي عرفه الصراع في الجزائر بين الحركة الأمازيغية والنظام السياسي، هي محطة يمكن وصفها بأنها تنكرت للمكون الأمازيغي، والثانية في أواسط التسعينات بمناسبة اعتقال بعض نشطاء الحركة الأمازيغية في الراشدية وتفاعلات المسألة الأمازيغية في الجزائر وتأثيراتها على الساحة الوطنية، وهي محطة يمكن وصفها بالمتقدمة نسبيًا لأنها اعترفت بالمكون الثقافي الأمازيغي دون أن تمنحه مكانة رسمية داخل مؤسسات الدولة.

حيث تم في 1 ماي 1994م اعتقال سبعة نشطاء من جمعية (تيللي؛ الحرية) في كلميم، لتظاهرهم بلافتة مكتوبة بحروف (تيفيناغ) ولمطالبتهم بتعليم البربرية. ومثلوا أمام مجلس الراشدية الذي أصدرت حكما قاسيا بحقهم، ثم عفي عنهم فيما بعد. بيد أن المسؤولين المغربيين لا يواجهون حركة اجتماعية انتقامية الطابع كذلك التي تشكلت عام 1980م عند الجار الجزائري إبان "الربيع البربري"، وعليه فسينكبون على التجاوب مع المطلب الأمازيغي في إطار مؤسساتي.

فبمناسبة الذكرى الـ41 "لثورة الملك والشعب"، يوم 20 غشت 1994م شرع الحسن الثاني في نوع من الانفتاح السياسي بإلقائه خطابا يمكن أن نصفه بالتاريخي، على الأقل من حيث الشكل، إذ يصرح بأن الأمازيغية جزء من ثقافة المغرب مؤكدا مجددا أن العربية هي التي توحد المغربيين، ويحمل المستعمر مسؤولية المحنة الهوياتية.

¹⁷ يرى فان ديك أن السياق أنموذج عرضي ذاتي لتجارب المشتركين في تفاعل ما، يفسر ويحين ديناميكيا أثناء التفاعل.

وأضفى بذلك الشرعية على المطالب الأمازيغي واقترح إدخال اللهجات الأمازيغية في التعليم الابتدائي فكان هدفه تهدئة الوضع ثم تمكين بروز تيار ينافس الحركة الإسلامية، مع ذلك فإن خطاب الملك الانفتاحي لم يمنع اعتقال المناضلين ولا بإدخال الأمازيغية في التعليم أي أثر¹⁸.

وقال الحسن الثاني إنه في أيامنا هذه تبين أن "اللهجات ضرورية، لماذا ضرورية؟ لأنه للأسف الغرب غزانا حتى في عقر دارنا، ففي أسرة من أصل ثلاث على الأقل تمزج العربية والفرنسية، ويتم الحديث في آن واحد باللغتين العربية والإسبانية، حتى إن اللغة أصبحت في أسرنا نوعا من (الإسبرانتو) الذي لا يفهمه إلا أعضاء الأسر المعنية". إذا كان على مزيج لغوي أن يسود، وهو بالمرّة أمر مستحب، فليكن مزيجا "العربية ولهجاتنا". وبالتالي فالملك يقترح تأطير "اللهجات" والنهوض بها قائلا إنه في الوقت الذي شرعنا فيه في الاشتغال والتفكير وطنيا في التعليم والتكوين الجامعي، يتعين الدعوة إلى إدخال اللهجات في البرامج التعليمية باعتبارها أسهمت إلى جانب العربية اللغة الأم التي نزل بها القرآن في صياغة تاريخ المغرب وأمجاده.

ونجد أن بداية تجسيد الالتفات إلى الأمازيغية كانت عام 1995م حين بدأ التلفزيون المغربي بث أول النشرات الإخبارية بالأمازيغية. وبايعاز من (حسن أوريد) وهو (أحد مستشاري الملك الذي درس بالمدرسة المولوية مع الذي سيصبح عاهل المغرب فيما بعد محمد السادس)، اعترف الحسن الثاني بالأمازيغية لغة وطنية عام 1996م مع التأكيد من جديد على أن الغلبة للعربية. بيد أن المطالب الذي تحمله الجمعيات المغربية المنضوية تحت لواء المجلس الوطني للتنسيق والقاضي بالاعتراف باللغة

¹⁸ مرغريت رولاند، ترجمة حميدة حمومي، "الحركة الأمازيغية في المغرب: دفاع عن هوية ثقافية، مطالبة بحق

الأقليات أم بديل سياسي؟"، مجلة إنسانيات، العدد 8، أوت 1999، ص 36.

الأمازيغية في نفس مقام الأبعاد الأخرى للهوية المغربية، أي الإسلام واللغة العربية، لم يجد بعد تجسيدا رسميا له في الدستور.

وكان لبعض الشخصيات الدور الكبير في دفع المطلب الأمازيغي قدما. ومن أبرزها (محمد شفيق) -وهو شخصية أمازيغية قريبة من الملك ومؤلف معجم (عربي بربري) صدر عام 1989 وكان ذا أهمية تاريخية في المغرب- الذي سوف يزود المخزن بالدعم الأيديولوجية التي ستساعده في التعامل مع الحركة الأمازيغية. وقد عكف شفيق على تحرير بيان من أجل اعتراف رسمي بالأمازيغية في المغرب وفر حجة قوية من حيث المضمون لإصلاح لغوي وثقافي. هذا "البيان الأمازيغي" الذي صدر في مارس 2000م ستوقع عليه أكثر من 200 شخصية من مختلف الأطياف. ونجد فيه المطالبة بعدالة اجتماعية أكبر وبتمثيلية منصفة داخل الدولة وبالفصل بين الدين والدولة أيضا. ويقول شفيق في هذا البيان "لقد غبنت تيموزغا (أي الأمازيغية) حقها في أكثر من مجال: في عهد الاستعمار لأن مشاداتها وإياه لم تنته إلا بعد ما دحر، وفي عهد الاستقلال لأن القوى السياسية المتكثرة لها هي التي احتكرت الوسائل المادية والمعنوية الضرورية لاتخاذ القرارات". ويطالب بضرورة الإقرار بالأمازيغية ويصر على أن البربر "لن يتخلوا عن أمازيغيتهم ولن يهدأ لهم بال ما لم يتخل عن التتكر لأمازيغية وطنهم: وسيكون من حقهم التتكر لعروبته إن استمر العناد في التتكر لبربريته". كما يطالب الموقعون على البيان أيضا بأن يعترف بالأمازيغية لغة وطنية رسمية في الدستور وبأن تسن الحكومة قوانين تجعل تعليم البربرية إجباريا في المدارس والجامعات¹⁹.

أولا: المحطة الأولى

¹⁹ ديدي لسوات، قراءة في الخطاب الأمازيغي المغربي، تصفح بتاريخ 12-06-2020 على الموقع:

جاء هذا الخطاب في سياق مطبوع بالتوتر الحاد الذي شهده أمازيغ الجزائر ضد حكم الرئيس الشاذلي بن جديد، حيث دعا من خلال خطاب ذكرى ثورة الملك والشعب، إلى رد الاعتبار إلى الأمازيغية بإدخالها في المنظومتين التعليمية والإعلامية، وكان هدفه أولاً تهدئة الوضع، ثم تمكين بروز تيار ينافس الحركة الإسلامية، ومع ذلك فإن خطاب الملك الانفتاحي لم يمنع اعتقال المناضلين ولا الحظر الذي ضرب التجمعات الثقافية²⁰. وقد تحكمت في إنتاجه عوامل تداخل فيها الذاتي بالموضوعي نذكر منها:

- محاولة استبعاد حدوث الصراع الذي عرفته الجزائر.
- التأكيد على كون الأمازيغ ينتمون إلى اليمن، يخفي السقوط في واقع تحكم فيه "أقلية عربية" "أغلبية أمازيغية"، وبالتالي إعطاء شرعية لموقعه على اعتبار أنه ينتمي إلى السلالة النبوية.
- طبيعة الظرفية السياسية إقليمياً وعربياً والتي لم تكن تسمح ب بروز ثقافة الاختلاف والتعدد، كما أن خطاب الحقوق الثقافية واللغوية لم يكن حينها يتصدر اهتمام الحركة الحقوقية العالمية كما هو حاصل اليوم.
- التوجه (المشريقي) للملك الحسن الثاني خاصة على المستوى الديني وكذا العلاقات الوطيدة التي تجمعها بأنظمة الخليج العربي فهذا التوجه لم يكن يسمح له بالاعتراف بالمكون الأمازيغي.
- محدودية تأثير الجمعيات الثقافية الأمازيغية، ذلك أن الحركة الأمازيغية لم تكن قد تشكلت بالشكل الذي يجعلها تضغط على (نظام الحسن الثاني) للاستجابة لمطالبها²¹.

²⁰ مرغريت رولاند، ترجمة: حميدة حمومي، "الحركة الأمازيغية في المغرب: دفاع عن هوية ثقافية، مطالبة بحق الأقليات أم بديل سياسي؟"، مرجع سابق، ص 37.

²¹ مصطفى عنتر، تأملات في خطاب الهوية عند النظام السياسي والجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط1، المغرب، 2007، ص36.

ثانيا: المحطة الثانية

- تعد هذه المحطة متقدمة نسبيا مقارنة مع الأولى نظرا لطبيعة المتغيرات الوطنية والدولية التي شهدتها عقد التسعينات، ويمكن إجمالها في:
- أحداث (كلميمة) إثر إقدام بعض النشطاء داخل الحركة الأمازيغية على رفع شعارات بالأمازيغية بمناسبة تظاهرة الفاتح ماي، وما خلقت من تداعيات داخليا وخارجيا، حيث عم الغضب العديد من الأوساط الأمازيغية.
 - دخول الحركة الأمازيغية مرحلة التنظيم والمطالبة بترسيم مطالبها خاصة بعد (ميثاق أكادير) المتعلق بالحقوق الثقافية واللغوية.
 - بداية انفتاح النظام السياسي على شركائه خاصة وأنه كانت هناك مبادرة إشراك المعارضة السابقة (أحزاب الكتلة الديمقراطية) في الحكومة.
 - رياح الانفتاح الذي عرفه العالم بعد انهيار جدار برلين وتفكك الكتلة الشرقية و بروز قوميات كما هو الحال بالنسبة للاتحاد السوفياتي.

الفرع الثاني: التحليل النقدي لخطاب الأمازيغية في ذكرى ثورة الملك والشعب

يرى "ويدووسون" أن التحليل النقدي للخطاب هو إمطة اللثام عن الإيديولوجيات والانحيازات الضمنية في النصوص، ومن ثم ممارسة السلطة فيها. إنه محاولة جادة لتحليل العلاقة بين اللغة والإيديولوجية والمجتمع تحليلا نقديا وبقول لوك "يتضمن التحليل النقدي للخطاب مناورة بدئية وشفافة، جيئة وذهابا، بين: التحليل الميكرو للنصوص باستعمال أدوات متنوعة: لسانية وسيميائية وأدبية. والتحليل الماكرو للتشكيلات الاجتماعية والمؤسسات وعلاقات السلطة التي تشير إليها هذه وتكونها".

وغاية هذا الأمر تجسير الهوة بين المقاربات الماكرو والميكرو للنصوص، أي بين المقاربات الإيديولوجية والاجتماعية وبين المقاربات اللسانية والنسقية. وسننتقل في التحليل من الخاص إلى العام؛ أي من التحليل اللساني (المفردات والجمل)، فالتحليل

التداولي (الضمائر والأفعال الكلامية)، ثم التحليل المعرفي (الاستعارة ودورها في انسجام الخطاب). وبعبارة أخرى، نحلل هذه الخطبة (الخطب) باعتبارها تمثل ثلاث وظائف: وظيفة فكرية، ووظيفة شخصية، ووظيفة نصية. وخلال هذا التحليل اللساني النقدي، سنستعين بمقولات "فان ديك" لتبين هذه الاختلافات الإيديولوجية، وإغناء المقاربة النقدية لخطبة (خطابات) الحسن الثاني السياسية.

أولاً: التحليل المعجمي لخطاب (الحسن الثاني إلى الأمة بمناسبة ثورة الملك والشعب (1994)

نقصد بالتحليل المعجمي، دراسة المفردات المتكررة في الخطبة السياسية، وكذا الأوصاف التي أسندها إلى الفاعلين السياسيين، والمفردات التي عبر بها عن صفات معينة، يُعبر عنها عادة بطرائق مختلفة. ونبدأ بدراسة الكلمات الأكثر اطرادا في خطبة الحسن الثاني، فالأوصاف التي أسندت إلى الفاعلين السياسيين.

1. الاطرادات المعجمية

المفردات	عدد تواترها
التاريخ	23 مرة
اللهجات	18 مرة
المغاربة	8 مرات
المغرب، الوطن	(المجموع: 13 مرة)؛ 8 مرات (المغرب)، 5 مرات (الوطن)
العربية	11 مرة

إن المصطلحات هي الأساس الصلب لدراسة أي خطاب ولاسيما إن كان خطابا سياسيا، إذ تعمل المصطلحات على نقل المحتوى الذي يود الخطيب إيصاله إلى أذهان قائله. ولهذا "يجب على المحلل النقدي أن يشير في الخطاب الذي يدرسه إلى

المصطلحات التي تتكرر عادة، وكذلك المصطلحات المترابطة التي تدل على أنواع مختلفة من الاشتغالات والمواضيع".

إذ يركز الحسن الثاني في خطبته على الجانب التاريخي للدولة حيث أحصينا 23 مرة من تكرارات الكلمة ضمن خطاب ثورة الملك والشعب وهو أكبر عدد من التكرارات إذ يقول "...هناك شعوب ليست تاريخية، أما شعبنا والله الحمد، فهو تاريخي، لأنه تاريخه قديم، ولأنه يمارس تاريخه، ولأن ممارسته لتاريخه أدت به إلى أن يصنع تاريخه...". أما للفظ الثاني الذي تم ترده للدلالة على مضمون المعنى الهوياتي وكان يقصد به الأمازيغية ضمناً وهو اللهجات فنجد عدد تكراراتها 18 مرة ضمن الخطاب؛ وقد تنقل الملك في خطابه بعد الحديث عن تاريخ المغرب وفترة الحماية ومجمل الأحداث والمعارك والانتفاضات إلى ضرورة الاتحاد وربط التاريخ بعدم التشتت لأجل الجهة أو اللهجة حيث قال "...فهذه العقود والقرون التاريخية هل تميزت بها -شعبي العزيز- جهة من جهات المغرب دون أخرى. فهل كانت الأسود في الشمال دون الجنوب والغرب والشرق، وهل كانت الليوث في الجنوب دون الشرق والغرب والشمال. وهل كان المجاهد ينحصر في غرب المغرب. وهل كان المضحى بنفسه لا يوجد إلا بشرقه؟ لا. لقد كان المغاربة دائماً أينما كانوا وأينما وجدوا جندياً واحداً وضابط صف واحد كيفما كانت نوعياتهم وجهاتهم ولهجاتهم..."; يركز الحسن الثاني على تبني لفظ اللهجات كمعنى للأمازيغية ويربطها بالدارجة المغربية التي أصبحت مزيج من عدة لغات ويفضل اللهجة الأمازيغية كما وصفها بتأريفيته أو تأمزيغت أو تأشليحية عن المزيج بالفرنسية والدارجة أو الدارجة والاسبانية. إذ كانت رؤية فريدة من نوعها للحسن الثاني استشعرت خطر الغزو الفكري واللغوي، الذي ما ينفك المجتمع المغربي يتعرض له "...إن اللهجات شعبي العزيز أصبحت اليوم ضرورية لأن الغرب مع الأسف غزانا حتى في بيوتنا. فلا يوجد بيت من أصل ثلاث بيوت، إن لم يكن أكثر مع الأسف إلا وتسمع فيه خليطاً بين

العربية والفرنسية أو خليطا بين العربية والإسبانية حتى أصبحت لغات بيتنا نوعا من "الاسبرانتو" لا يفهمه إلا من يسكنه. فإذا كان الخلط واجبا، فالخلط واجب ومستحب وضروري بين العربية ولهجاتها. فأن أسمع طفلا مغربيا بين العربية والدارجة، أو الفصحى، وبين تاريفيت أو تامزيغت أو تاشلحيت أفضل وأشرف بالنسبة لي، وأكثر مناعة بالنسبة للمستقبل من أن أسمع طفلا يتخاطب مع والديه خالطا بين العربية والفرنسية، أو بين العربية والإسبانية. وإذا بقيت الأمور على هذا المنوال، سنزيد حتى الإنجليزية".

وقد رأى الحسن الثاني أن إدخال اللهجات الأمازيغية في منظومة التعليم المغربي يعتبر أنجع آلية لتجاوز الغزو الثقافي الأجنبي وتجنب الخلط اللغوي الهجين. "...لذلك يجب ونحن نفكر في التعليم وبرامج التعليم أن ندخل تعليم اللهجات، علما منا أن تلك اللهجات قد شاركت اللغة الأم، ألا وهي لغة الضاد ولغة كتاب الله سبحانه وتعالى، ولغة القرآن الكريم في فعل تاريخنا وأمجادنا".

إن مشروع التعليم الذي تبناه خطاب 20 غشت 1994م ودعى إليه، ظل لمدة طويلة مجرد حبر على ورق، إلى أن جاء عهد الملك محمد السادس الذي نهج أسلوبا مغايرا لأبيه في التعامل مع الأمازيغية، حيث أدخل في التعليم المغربي بشكل تجريبي وانشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وغيرها.

فضلا عن ذلك فإن مبادرة الحسن الثاني تخطت ما هو تعليمي إلى ما هو إعلامي، حيث أسفرت عن ظهور ما أطلق عليه نشرة اللهجات الأمازيغية الثلاث التي هي: الريفية والشلحية والسوسية. لتعتبر بذلك الشيء الوحيد الذي وعد به الحسن الثاني في خطابه؛ ويتضح من أن مشروع نشرة اللهجات مبني على الانتقاء والاحتواء، لأن مصطلح اللهجة من حيث استعماله في الصحافة المغربية، يوحى بالانتقيص، وإن كان على المستوى العلمي واللساني يعني غير ذلك، فكأن إطلاق الخطاب الملكي تسمية

اللهجات على اللغة واللغات الأمازيغية، ثم تسمية الأخبار التي تقدم بالأمازيغية نشره اللهجات، ما هو إلا تكريس لمبدأ التصغير والنظرة السلبية لها²².

2. الأوصاف المسندة إلى المشاركين؛ يرى "فولر وكريس" أن "الصفات قدرة كبيرة على الكشف". وسنقف عند هذه الصفات بتوسل مفهوم المبالغة في المعجمة (Overlexicalization)، التي تكمن أهميته في الإشارة إلى مناطق الاهتمام والقلق في تجربة مجموعة ما وقيمها التي تنتجها، وهو ما يسمح للمحل اللساني بتحديد الصفات المميزة للإيديولوجيا المجموعة ونسوق بعض الصفات التي أسندها الحسن الثاني للفاعلين في الجدول الآتي:

الأوصاف التي وصف بها الفاعلون في الخطاب

المغاربة	الغرب
أسود، الليوث، المجاهد، المضحي، جنديا، قائدا، ضابط صف، عبقرى، أصالة	الغزو، المستعمر

ونسوق ملاحظتين على هذا الجدول:

الملاحظة الأولى: إن الصفات المستعملة في وصف المغاربة يحددها مبدأ الانتماء للوطن والتميز في الصفات والتضحية...

الملاحظة الثانية: ترتبط الصفات التي أسندت إلى الغرب بالرفض والكره...

ثانيا: النحو الصيغي، الوظيفة البيشخصية

²² التيجاني بولعوالي، رهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة، أفريقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء،

يشمل النحو الصيغي وفق "فولر وكريس" البناءات اللسانية التي يمكن تسميتها بالتداولية والبيشخصية، وهي تعبر عن موقف المتحدثين والكتاب من أنفسهم ومن مخاطبيهم ومن الموضوع الذين يتحدثون عنه، وعن علاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية مع الناس الذين يخاطبونهم، والأفعال التي يقومون بها عبر اللغة (الأمر، أو الاتهام، أو الوعد، أو المناشدة). وسنبدأ، أولاً باستعمال الضمائر في الخطبة، لننتهي بالأفعال الكلامية التي حققها الحسن الثاني.

1. استعمال الضمائر؛ يرى "فولر وكريس" أن الضمائر تستحق دائماً أن نوليها اهتماماً في الخطاب، وسنتوقف باستعمال ضميري أنا ونحن، في خطبة الحسن الثاني، ونرى دلالة استعمالهما، ونسوق في الجدول الآتي ترددات هذين الضميرين:

الضمير	أنا	نحن
عدد تردده	12 مرة	13 مرة

كما هو موضح في الجدول، فقد كان ضمير نحن أكبر بنسبة قليلة مقارنة باستعمال ضمير أنا؛ وحققتنا في مجمل خطابات الملكية يستخدم الحسن الثاني الضمير نحن كمعنى ضمني بالاندماج بين شخص الملك والشعب ووحدة المصير والهدف، ومع هذا يبقى استخدام الضمير أنا موجود بكثرة أو يتساوى مع الضمير نحن وهذا يرجع أيضاً إلى تمجيد صفة الملك وأهمية القرارات والتحليلات التي يقوم بها للوصول إلى نتيجة مقبولة وحتى غير قابلة للنقاش، وفي الفقرة المهمة الأساسية ضمن الخطاب يربط أو يصف الملك ارتباط اللغة العربية بالأمازيغية أو كما وصفها باللهجات تاريفيت أو تامزيغت أو تاشليحت بالشرف فيقول "...فأن اسمع طفلاً مغربياً يخلط بين العربية الدارجة، أو الفصحى، وبين تاريفيت أو تامزيغت أو تاشليحت أفضل وأشرف بالنسبة لي، وأكثر مناعة بالنسبة للمستقبل من أسمع طفلاً يتخاطب مع والديه خالطاً بين العربية والفرنسية أو بين العربية والإسبانية".

2. الأفعال الكلامية؛ يرى "فولر وكريس" أن الأفعال الكلامية ميدان تظهر فيه البيشخصية بشكل لافت للانتباه، بالفعل الكلامي، بجانب إيصاله لمحتوى ما (أفكار، ومعلومات، واقتراحات)، يشكل فعلا ينجزه المتحدث في علاقته بمخاطبه. ويرى أن الأفعال الكلامية في الخطاب غالبا ما تكون غير صحيحة. ومن ثم تتخذ أشكالا لسانية مختلفة وغير مباشرة، تعتمد بالأساس على الأفعال المساعدة، من قبيل: يجب، وينبغي، ويبدو، وأظن، وغيرها من الأفعال التي تبرز هذه المعاني الاجتماعية، التي تحدد مواقف المتحدثين حول مخاطبيهم وحول أنفسهم، وما يسعون إليه²³. وبقراءتنا لخطبة الحسن الثاني توقفنا عند الاستعمالات الآتية للأفعال المساعدة، التي تتجزأ أفعالاً كلامية:

الأفعال المساعدة	يجب	يستطيع	ينبغي	لم يجد	لا يمكن
عدد تكراراتها	7 مرات	/ /	/ /	2 مرة	5 مرات

تكررت عبارة (يجب)، كما هو موضح في الجدول، سبعة مرات خلال الخطبة بأكملها، وتعني هذه العبارة شيء ضروري يجب أن يحدث في الحاضر أو المستقبل (موسوعة كامبردج). ويرى (فاولر وكريس) أن الفعل المساعد (يجب) يملك بنية عميقة مفادها (أنا أمرك وأنت تقوم بفعل شيء ما)²⁴. وأن هذه البنية تُظهر علاقات السلطة المتميزة بين المتحدث والمخاطب. خلافاً لبينتها السطحية، التي تبدو محايدة؛ حيث يكون مصدر السلطة فيها غير واضح؛ هل هو المتحدث أم الجمهور أم الحس العام؟ مشيرين على أن ما تنجزه (يجب)، قد اقترن بضمير (نحن)، مما يجعل علاقات السلطة تكاد تختفي لتدل على حس عام يعبر عنه. ومن ثم نسق فكري يجب الدفاع عنه وتحقيقه، مادام شيئاً يجب القيام به في أقرب وقت.

²³ سعيد بكار، الخطاب السياسي لأوباما في ضوء التحليل النقدي للخطاب، مرجع سابق، ص 486.

²⁴ نفس المرجع.

وإذا كان الفعل المساعد (يجب)، يوحي بنوع من ممارسة السلطة، من حيث ضرورة القيام بما هو ضروري، فإن الفعلين المساعدین (ينبغي ويستطيع)، تنقص فيهما حدة الطلب وهو ما منعدمين في هذا الخطاب لطبيعة شخص الملك وتملكه سلطة القرار الغير قابل للتنازل أو النقاش ويحمل صفة الأمر، وهما يرتبطان بالأفعال (لم يجد ولا يمكن) حيث صفة الجزم بعدم القبول لتوجهات محددة وضرورة التطبيق ما هو مقترح من شخص الملك.

ثالثا: انسجام الخطاب ونظامه ووحدته: الوظيفة النصية

يرى "فولر وكريس" أنه لبناء خطاب منسجم ينجز الكاتب أو المتحدث تصوره للنظام الداخلي للمواد التي يقدمها، لأنه يظهر ترابط الأحداث وتتابعها المتتالي وأهميتها في بناء الخطاب بأكمله، وسنقف عند هذا التصور الناظم لأجزاء الخطبة، بعد أن نقدّم تصميمًا له، ينتبع الموضوعات التي تناولها الحسن الثاني في خطبته.

1. تصميم خطبة الحسن الثاني؛ يمكن تكثيف خطة الحسن الثاني في النقاط الآتية:

- تحديد الحسن الثاني للموضع الذي يود الحديث عنه "اللهجات" الأمازيغية"
- ذكر سبب موضوع الخطاب وسببه أي خلفيات الخطاب الملكي الموجه إلى الأمة بمناسبة ثورة الملك والشعب والذي يقوم في قالب التاريخ المغربي وتاريخ النضال لأجل الحرية والاستقلال.
- حديث الحسن الثاني عن إنجازات الشعب المغربي ومختلف الثورات والانتفاضات ضد الاستعمار (معركة لهري سنة 1914م، ثم بعدها سنة 1921م كانت معركة أنوال، وفي 1934م معركة بوغافر...).
- ثم الحديث عن أهم المعارك السياسية التي تم تحقيقها (بداية بظهور الحركة الوطنية 1930م، 1944م كانت وثيقة الاستقلال وفي 1953م كان منفي محمد الخامس).

- بعد ذلك يربط الحسن الثاني في خطابه من الإنجازات التاريخية للملك والشعب ضد الاستعمار إلى سبب نجاح كل ذلك والمتمثل في تلاحم وترايط واتحاد المغاربة من الشرق والغرب الشمال والجنوب وأنهم كانوا جسداً وجندياً واحداً كيفما كانت نوعياتهم وجهاتهم ولهجاتهم.
 - ينتقل الحسن الثاني بربط الاتحاد الشعبي أثناء فترة المقاومة باللغات والتي يعني بها الأمازيغ ويشكر الله على نعمة التنوع في المغرب؛ مع ضرورة دمج اللغة العربية مع صياغة لفظ اللغات ويصفا بلغة القرآن ولا مجال لنقدها أو المساس بها.
 - يؤكد الحسن الثاني بعد ذلك عن ضرورة اللغات لأن الغرب قد غزا بيوت المغاربة ويتأسف لذلك ويصف ذلك الخلط بين الدارجة المغربية والفرنسية والإسبانية بنوع من (الاسبرانتو) لا يفهمه إلا من يسكن ذاك البيت.
 - ينقل الحسن الثاني في خطابه إلى وجوب التفكير في التعليم وإدماج اللغات في التعليم.
 - يعود ويذكر بالنظام السياسي للمغرب أي الملكية الدستورية ودينها الإسلام ولغتها العربية التي لا تصح أن تكون مسلماً دون تعلمها.
 - في نهاية الخطاب يعود الملك بتذكير خصوصية الخطاب ومكانته وتاريخه ويحث الشغل على التمسك والحفاظ على أصالته ودينه ولغته العربية وتقاليدته في كل مكان بالمغرب الشمال والجنوب الشرق والغرب، والمحافظة على لهجته وطبخه وهندسته وأدبه وشعره ونصره. وأن المغرب بحاجة إلى شعبه وكما وصفه بأسده وجنوده.
 - وفي آخر فقرة من الخطاب يهنئ الشعب على الملحمة التاريخية لثورة الملك والشعب ويمهد لخطاب ومناسبة الملحمة الأخرى وهي ملحمة المسيرة الخضراء.
2. **الخطيب الناظم للخطبة؛ يرى "قولر وكريس" أن المفهوم الأساسي الناظم للخطاب، غالباً ما يكون وحدة أو قالباً لسانياً يُحدّد الأساس الإيديولوجي للخطاب نفسه، ويتأملنا تصميم الخطبة، نجد امتداداً لتعابير استعارية لها علاقة بالطريق، مما جعلنا نعتبر**

هذه التعابير الاستعارية تشكل سيناريوها استعاريا²⁵، عبره يمثل الحسن الثاني قضية الهوية والأمازيغية على أنها رحلة، رابطا إياها بمخطط صورة الطريق، التي تشكل بـ"نية معرفية مصغرة تتكون من نقطتين متباينتين، وطريق بين النقطتين، واتجاه للحركة من موقع لآخر"، كما تضم أيضا مسارات مختلفة، وطرقا مختصرة، وغيرها وبوفر هذا المخطط، بحسب (إيلينا سيمينو)، "طريقة لإنشاء الأهداف استعاريا كمحطات وصول، وطرق الوصول إلى الأهداف كحركة للأمام، والمشكلات كعوائق أمام الحركة، والنجاح أو الفشل كوصول أو فشل في الوصول لمحطة الوصول"²⁶. وبالتأمل أكثر في تصميم خطبة الحسن الثاني يلحظ تواتر²⁷ التعابير الدالة على استعارة الطريق (السعي، اتجاه جديد، تحولات، مسار، مسار واحد...)، وكل تعبير يربطه الحسن الثاني بموقف أو حادثة معينة، هادفا إلى الإقناع باختياراته ونواياه المستقبلية، وتصوره للأوضاع السياسية واللغوية داخل النسق المجتمعي المغربي. ونخلص من هذا الاستعمال المتواتر والمتكرر إلى:

²⁵ يعد السيناريو الاستعاري "تمثيلات ذهنية لمواقف وأماكن وكيانات وأغراض وأفعال محددة ترتبك بها"، أنظر: سعيد بكار، الخطاب السياسي لأوباما في ضوء التحليل النقدي للخطاب، في: قراءات في الخطاب السياسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، المغرب، ط1، 2016، ص 490.

²⁶ سعيد بكار، الخطاب السياسي لأوباما في ضوء التحليل النقدي للخطاب، مرجع سابق، ص 490.

²⁷ يعد التواتر ظاهرة استعارية تتضمن استخدام تعبيرات مختلفة فيما يتصل بنفس مجال المصدر الواسع في أجزاء مختلفة من نص معين؛ والمقصود هنا التعبيرات المختلفة التي استعملها الحسن الثاني للمجال المصدر، ليعبر بها عن رؤاه وتصوره للأوضاع السياسية في المغرب. وإضافة إلى التواتر يحضر تكرار بعض الصيغ الاستعارية للرحلة، وهذا النوع من التكرار يميل إلى أن يرتبط على نحو وثيق بموضوع النص وحقته، ويسهم في تماسكه المعنوي الداخلي، كما يؤدي المزج بين التكرار والتواتر إلى تشكيل (بلايل) تعبيرات استعارية مترابطة في النصوص أنظر: سعيد بكار، المرجع السابق.

أولاً: اقترح (شيلتون وشافنر) أن الخطب السياسية، غالباً ما حققت استعارة الرحلة بتشكيل سلسلة تسير عبر الخطبة بأكملها، مُسهمةً في تماسكها المعنوي. وهذا ما لاحظناه في هذه الخطبة أيضاً.

ثانياً: أسهمت الاستعارة أيضاً في إيصال موقف السلطة حول موضوع الأمازيغية جاعلة بذلك في هذه القضية طريقاً يحتاج مواصلة السير، لا إلى طرق مختصرة قد تؤدي إلى خسائر جسيمة.

ثالثاً: أتاحت استعارة الطريق للحسن الثاني الإقناع بأن الإصلاح والسعي إلى إدماج الأمازيغية في المسار اللغوي المغربي يحتاج إلى وقت أطول، وهو ما يمرر من خلاله ضمناً إلى أن هذا المسار يبقى مركز في جانبه الثقافي والفلكلوري دون سواه وهذا ما لاحظناه بعدم استخدام لفظ الأمازيغية مطلقاً واكتفى بتكرار لفظ اللهجة أو اللهجات.

المبحث الثالث: تحليل مضمون خطابات الملك محمد السادس

بمرور حوالي أكثر من عقدين على تولي الملك محمد السادس الحكم بالمملكة المغربية خلفا لوالده الحسن الثاني. يصعب بكل موضوعية وبالذقة المطلوبة الاحاطة الشاملة بجميع المواضيع والمواقف والقرارات السياسية والتنمية التي كان فيها الملك محمد السادس فاعلا رئيسيا سواء على الصعيد الوطني او الاقليمي او الدولي خلال عقدين من الزمن السياسي المتموج والمتغير بسرعة كثيرة وفائقة، زمن ملي بالأحداث السياسية الكبرى داخليا ودوليا، ولكن سنحاول قدر الامكان تناول موضوع عطاء الملك محمد السادس في مجال مخصوص وهو مجال الامازيغية بالمغرب.

المطلب الأول: نبذة عن حياة الملك محمد السادس

ازداد الملك محمد السادس يوم الاربعاء فاتح ربيع الثاني 1383 هـ الموافق ل 21 غشت 1963م بالرباط. وفي سن الرابعة ألحق له الحسن الثاني بالمدرسة القرآنية بالقصر الملكي. وحصل الملك محمد السادس يوم 28 يونيو 1973 على شهادة الدراسات الابتدائية وتابع دراسته الثانوية بالمدرسة المولوية حيث نال شهادة البكالوريا عام 1981م. وحصل أيضا سنة 1985 على شهادة الاجازة في الحقوق من كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط عن بحث حول موضوع الاتحاد العربي الافريقي واستراتيجية المملكة المغربية في ميدان العلاقات الدولية. وفي سنة 1987 تحصل على الشهادة الاولى للدارسات العليا في العلوم السياسية. وفي يونيو 1988 نال دبلوم الدراسات العليا لدكتوراه القانون العام. ومن أجل استكمال تكوينه والاحتكاك بتطبيق مبادئ وقواعد القانون الملقنة في الكلية أجرى في 1988 ببروكسيل تدريب لبضعة أشهر لدى (جاك دولور) رئيس لجنة المجموعات الاوروبية آنذاك. وفي 29 اكتوبر 1993م حصل من جامعة (نيس صوفيا أنتيبوليس) على شهادة الدكتوراه في

القانون وذلك عن أطروحة حول موضوع التعاون بين السوق الأوروبية المشتركة والمغرب العربي. وأصبح في 1979م رئيسا شرفيا للجمعية الاجتماعية والثقافية لحوض البحر الابيض المتوسط وفي 18 مارس 1982م عينه الحسن الثاني رئيسا للجنة المنظمة للألعاب التاسعة للبحر الابيض المتوسط التي جرت بالدار البيضاء، كما عينه الملك الحسن الثاني في 1985م منسقا عاما لمكاتب ومصالح الاركان العامة للقوات المسلحة الملكية. ورفي في 12 يوليوز 1994م الى رتبة (جنرال دوديفيزيون). ومنذ 1996م يتولى رئاسة الجمعية الملكية المغربية للحصان الركوب والرئاسة الشرفية لجمعية تافيلالت. وقد تولى الملك محمد السادس منذ شبابه مسؤوليات اذ كلفه والده الملك الحسن الثاني بمهام عديدة على الصعيد الوطني والعربي والاسلامي والافريقي والدولي لدى رؤساء دول شقيقة وصديقة. وهكذا شارك في العديد من المؤتمرات الدولية والاقليمية. وكانت أول مهمة رسمية خارج الوطن 1974م حيث مثل له الحسن الثاني في الحفل الديني الذي احتضنته كاتدرائية نوتر دام دو باري تخليدا لذكرى الرئيس الفرنسي (جورج بومبيدو).

وقد أصبح ملكا للمغرب في 23 يوليوز 1999م أثر وفاة الحسن الثاني. وقد تمت بالقصر الملكي بالرباط مراسم تقديم البيعة للملك محمد السادس. وفي 1999م أعطى تعليماته من أجل الاحتفال بعيد العرش في 30 يوليوز من كل سنة كما وجه أول خطاب للعرش أكد فيه السير على نهج والده الملك الحسن الثاني وايلاء أولوية خاصة لحل بعض المشاكل الاجتماعية. وينقل مهمة القائد الاعلى ورئيس أركان الحرب العامة للقوات المسلحة الملكية. أول زيارة قام بها الملك محمد السادس للخارج منذ اعتلاءه العرش تمت في الفترة ما بين 25 و 28 ديسمبر 1999م حيث قام بجولة زار خلالها كلا من المملكة العربية السعودية، دولة الامارات العربية المتحدة وتونس¹. لم تتغير

¹ <http://www.map.co.ma/mapara/lemaroc/biographieara.htm>

الاستراتيجية العامة للملك محمد السادس عن مكان يقدمه أبوه الحسن الثاني حيث حافظ وأكد على ثوابت النظام السياسي المغربي حيث يسير في أول خطاب له بعد اعتلائه العرش: "...إننا نحمد الله على أسس سياستنا الداخلية بارزة المعالم وضاحة السمات وأن المطلوب هو ترسيخها ودعمها، لذا فنحن متشبثون أعظم ما يكون التشبث بنظام الملكية الدستورية والتعددية الحزبية والليبرالية الاقتصادية وسياسة الجهوية واللامركزية وإقامة دولة الحق والقانون وصيانة حقوق الإنسان والحريات الفردية والجماعية وصون الأمن وترسيخ الاستقرار للجميع، وبالنسبة للمؤسسات الدستورية فإننا سنقوم بدور الموجه المرشد والناصح الأمين والحكم الذي يعلو فوق كل انتماء. إن جميع المغاربة بالنسبة إلينا إخوة من رحم واحدة وأبناء بررة متساوون تشدهم إلينا روابط التعلق والولاء"².

المطلب الثاني: تحليل مضمون خطابات الملك محمد السادس

الفرع الأول: المسألة الأمازيغية في الخطاب الملكي لمحمد السادس

عرفت المسألة الهوياتية في مرحلة محمد السادس تقدما من حيث الاعتراف بالمكون الأمازيغي وتحديد مفهوم جديد للهوية. ويمكن تحديد العوامل التي ساهمت في إبراز هذا التقدم فيما يلي:

➤ تصاعد الحركة الاحتجاجية عموما والحركة الأمازيغية على وجه الخصوص خاصة بعد عزم هذه الحركة تنظيم مسيرة (تاوادا) ضدا على ما جاء في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وأيضا بعد صدور (البيان الأمازيغي) لصاحبه محمد شفيق الذي أعطى دفعة قوية للمطالب الأمازيغية.

² محمد زين الدين، الفكر الدستوري والسياسي لجلالة الملك الحسن الثاني مقارنة دستورية سياسية، مرجع سابق،

➤ حاجة الملك إلى شرعية جديدة غير الشرعية المكتسبة التي ورثها عن أبيه، خاصة في ظل مرحلة الاستخلاف شديدة الحساسية والدقة.

➤ تنامي الوعي الوطني بالمسألة الأمازيغية كمكون أساسي في الهوية الثقافية.

➤ سيادة خطاب الحقوق الثقافية واللغوية ودعوة المنتظم الدولي العديد من البلدان إلى الاعتراف بالأقليات ومأسسة التعددية وتدبيرها وفق آليات ديمقراطية.

➤ التقدم الذي عرفته المسألة الأمازيغية بالجزائر.

➤ الضغط الذي مارسته الحركة الحقوقية الدولية على المغرب، من أجل الاعتراف بالمطالب الأمازيغية المشروعة وإدماجها داخل الحياة العامة.

وهكذا سارع محمد السادس إلى الاعتراف على المكون الأمازيغي كمكون أساسي في الهوية الثقافية المغربية، وهو مفهوم يندرج ضمن المفاهيم الجديدة للحكم التي حاول أن يجعلها عنوانا لمشروعه الديمقراطي التنموي الحدائي.

هذا المفهوم القائم على قيم التعددية، والاختلاف، والتعايش والوحدة، حيث أكد أن الهوية المغربية هي: أمازيغية، عربية، أندلسية متفاعلة مع الحضارات والثقافات المتوسطة، وهنا نتساءل هل هذا الترتيب جاء اعتباطيا أم أنه ينم عن وجود وعي بعراقلة المكون الأمازيغي مقارنة مع باقي المكونات المشكلة للهوية أو أن السياق الذي داء فيه هذا المفهوم تميز بالاعتراف السياسي بالثقافة الأمازيغية أو أن هذه الإشارة طانت موجهة إلى بلدان المشرق العربي خاصة غزو (الأفكار الوهابية) لبعض الفضاءات الدينية بالمملكة المغربية؟

فالملك محمد السادس لم يجعل الإسلام ضمن مكونات الهوية كما هو الحال بالنسبة لوأده، إذ جعله يسمو على باقي المكونات الأخرى المشكلة للهوية خاصة وأن الأمازيغ تميزوا طوال التاريخ باعتناقهم الدين الإسلامي الذي دافعوا عنه ولعبوا دورا في نشره في مختلف بقاع العالم، وأيضا تشبثهم بالملكية، و(أكليد) الذي يعد مقدسا في

ثقافتهم على اعتبار أنهم عاشوا زمن ليس بالقصير في ظل ممالك حكمت منطقة شمال إفريقيا، إضافة إلى دفاعهم عن اللغة العربية التي كان الغرض من وراء تعلمها فهم الدين الإسلامي باعتباره خاتم الأديان³.

الفرع الثاني: التحليل الكمي والكيفي لنصوص الخطابات الملكية

سنقوم بتحليل مجموع خطابات الملك محمد السادس منذ اعتلائه العرش وخاصة أهم الخطابات المرتبطة بالمحطات الأساسية للمملكة، وسنعمد في هذا التحليل الكمي الذي يتناول منهج إحصاء المفردات وهو بذلك يسمح بإجراء مسح أولي للنص باستخراج قائمة محددة من مفردات الخطاب وسياقه، وبالتالي يصلح كمقاربة علمية. أما المنهج الكيفي فهو يتعلق بمنهج التحليل الغرضي ويقوم على الاستشهاد الحرفي بالنصوص لمصادر الخطاب السياسي قيد التحليل.

أولاً: التحليل الكمي (إحصاء المفردات): ويوضح ذلك في الجدول رقم (5)

جدول رقم (5)

التحليل الكمي لنص الخطاب الملكي الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش

30 يوليو 2000

(أنظر الملحق رقم 02)

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	15	32%
02	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	6	13%
03	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	/	/

³ مصطفى عنتر، تأملات في خطاب الهوية عند النظام السياسي والجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، مرجع سابق، ص 38-39.

04	الإنجازات المحققة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية)	7	15%
05	البرامج المسطرة والمستقبلية	19	40%
	اجمالي التكرارات	47	100%

التحليل الكيفي (التحليل الغرضي):

كما رأينا من خلال التحليل الكمي (طريقة إحصاء المفردات) وذلك باختيار أهم المؤشرات الأساسية في الخطاب مع تضمين والتركيز على الجانب الهوياتي ومنها الأمازيغي حيث تم تقسيم المفردات التي تركز عن ذكر الهوية بدون ذكر الأمازيغية وبذكر الأمازيغية في الخطاب، مع اختيار بعض المؤشرات الأخرى التي جاءت ضمن السياق والظروف التي تكونت فيها الخطاب كالنظام السياسي (الملكية الدستورية) وكذا الإنجازات المحققة الاقتصادية، الاجتماعية منها والسياسية، وأيضا البرامج المسطرة أو المستقبلية.

حيث بلغ مجموع تكرارات ألفاظها ومفرداتها (47) تكرارا وكان أعلى المؤشرات تكرارا هو المؤشر الدال على البرامج المسطرة أو المستقبلية حيث حصل على (19) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 40% من مجموع المؤشرات الأساسية الواردة في الخطاب ككل. والسبب يعود إلى بديات الحكم لمحمد السادس ومجمل برامج التي يطمح لتحقيقها. وبلغ مجموع الألفاظ التي تؤكد على الملكية الدستورية والتي تخص بالنظام السياسي للمغرب 15 تكرار وبنسبة مئوية 32% وهي الأخرى تمثل شق كبير لمجمل الخطاب والتي ترافق كل الخطب الرسمية الملكية لما لها من ضرورة ملحة لشخص الملك وتعميق التوجه السياسي للدولة. حيث أنه إضافة إلى الشرعية الدينية والتاريخية الي تجسدها صفة إمارة المؤمنين عبر رباط الولاء والبيعة التقليدية، ثمة مشروعية تعاقدية تحاول الملكية بلورتها كامتداد لرباط البيعة وتجديدا لأفقه المفاهيمي والتعاقدية، وذلك

عبر مدخل المواطنة وحماية الحقوق والسهر على حماية تعددية المجتمع والاضطلاع بدور الحكم.

مؤشرات الخطاب فيما يخص الإنجازات المحققة السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية بلغت 7 تكرارات وبنسبة مئوية 15%؛ وهذا راجع للمدة القصيرة التي تزامنت لاستلامه الحكم والخطاب العرش الأول له.

بلغت التكرارات الأساسية لخطاب الملك محمد السادس بمناسبة عيد العرش عن مكونات الهوية الوطنية جد ضئيل وخاصة منه المكون الأمازيغي حيث لم يذكر أي لفظ يدل على ذلك أما مكونات الهوية الوطنية بشكل عام فقد بلغت (6) تكرارات وبنسبة مئوية تقدر 13%.

جدول رقم (6)

التحليل الكمي لنص الخطاب الملكي بمناسبة تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
أجدير 7 أكتوبر 2001

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	5	20%
02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	6	24%
03	ربط الهوية الأمازيغية بالجانب الثقافي	5	20%
04	الجانب الديني وتثبيت أسس الوحدة الوطنية	8	32%
05	التوجه السياسي للأمازيغية	1	4%
	اجمالي التكرارات	25	100%

التحليل الكيفي (التحليل الغرضي):

يمثل هذا الخطاب أهم المحطات الأساسية للهوية الأمازيغية في المغرب وهو تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الذي يعتبر إنجاز مهم للمسار النضالي للمسألة الأمازيغية والتي لم تحظى بدعم رسمي سواء في فترة حكم محمد الخامس أو الحسن الثاني. وباستخدام التحليل الكمي (طريقة إحصاء المفردات) وذلك باختيار أهم المؤشرات الأساسية في الخطاب مع تضمين والتركيز على الجانب الهوياتي ومنها الأمازيغي حيث تم تقسيم المفردات التي تركز عن ذكر الهوية الأمازيغية في الخطاب، مع اختيار بعض المؤشرات الأخرى التي جاءت ضمن السياق والظروف التي تكونت فيها الخطاب كالنظام السياسي (الملكية الدستورية) وربط الهوية الأمازيغية بالجانب الثقافي، الجانب الديني وتثبيت أسس الوحدة الوطنية وأخيرا التوجه السياسي للأمازيغية.

وقد بلغ مجموع تكرارات ألفاظها ومفرداتها (25) تكرارا وكان أعلى المؤشرات تكرارا هو المؤشر الدال على الجانب الديني وتثبيت أسس الوحدة الوطنية حيث حصل على (8) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 32% من مجموع المؤشرات الأساسية الواردة في الخطاب ككل. ويرجع سبب هذا إلى ضرورة التحام ودعم الوحدة فباعتراف الهوية الأمازيغية كمكون رسمي للمغرب لا يعني هذا التراجع في باقي المكونات الأخرى الهوياتية أو تهميشها أو وضعها في المرتبة الثانية.

تأتي في المرتبة الثانية مجموع التكرارات (6) وبنسبة مئوية بلغت 24% التي تختص بمؤشر مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية) وهي أعلى نسبة في مجمل الخطابات الملكية التي تم تحليلها والتدقيق فيها. ويرجع هذا طبعا لموضوع الخطاب وهو انشاء هيئة رسمية تعنى بالهوية الأمازيغية.

مجموع الألفاظ التي تؤكد الملكية الدستورية بالنظام السياسي للمغرب (5) تكرارات وبنسبة مئوية 20% ونفس العدد من التكرارات خص به الخطاب مؤشر ربط الهوية الأمازيغية بالجانب الثقافي وهي إشارات ضمنية داخل الخطاب السياسي الملكي

بضرورة حصر البعد الهوياتي الأمازيغي فقط في جانبه الثقافي دون سواه وهذا ما نلتمسه في مجموع التكرارات الخاصة بمؤشر التوجه السياسي للهوية الأمازيغية حيث بلغ مجمل التكرارات لهذا المؤشر (1) ونسبة مئوية 4% حيث لم نجد أي ارتباط في كل خطابات المطع عليها تشير إلى ضرورة أو إمكانية فتح النقاش السياسي حول موضوع الأمازيغية وهو ما يبين رفض الملك والنظام السياسي المغربي لهذا المنظور المؤسساتي داخل النسق السياسي للمغرب⁴.

وفي كلمة خص بها الملك محمد السادس مناسبة تعيين أعضاء مجلس إدارة المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في 27 يونيو 2002، أكد فيها الملك حرصه شخصيا على إرساء هياكل هاته المؤسسة حيث يعتبر المعهد تابع بشكل مباشر من ميزانية الملك وليس ميزانية الدولة وأيضا تحدث عن مهامه الأساسية والمتمثلة في الجانب التربوي والثقافي وتعزيز مكانة الأمازيغية في مختلف المجالات، وأن الأمازيغية هي بمثابة رافد من روافد الهوية المغربية وكمكون أساسي للثقافة الوطنية والتي ستساهم في إنجاز

⁴ يستحضرني هنا تواجدي سنة 2016 بالمعرض الدولي للكتاب في الدار البيضاء بالمملكة المغربية، حضور ندوة تم برمجتها في جناح المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية والتي كان موضوعها بشكل عام الكتابة الأمازيغية بحروف التيفيناغ وهذا بدفاع المتدخلين في هذا الشق عن الكتابة الأمازيغية وأن الحرف الأمازيغي التيفيناغ حرف قديم وموجود في حفريات تم اكتشافها في مناطق عديدة تثبت بذلك التوجه الصحيح للمعهد بتبنيه حرف التيفيناغ للكتابة الأمازيغية بشكل عام.

وعند فتح المجال للنقاش تقدمت بسؤال عن سبب عدم توفر كتابات أكاديمية عن موضوع الأمازيغية في الجانب السياسي وأني مقدم على أطروحة دكتوراه عنوانها الأمازيغية في الخطاب السياسي بالمملكة المغربية ولكن للأسف لم أجد المراجع والأبحاث الأساسية وأن المعهد كان يُنتج أبحاث جيدة في فترة سابقة أي عند بدايته ولكنه تفهقر فيما بعد لأن موضوعي في الماجستير كان أيضا عن الهوية الأمازيغية بالمملكة المغربية والجزائر وقد استعنت بالمكتبة وانتاجات المعهد التي افادتي كثيرا وهذا ما جعلني أكمل أبحاثي في هذا الموضوع وبالأساس في المملكة المغربية؛ وهنا لم أجد الجواب المناسب لهذا السؤال بل أحسست بارتباك لدى الباحثين المتدخلين ومحاولة منهم لتخطي السؤال بإجابات خارجة عن موضوع الاستفسار ومع العلم انه كان بجانب عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أحمد بوكوس.

المشروع المجتمعي الديمقراطي. وقد تطرق أيضا الملك في هذه الكلمة عن منع توظيف الأمازيغية لأغراض سياسية حيث قال "...وإن حرصنا على إشراك ممثلي مختلف مكونات الأمة وقواها الحية في الحفل الميمون الذي أقمناه في أجدير بإقليم خنيفرة بمناسبة وضع طابعا الشريف على الظهير المحدث والمنظم للمعهد، لهو تجسيد لاقتناعنا بأن الأمازيغية التي تمتد جذورها في أعماق تاريخ الشعب المغربي هي ملك لكل المغاربة بدون استثناء ومن ثم لا يمكن توظيفها لخدمة أغراض سياسية كيفما كان نوعها أو توجيهها...".

جدول رقم (7)

التحليل الكمي لنص الخطاب الملكي بمناسبة عيد العرش المجيد طنجة 30 يوليوز 2002

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	10	18%
02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	1	2%
03	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	7	12%
04	الانتخابات النيابية لسنة 2002 (الممارسة السياسية)	10	18%
05	الإنجازات المحققة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية)	15	26%
06	التوترات الخارجية (السياسة الخارجية)	14	24%
	اجمالي التكرارات	57	100%

التحليل الكيفي (التحليل الغرضي):

أن خطاب العرش ذو أهمية بالغة يرجع إلى استنكار الانجازات المحققة طول سنة من الحكم وما تم تقديمه وتحقيقه على مجمل الأصعدة داخل الدولة.

من خلال التحليل الكمي (طريقة إحصاء المفردات) و باختيار أهم المؤشرات الأساسية في الخطاب مع تضمين والتركيز على الجانب الهوياتي ومنها الأمازيغي حيث تم تقسيم المفردات التي تركز عن ذكر الهوية بدون ذكر الأمازيغية وبذكر الأمازيغية في الخطاب، مع اختيار المؤشرات الأخرى التي جاءت ضمن السياق والظروف التي تكونت فيها الخطاب كالنظام السياسي (الملكية الدستورية) وكذا الانتخابات النيابية لسنة 2002 (الممارسة السياسية)، الإنجازات المحققة الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية، وأيضا السياسة الخارجية وبالأخص أهم التوترات الخارجية التي صاحبت ظروف وزمن الخطاب.

حيث بلغ مجموع تكرارات ألفاظها ومفرداتها (57) تكرارا وكان أعلى المؤشرات تكرارا (15) بنسبة مئوية 26% هو المؤشر الدال على الإنجازات المحققة الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية المؤشر الثاني هو التوترات الخارجية وما يعنى بالسياسة الخارجية بشكل عام تم إحصاء (14) تكرار بنسبة مئوية تقدر 24%، ثالثا تكون عدد التكرارات التي أخذت أهمية من مؤشرات الخطاب الأساسية لخطاب العرش في 2002 النظام السياسي الملكي الدستوري والانتخابات النيابية لسنة 2002م بعدد تكرارات (10) وبنسبة مئوية قدرت 18% لتأتي في المراتب الأخيرة مكونات الهوية الوطنية والتي تدل على تضائل او بداية عدم الاهتمام بشكل أساسي بالمكون الأمازيغي داخل الخطابات الأساسية للملك حيث بلغ عدد تكرارات مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية) (7) تكرارات بنسبة مئوية 12% وعدد تكرارات مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية) (1) وبنسبة مئوية 2%.

جدول رقم(8)

التحليل الكمي لنص الخطاب العرش الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة طنجة

30 يوليوز 2005

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	7	20%
02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	1	3%
03	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	10	29%
04	الوحدة الوطنية (مسألة الصحراء) والسياسة الخارجية	7	20%
05	الإنجازات المحققة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية) والأهداف المسطرة	3	8%
06	الممارسة السياسية (السياسة الداخلية)	7	20%
	اجمالي التكرارات	35	100%

التحليل الكيفي (التحليل الغرضي):

من خلال التحليل الكمي الوارد في الجدول رقم (4) يتضح ما يلي:

- احتواء نص الخطاب العرش الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة لسنة مؤشرات أساسية بلغ إجمالي التكرارات بها (35) تكرارا.
- كان أعلى المؤشرات ارتفاعا مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية) حيث حصل على (10) تكرارات وبنسبة مئوية بلغت 29%.
- تساوت عدد تكرارات النظام السياسي الملكي الدستوري و الوحدة الوطنية (مسألة الصحراء) والسياسة الخارجية وأيضا الممارسة السياسية (السياسة الداخلية) بعدد تكرارات يقدر بـ(7) ونسبة مئوية 20%.

- يأتي مؤشر الإنجازات المحققة (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية) والأهداف المسطرة بعدد تكرارات (3) وبنسبة مئوية تقدر بـ 8%.
- أما مؤشر مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية) يأتي في المرتبة الأخيرة بعدد تكرارات (1) وبنسبة مئوية تقدر بـ 3%؛ حيث يلاحظ في هذا الخطاب تراجع مكانة الهوية الأمازيغية في خطابات الملك بنسبة كبيرة والتركيز بشكل أساسي على مكونات الهوية الوطنية بشكل عام والتأكيد على مكانتها القوية والأساسية داخل المغرب وهذا ما يتم تأكيده من التحليل الكمي وبلوغ أعلى نسبة لهذا المؤشر للخطاب الملكي.

جدول رقم (9)

التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة تقديم

مشروع الدستور⁵ الجديد الرباط 17 يونيو 2011

(أنظر الملحق رقم 07)

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	22	20%
02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	4	4%
03	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	8	7%

⁵ عرف المغرب خمسة دساتير، بدون أن يتضمن أي منها نصا على الأمازيغية، فلقد تم إهمالها بشكل تام، بالرغم من أن النصين الدستوريين الذي عرفهما المغرب في 1992م و1996م، سبقتهما حركة وطنية ملموسة للمطالبة بدسترة الأمازيغية، ومشاورات واتصالات وفعاليات ومناشط بارزة للعيان، وعلى الخصوص إعلام ميثاق أكادير حول اللغة والثقافة الأمازيغيتين الموقع في 1991م من طرف ست جمعيات. وقد شكل الميثاق بحق القاعدة الأساسية الأولى للمطالب الكبرى للحركة الثقافية الأمازيغية من خلال أبرز هياكلها الجموعية آنذاك. وقد طالب الميثاق بدسترة الأمازيغية من خلال إقرار اللغة الأمازيغية كلغة وطنية إلى جانب اللغة العربية.

4	4	السياسة الخارجية	04
39%	44	الدستور	05
26%	29	الممارسة السياسية (السياسة الداخلية)	06
100%	111	اجمالي التكرارات	

التحليل الكيفي (التحليل الغرضي):

يلاحظ من خلال الجدول أن هناك ستة مؤشرات أساسية بلغ مجموع تكرارات ألفاظها (111) تكرارا وهذه المؤشرات هي:

- الدستور حيث حصل هذا المؤشر على (44) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 39% من اجمالي تكرارات الواردة في الخطاب؛ وتعتبر أعلى نسبة وعدد تكرارات لأن طبيعة وموضوع الخطاب تختص بمناسبة تقديم مشروع الدستور الجديد، وقد جاء التعديل الدستوري في 2011م ليرسم الأمازيغية كلغة رسمية مع اللغة العربية⁶.

⁶الفصل 5 من دستور 2011 للمملكة المغربية

"تظل العربية اللغة الرسمية للدولة.

وتعمل الدولة على حمايتها وتطويرها، وتنمية استعمالها.

تعد الأمازيغية أيضا لغة رسمية للدولة، باعتبارها رصيدا مشتركا لجميع المغاربة بدون استثناء.

يحدد قانون تنظيمي مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وكيفية إدماجها في مجال التعليم، وفي مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، وذلك لكي تتمكن من القيام مستقبلا بوظيفتها، بصفتها لغة رسمية.

تعمل الدولة على صيانة الحسانية، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الهوية الثقافية المغربية الموحدة، وعلى حماية اللهجات والتعبيرات الثقافية المستعملة في المغرب، وتسهر على انسجام السياسة اللغوية والثقافية الوطنية، وعلى تعلم وإتقان اللغات الأجنبية الأكثر تداولاً في العالم؛ باعتبارها وسائل للتواصل، والانخراط والتفاعل مع مجتمع المعرفة، والانفتاح على مختلف الثقافات، وعلى حضارة العصر.

- الممارسة السياسية (السياسة الداخلية) حصل المؤشر على (29) تكرارات بنسبة مئوية 29% بلغت من اجمالي تكرارات الألفاظ التصعيدية الواردة في الخطاب.
- يأتي مؤشر النظام السياسي الملكي الدستوري بعدد تكرارات بلغت (22) وبنسبة مئوية قدرت ب 20%.
- أما مؤشر مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية) فقد حصل على عدد تكرارات (8) ونسبة مئوية 7%.
- حصل المؤشرين الأساسيين وهما: السياسة الخارجية ومكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية) على عدد متساوي من تكرارات الألفاظ في الخطاب بلغت لكل واحد منها (4) وبنسبة مئوية بلغت 4% من اجمالي تكرارات الألفاظ الواردة في الخطاب. حيث يبقى الخطاب السياسي للأمازيغية داخل الخطب الملكية ضئيل جدا.

جدول رقم (10)

التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة عيد

العرش طنجة 30 يوليوز 2009

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	9	17%

يُحدّث مجلس وطني للغات والثقافة المغربية، مهمته، على وجه الخصوص، حماية وتنمية اللغتين العربية والأمازيغية، ومختلف التعبيرات الثقافية المغربية باعتبارها تراثا أصيلا وإبداعا معاصرا. ويضم كل المؤسسات المعنية بهذه المجالات. ويحدد قانون تنظيمي صلاحياته وتركيبته وكيفية سيره.

02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	0	%0
03	مكونات الهوية الوطنية (دون ذكر الهوية الأمازيغية)	7	%13
04	السياسة الخارجية	18	%34
05	الإنجازات المحققة والأهداف المسطرة	2	%4
06	الممارسة السياسية (السياسة الداخلية)	17	%32
	اجمالي التكرارات	53	%100

التحليل الكيفي:

احتوى نص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة عيد العرش على ستة مؤشرات أساسية بلغ مجموع تكرارات ألفاظها (53) تكرارا وهذه المؤشرات جاءت بالترتيب كما يلي:

- السياسة الخارجية؛ حصل هذا المؤشر على (18) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 34% من اجمالي تكرارات الخطاب وكان أعلى هذه المؤشرات تكرارا إذ أن التركيز في مجمل الخطاب على الجانب الاقتصادي ومواجهة التقلبات الاقتصادية الدولية؛ وأيضا المساهمة والتفاعل المجدي قصد الرفع من الجودة وتنافسية المنتج الوطني لإنعاش الاقتصاد بالصادرات والحفاظ على التوازنات المالية الخارجية. وتطرق أيضا الخطاب الملكي إلى ضرورة الإسراع في تطبيع العلاقات الجزائرية المغربية وبناء اتحاد مغاربي ليستفيد منه الكل.

- الممارسة السياسية (السياسة الداخلية) حصل هذا المؤشر على المرتبة الثانية في تكرارات الألفاظ وبلغ مجموع الألفاظ الدالة عليه (17) وبنسبة مئوية بلغت 32%.

- النظام السياسي الملكي الدستوري حصل هذا المؤشر على المرتبة الثالثة في تكرارات الألفاظ حيث بلغ تكرار الألفاظ الدالة عليه (9) تكرارات، وبنسبة مئوية

بلغت 17%. حيث يركز دائما على ثوابت الأمة والمتمثلة في الملكية ومواصلة هذا النهج السياسي حيث يقول: "...إننا نجدد، في هذه المناسبة التاريخية، عهدنا الوثيق على مواصلة قيادتك، أوفياء للبيعة المتبادلة... أوفياء في ذلك للروح الطاهرة لكل من جدنا ووالدنا المنعمين، جلالة الملكين، محمد الخامس والحسن الثاني، أكرم الله مثواهما".

- مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية) حصل هذا المؤشر على المرتبة الرابعة في مجموع تكرارات الألفاظ، وبلغ مجموع تكرار الألفاظ الدالة على هذا المؤشر (7) وبنسبة مئوية بلغت؛ 13%؛ حيث يؤكد الملك ضرورة توطيد وحدة الهوية المغربية حيث يقول: "...وبنفس العزم، نحرص على توطيد وحدة الهوية المغربية، جاعلين من إعادة الاعتبار لروافدها المتعددة...". وبذكر الهوية الوطنية يغيب في هذا الخطاب التطرق للأمازيغية حيث انعدمت عدد التكرارات الدالة على ذلك في خطاب العرش لسنة 2009م.
- الإنجازات المحققة والأهداف المسطرة حصل المؤشر على المرتبة الخامسة من مجموع تكرارات الألفاظ ضمن خطاب العرش حيث بلغت (2) تكرارات، وبنسبة مئوية بلغت 4%.

جدول رقم (11)

التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة عيد

العرش الرباط 30 يوليو 2012

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	9	17%

02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	1	2%
03	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	2	3%
04	السياسة الخارجية	22	40%
05	الإنجازات المحققة والأهداف المسطرة	2	3%
06	الممارسة السياسية (السياسة الداخلية)	19	35%
	اجمالي التكرارات	55	100%

التحليل الكيفي:

يلاحظ من الجدول السابق أن هناك ستة مؤشرات أساسية بلغ مجموع تكرارات ألفاظها (55) تكرارا ويتبين أن هناك فارق كبير بين مؤشرين اثنين هما السياسية الخارجية والسياسة الداخلية (الممارسة السياسية) حيث بلغت الأولى عدد تكرارات (22) تكرارا وبنسبة مئوية كبيرة بلغت 40% من إجمالي الألفاظ في الخطاب، والمؤشر الثاني فقد بلغ عدد التكرارات (19) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 35% مقارنة بباقي المؤشرات الأساسية الأخرى والملاحظ هنا أن مجموع المؤشرين يساوي 75% و بالتركيز فيها على الثوابت الدبلوماسية المغربية واحترام الشرعية الدولية والالتزام بكل ما يعزز السلم والأمن الدوليين وهذا طبعا بالحديث عن مشكل الصحراء الغربية والعلاقات مع الجزائر والعالم العربي بشكل عام ودول مجلس التعاون الخليجي وضرورة تعميق العلاقات معها، أما في السياسة الداخلية فقد ركز الخطاب الملكي على الخيارات الأساسية التي كرسها الدستور الجديد في شتى المجالات، وأيضا ركز على مطالبة الحكومة باعتماد اللاتمرکز الإداري في تسيير شؤونها وضرورة التجاوب الأمثل مع حاجيات ومصالح المواطنين حيث يثول في نص الخطاب: "فالحكومة مطالبة باعتماد ميثاق اللاتمرکز، بما يمكن الإدارة من إعادة انتشار مرافقها، ومساعدتها على التجاوب الأمثل مع حاجيات المصالح اللامتمركزة، وجعلها تستشعر المسؤولية الحقيقية، في وضع المشاريع وحسن

تسييرها...لذا نجد دعوتنا للحكومة من أجل توفير شروط التكامل بين مختلف الاستراتيجيات القطاعية، واعتماد آليات لليقظة والمتابعة والتقويم، تساعد على تحقيق التناسق فيما بينها، وقياس نجاعتها، وحسن توظيف الاعتمادات المرصودة لها، مع الاجتهاد في إيجاد بدائل للتمويل، من شأنها إعطاء دفعة قوية لمختلف هذه الاستراتيجيات".

تكملة للتحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة عيد العرش، جاء مؤشر النظام السياسي والتركيز على الملكية الدستورية كنظام سياسي للمغرب بعدد تكرارات (9) وبنسبة مئوية تقدر ب17% حيث يحرص الخطاب السياسي الملكي على التذكير والتركيز في كل مرة على ضرورة الولاء الدائم لشخص الملك والذي يمثل أمير المؤمنين فيقول "وبصفتنا أميرا للمؤمنين، ما فتننا نعمل، بمقتضى البيعة المقدسة التي نتولى أمانتها العظمى، على أن تظل المملكة المغربية نموذجا في الالتزام بالإسلام السني الوسطي السامح، الذي لا مكان فيه للتطرف والتعصب والغلو والانغلاق".

جاء مؤشر الإنجازات المحققة والأهداف المسطرة ومؤشر مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية) بنفس عدد التكرارات ضمن هذا الخطاب حيث بلغ (2) تكرارا وبنسبة مئوية تقدر ب3% لكل منهما "...كما أنها مناسبة مواتية لتأكيد الخيارات الأساسية لبلادنا التي كرسها الدستور الجديد للمملكة، الذي أجمعت الأمة على اعتباره ميثاقا متميزا، بما يفتحه أمامك -شعبي العزيز- من آفاق المشاركة الفعالة. وهو ما يحملنا جميعا مسؤولية العمل المشترك لاستكمال نموذجنا المتميز في توطيد صرح الدولة المغربية العصرية، المتشعبة بقيم الوحدة والتقدم والإنصاف والتضامن الاجتماعي، في وفاء لهويتنا العريقة".

جاء مؤشر مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية) في المرتبة الأخيرة من حيث عدد تكرارات الألفاظ ضمن الخطاب الملكي بعدد تكرارات (1) وبنسبة مئوية تقدر 2% "...لقد دخلت بلادنا مرحلة جديدة، لم تكن محضر مصادفة، ولا من صنع ظروف طارئة، بقدر ما تعد ثمرة سياسة متبصرة واستراتيجية متدرجة، انتهجناها منذ اعتلائنا العرش، بإرادة سيادية كاملة، في تجاوب تام مع تطلعاتك المشروعة. فكان في مقدمة انشغالاتنا ترسيخ تلاحم المجتمع المغربي بتحقيق مصالحه المغاربة مع ذاتهم وتاريخهم، وذلك من خلال عمل هيئة الإنصاف والمصالحة، وكذا رد الاعتبار للأمازيغية كمكون من مكونات الهوية، ورصيد مشترك لجميع المغاربة..."

جدول رقم (12)

التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لاعتلاء العرش الدار البيضاء 30 يوليو 2013

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	9	16%
02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	0	0%
03	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	10	17%
04	السياسة الخارجية	22	39%
05	الإنجازات المحققة والأهداف المسطرة	4	7%
06	الممارسة السياسية (السياسة الداخلية)	12	21%
	اجمالي التكرارات	57	100%

التحليل الكيفي:

كما رأينا من خلال الجدول السابق فقد احتوى خطاب الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لاعتلاء العرش على ستة مؤشرات أساسية بلغ مجموع تكرارات ألفاظها (57) تكرارا وكانت هذه المؤشرات كما يلي:

- السياسة الخارجية؛ حصل هذا المؤشر على (22) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 39% حيث ركز محمد السادس على ما تم تحقيقه فيما يخص القبول الدولي مع قضية الصحراء الغربية حيث قال: "...لقد تم تحقيق المزيد من التعاطف الدولي مع قضيتنا الأولى، على أساس الامام بحيثيات وملابسات وحدثنا الترابية. الأمر الذي يتجلى في الدعم المتنامي لمبادرتنا الوجيهة، المتمثلة في الحكم الذاتي". وضرورة الحفاظ على العلاقات الخارجية مع الشركاء التقليديين حيث قال: "...ما فتئ المغرب منذ اعتلائنا العرش يعرف على مستوى علاقاته الخارجية، تكورا موصولا وتقدما ملحوظا، في انسجام تام مع مختلف السياسات العمومية، التي ينهجها في الداخل... وفي هذا السياق لم نزل نعمل على نهج سياسة دولية متوازنة، متعددة الاتجاهات، حيث تمكنا من تقوية علاقاتنا مع شركائنا التقليديين بصورة ملموسة، ومن فتح آفاق جديدة وواعدة، مع الشركاء الجدد".

- حصل مؤشر الممارسة السياسية (السياسة الداخلية) على مجموع تكرارات (12) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 21% حيث دعا الحكومة إلى إعطاء الأولوية لكل ما يحفز النمو وتوفير فرص العمل، وأيضا إلى توفير الظروف الملائمة لتنويع وتوسيع النسيج الصناعي فيقول: "...لقد عملنا منذ اعتلائنا العرش على إطلاق العديد من الأوراش الاقتصادية والاجتماعية، في موازاة مع الإصلاحات السياسية والمؤسساتية، في تجاوب مع تطلعاتك وقد جعلنا كرامة المواطن المغربي وازدهاره، في صلب اهتمامنا... وهكذا وجدت حكومتنا الحالية بين يديها في المجال الاقتصادي والاجتماعي، إرثا سليما وإيجابيا، من العمل البناء والمنجزات

الملموسة...وإذ نؤكد التزامنا بتشجيع الاستثمار، فإننا نجد دعوتنا للحكومة لإعطاء الأسبقية لكل ما يحفز على النمو، وتوفير فرض الشغل...وفي هذا الصدد، ندعو الحكومة إلى توفير الظروف الملائمة لتتوسع وتوسيع نسيجنا الصناعي، وذلك وفق سياسة إرادوية، تقوي الشراكة بين القطاعين العام والخاص".

- مكونات الهوية الوطنية (دون ذكر الهوية الأمازيغية)، حيث حصل هذا المؤشر على (10) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 17% من إجمالي الألفاظ ضمن الخطاب؛ حيث يؤكد الملك في كل مرة على التنوع الثقافي المغربي وضرورة المحافظة عليه فيقول "...ولما كان المغرب غنيا بهويته، المتعددة الروافد اللغوية والاثنية، ويملك رصيذا ثقافيا وفنيا، جديرا بالإعجاب، فإنه يتعين على القطاع الثقافي أن يجسد هذا التنوع، ويشجع كل أصناف التعبير الإبداعي، سواء منها ما يلائم تراثنا العريق أو الذوق العصري، بمختلف أنماطه وفنونه، في تكامل بين التقاليد الأصلية، والابداعات العصرية".

- في كل محطة رسمية يؤكد الخطاب الملكي على النظام السياسي الملكي الدستوري ولا يخلو أي خطاب عن ذلك حيث بلغ عدد التكرارات ألفاظ الدالة على ذلك في هذا الخطاب (9) تكرارا بنسبة مئوية 16% حيث يقول "...ان احتفالك بذكرى عيد العرش المجيد، سيرا على تقاليدك العريقة، لا ينحصر مغزاه فقط في تجسيد ولائك الدائم لخدمك الأول، المؤتمن على قيادتك، وصيانة وحدتك إنه يؤكد أيضا، وبصورة متجددة رسوخ البيعة المتبادلة بيني وبينك، للمضي بالمغرب في طريق التقدم والازدهار، والتنمية والاستقرار كما يجسد وفاءك لثوابت الأمة ومقدساتها".

- وقد حصل مؤشر الإنجازات المحققة والأهداف المسطرة على عدد تكرارات تقدر ب (4) ونسبة مئوية بلغت 7%، أما مؤشر مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية) فلم يتم ذكره نهائيا خلال هذا الخطاب.

جدول رقم(13)

التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الخامسة من الولاية التشريعية التاسعة الرباط أكتوبر 2015

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	0	0%
02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	3	9%
03	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	2	6%
04	السياسة الخارجية	0	0%
05	الإنجازات المحققة والأهداف المسطرة	0	0%
06	الممارسة السياسية (السياسة الداخلية)	28	85%
	اجمالي التكرارات	33	100%

التحليل الكيفي (التحليل الغرضي):

بقراءتنا لمحتوى جدول التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الخامسة من الولاية التشريعية التاسعة؛ قد احتوى الخطاب على ستة مؤشرات أساسية وعدم التطرق في مضمون الخطاب لكل من مؤشر السياسة الخارجية والإنجازات المحققة والأهداف

المسطرة، وأيضاً مؤشر النظام السياسي الملكي الدستوري؛ في حين بلغ مجموع تكرارات ألفاظ المؤشرات الثلاثة (33) تكراراً. وكان في المرتبة الأولى من حيث عدد التكرارات ضمن الخطاب مؤشر الممارسة السياسية (السياسة الداخلية) حيث بلغ عدد تكرارات هذا المؤشر (28) وبنسبة مئوية بلغت 85% إذ أن طبيعة الخطاب فرضت التأكيد والطرح المتكرر لطبيعة الممارسة السياسية ومهام البرلمان وطبيعة أداء الطبقة السياسية والأحزاب السياسية، وفي جانب آخر يتضمن الخطاب توبيخ للطبقة السياسية عن الممارسات الغير مرغوبة على مستوى الخطاب السياسي حيث يقول "...وقد سبق لي أن قلت لكم، من هذا المنبر، بأن الخطاب السياسي لا يرقى دائماً إلى مستوى ما يتطلع إليه المواطن وهناك أنه إلى أن التوجه نحو الصراعات الهامشية يكون دائماً على حساب القضايا الملحة والانشغالات الحقيقة للمواطنين، وهو ما يؤدي إلى عدم الرضى الشعبي على العمل السياسي بصفة عامة، ويجعل المواطن لا يهتم بالدور الحقيقي للبرلمان".

يعود مؤشر مكون الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية) إلى الخطاب الملكي لمحمد السادس في سنة 2015 بعدد تكرارات (3) ونسبة مئوية تقدر ب 9% بعدما كان شبه منعدم في الخطابات السياسية الملكية السابقة؛ وهذا راجع إلى الضغوط الداخلية التي مارستها الحركة الأمازيغية بعدما تم ترسيم اللغة الأمازيغية لغة رسمية بجانب اللغة العربية وعدم استجابة الحكومة بقيادة حزب العدالة والتنمية والتي كانت تتبنى موقف معادي للحركة الأمازيغية داخل المغرب بقيادة عبد الإله بن كيران إلى الإسراع في مشاريع القوانين التي تنظم اندماج الأمازيغية في الحياة العامة ليأتي هذا الخطاب ويؤكد على ضرورة الإسراع في ذلك فيقول الملك في هذا الصدد "إن ما ينتظركم من عمل، خلال هذه السنة لاستكمال إقامة المؤسسات، لا يستحمل إضاعة الوقت في الصراعات الهامشية... فمشاريع النصوص القانونية التي ستعرض عليكم شديدة الأهمية والحساسية

لذا ارتأينا أن نذكر الحكومة والبرلمان بضرورة الالتزام بأحكام الفصل 86 من الدستور الذي يحدد نهاية هذه الولاية التشريعية كآخر أجل لعرض القوانين التنظيمية على مصادقة البرلمان... ونذكر هنا على سبيل المثال، مشاريع القوانين التنظيمية المتعلقة بتفعيل الطابع الرسمي للغة الأمازيغية والمجلس الوطني للغات والثقافة المغربية... لا يخلو الخطاب وخاصة بذكر الهوية الأمازيغية عن التأكيد على الهويات الوطنية الأخرى حيث بلغ عدد تكرارات هذا المؤشر في نص الخطاب (2) تكرارا ونسبة مئوية بلغت 6% فيقول "...ففي ما يخص مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية لتقوم مستقبلا بوظيفتها، يجب استحضار أن العربية والأمازيغية كانتا دائما عنصر وحدة، ولن تكونا أبدا سببا للصراع أو الانقسام".

جدول رقم (14)

التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة

الذكرى 68 لثورة الملك والشعب 2021/08/20

الرقم	المؤشرات الأساسية	العدد	النسبة
01	النظام السياسي الملكي الدستوري	3	9%
02	مكونات الهوية الوطنية (بذكر الهوية الأمازيغية)	1	3%
03	مكونات الهوية الوطنية (بدون ذكر الهوية الأمازيغية)	1	3%
04	السياسة الخارجية	12	35%
05	التحديات الخارجية	11	33%
06	الممارسة السياسية (السياسة الداخلية)	6	17%
	اجمالي التكرارات	34	100%

التحليل الكيفي:

احتوى نص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة الذكرى 68 لثورة الملك والشعب على ستة مؤشرات أساسية بلغ مجموع تكرارات ألفاظها (34) تكرارا وهذه المؤشرات جاءت بالترتيب كما يلي:

- السياسة الخارجية؛ حصل هذا المؤشر على (12) تكرارا وبنسبة مئوية بلغت 35% من وبنفس التكرارات تقريبا جاء معه المؤشر الخاص بالتهديدات الخارجية حيث بلغ عدد التكرارات (11) وبنسبة مئوية 33% من إجمالي تكرارات الخطاب، إذ يكرس الخطاب قيادة المغرب ونضج تدبير علاقاته الدولية، وأن المغرب يعيش "ثورة جديدة" موجهة نحو التنمية وبناء علاقات قائمة على احترام الالتزامات ومن ضمنها استقرار وتنمية المنطقة الأورو-متوسطية.

إذ يرى الدكتور (هيرنان أولانو) أن خطاب الملك بمناسبة الذكرى 68 لثورة الملك والشعب أسس "علاقة متجددة" مع اسبانيا وحدد التأكيد على التزامه ببث دينامية جديدة في علاقات التعاون مع اسبانيا وكذلك فرنسا⁷.

وقد شدد الملك في خطابه على توجه المغرب القاضي بالانخراط في علاقات قائمة على الثقة والشفافية والاحترام المتبادل واحترام الالتزامات مع الشركاء التقليديين التاريخيين اسبانيا وفرنسا.

- الممارسة السياسية (السياسة الداخلية) حصل هذا المؤشر على المرتبة الثالثة في تكرارات الألفاظ وبلغ مجموع الألفاظ الدالة عليه (6) وبنسبة مئوية بلغت 17%؛ حيث أبرز الأستاذ عبد الغني بوعياذ⁸؛ أن الخطاب الملكي أكد أهمية الدور الذي تضطلع به الانتخابات في تعزيز الممارسة الديمقراطية بالمملكة، وأن الملك قد

⁷ هيرنان أولانو، في ردود فعل وطنية ودولية حول الخطاب الملكي بمناسبة ذكرى 68 لثورة الملك والشعب، تصفح

بتاريخ: 18/09/2021 على الرابط:

[/http://bayanealyaoume.press.ma](http://bayanealyaoume.press.ma)

⁸ عميد كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بمكناس، المغرب.

سلط الضوء على السياق الذي تحل فيه الذكرى عشية استحقاق انتخابي من شأنه توطيد الممارسة الديمقراطية في البلاد وافرار مؤسسات تعمل في خدمة الصالح العام والقضايا الوطنية فضلا عن تزامنه مع اطلاق إصلاحات ومشاريع يتبناها النموذج التنموي والميثاق الوطني للتنمية.

- النظام السياسي الملكي الدستوري حصل هذا المؤشر على المرتبة الرابعة في تكرارات الألفاظ حيث بلغ تكرار الألفاظ الدالة عليه (3) تكرارات، وبنسبة مئوية بلغت 9%. حيث يركز دائما على ثوابت الأمة والمتمثلة في الملكية ومواصلة هذا النهج السياسي وتأكيد.

- مكونات الهوية الوطنية (دون ذكر الهوية الأمازيغية) وكذا بذكر الهوية الأمازيغية حصل هذان المؤشران على نفس مجموع تكرارات الألفاظ، وبلغ مجموع تكرار الألفاظ الدالة عليهما (1) تكرارا لكل منهما وبنسبة مئوية بلغت 3%؛ حيث أكد الملك ذكر بالإنجازات الكبيرة التي حققها المغرب على كافة المستويات، مبرزا أن المغرب أمة عريقة بتاريخ أمازيغي عريق وملكية دستورية مواطنة ينعم في ظلها الشعب في ارتباط مع العرش بالاستقرار والأمن والطمأنينة وهذه المميزات هي ما أكسبت المغرب والمغاربة السمعة الحسنة والمصدقية لدى المجتمع الدولي والمحافل الدولية.

ثانيا: ملخص التحليل الكمي لخطابات الملك محمد السادس من الخطاب الأول الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش سنة 2000م إلى غاية نص الخطاب الذي وجهه الملك إلى الأمة بمناسبة الذكرى 68 لثورة الملك والشعب سنة 2021م.

ثالثا: من خلال التحليل الكيفي لخطابات الملك في الجدول أعلاه والذي يضم مجموع عشرة خطابات مختارة تم التطرق فيها للمسألة الهوياتية والأمازيغية وفي فترة زمنية تمتد لـ واحد وعشرون سنة، نستنتج ونلاحظ ما يلي:

1. بلغ مجموع التعابير والمفردات الواردة في المؤشرات الأساسية (478) لفظا وتعبيرا، وقد توزعت تلك الألفاظ والتعابير على المؤشرات الأساسية الستة الدالة عليها، وذلك على النحو التالي:

أ. كان أكثر المؤشرات الأساسية تكرارا في مجموع ألفاظه وتعابيرها، هو المؤشر الدال ألفاظه على السياسة الداخلية (الممارسة السياسية داخل المملكة)، حيث حصل هذا المؤشر على (109) لفظا وتعبيرا، وبنسبة مئوية بلغت 23% من إجمالي تكرارات الألفاظ الواردة في المؤشرات الأساسية خلال هذه المرحلة، ولعل السبب في حصول هذا المؤشر على أعلى نسبة من التكرارات يرجع إلى الاهتمام بقضايا الديمقراطية وكيفية تجسيد الانتقال الفعلي نحو الديمقراطية، وبما أن النظام السياسي المغربي ذو إرث تاريخي قديم فالمؤسسة الملكية توجد على رأس المؤسسات ويسعى الملك في خطابه إلى إعطاء الأولوية والأهمية لطبيعة نظام الحكم الملكي الدستوري ومشروعيته ويسعى بذلك إلى ديمقراطية المؤسسة الملكية والتأكيد بأنها أي الملكية في المغرب تملك وتحكم في الحياة السياسية.

ب. حصل المؤشر الدال ألفاظه على البرامج المستقبلية ومجمل الإنجازات المحققة على المرتبة الثانية، وبلغ مجموع تكرارات هذا المؤشر (103) تكرارا، وبنسبة مئوية بلغت 21%، من إجمالي تكرارات الألفاظ الواردة في المؤشرات.

ت. عمد الخطاب السياسي الذي تبناه الملك في الفترة الممتدة بين سنة 2000م إلى يومنا إلى استظهار المسألة الأمازيغية في الخطابات الرسمية وخاصة بعد ترسيمها في دستور 2011م، لكن بالرجوع إلى ملخص التحليل الكمي لمجموع الخطابات المختارة والتي تبنى فيها الملك موضوع الأمازيغية، نجد أن المؤشرات الدالة على مكونات الهوية الوطنية بذكر الهوية الأمازيغية أو بدون ذكرها في الخطاب قد كان ضعيفا وفي المرتبة الأخيرة مقارنة بمجموع التكرارات للمؤشرات الأخرى حيث حصل مجموع تكرارات مكونات الهوية الوطنية بذكر الهوية الأمازيغية على المرتبة الأخيرة بمجموع (17) تكرارا، ونسبة مئوية بلغت 4%، من إجمالي تكرارات الألفاظ الواردة في المؤشرات. **ثالثا:** تم اختيار مجموعة أخرى من الرسائل الملكية والخطب التي تضمنت مواضيع الهوية والأمازيغية وتم تقديمها على النحو الآتي:

1. في الخطاب الملكي المقدم لافتتاح العام الدراسي الجديد⁹ لسنة 2001م؛ تطرق الملك لعدة إجراءات وتدابير تخص المنظومة التربوية كبناء المدارس وضرورة تعميم التعليم وتخفيض نسب الأمية. وتطرق الخطاب الملكي أيضا إلى إنشاء أكاديمية للغة العربية والتطرق لأول مرة إعداد الظهير القاضي بإحداث المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ويكون بهذا أول منشأ رسمي يعنى بالهوية الأمازيغية وإدماجها في مختلف مناحي الحياة العامة.
2. خص الملك في نص خطاب افتتاح السنة التشريعية¹⁰ 2002م-2003م؛ على الإصلاح النوعي للتكوين والنهوض بمختلف مكونات الثقافة الوطنية ولا سيما

⁹ أنظر: الخطاب الملكي لافتتاح العام الدراسي الجديد في: 2001/09/12، على الموقع:

[/https://www.ires.ma/ar](https://www.ires.ma/ar)

¹⁰ أنظر: خطاب الملك محمد السادس بمناسبة افتتاح السنة التشريعية 2003/2003، على الموقع:

[/https://www.ires.ma/ar](https://www.ires.ma/ar)

بدعم المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية والمحافظة على الهوية الوطنية والتمسك ودعم التنوع الهوياتي الذي يمثل التركيبة العامة للمجتمع.

3. تطرق مدلول الكلمة التي ألقاها الملك في الندوة الخاصة بالعلاقات بين العالم العربي وإفريقيا عن الامتداد التاريخي للعلاقات العربية والأفريقية¹¹، وانطلاقاً من هذا المنظور فهم مطالبون بضرورة إعادة بناء العلاقات الأفريقية العربية على أساس ثابتة وقوية وذلك لفتح آفاق جديدة للتبادل التجاري والثقافي، يضيف الملك في كلمته أن العالم يسير بوتيرة متسارعة ويطلب في كل مرة بمجهودات إضافية لإيجاد أجوبة لهذه التحديات. والعالم العربي الإفريقي كقضايا الديمقراطية والتنمية والمديونية والصحة والبيئة والهوية الثقافية وقضايا التربية والتعليم وغيرها من القضايا الملحة والأساسية التي لا تتحمل التأجيل وهو ما يتطلب إعادة الاعتبار لمقومات الهوية الثقافية حيث يقول: "...وإن المغرب البلد ذي الهوية الموحدة الغنية بروافدها الأمازيغية والعربية الإسلامية والأندلسية والإفريقية والمنفتح على الحضارة الكونية والذي جعل من تحقيق الوحدة الإفريقية التزاماً دستورياً".

4. "هل الحوار بين الثقافات ممكن؟"¹² ضمن موضوع هذه الندوة تم طرح التساؤل: هل يعاني عالمنا في الواقع أزمة وجدانية نعتبرها ثقافية أكثر منها دينية؟ حيث تم التطرق للظروف العالمية السائدة وخاصة أحداث 11 سبتمبر وأكد محمد السادس في رسالته بهذه الندوة أن الدعوة إلى تنظيم تظاهرة دينية كبيرة بعد أحداث 11 سبتمبر القصد منه أن ما يجمع الديانات السماوية الثلاث ضروري للحوار والتعايش والتقارب لا يكون إلا عبر الإقرار بالاختلاف المتمثل في

¹¹ أنظر: ندوة العالم العربي وإفريقيا: تحديات الحاضر والمستقبل، على الموقع: <https://www.ires.ma/ar/>

¹² أنظر: ندوة "هل الحوار بين الحضارات ممكن؟"، على الموقع: <https://www.ires.ma/ar/>

الخصوصيات الثقافية التي تقوم عليها؛ حيث يؤكد أن المملكة المغربية حريصة على بناء مجتمع منفتح على الحداثة وعلى كل التيارات الفكرية وانفتاح الهوية الوطنية المغربية الغنية بتعدد وتنوع روافدها ومكوناتها الأساسية بمختلف مشاربه الروحية والثقافية والحضارية القائمة على التسامح والتعايش والتكافل وفي هذا السياق يذكر الملك في رسالته بإنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الذي يتجاوز مع إرادتنا في أن يسترجع المغرب بعده التاريخي والثقافي المتنوع وهذا تأكيد ضمني على انفتاح المغرب على التيارات الفكرية والهوياتية واحتضانها.

5. الاجتماع الأول للجنة متابعة مؤتمر المنظمات الناطقة بالفرنسية المسؤولة عن حقوق الإنسان¹³ بتاريخ 27 فبراير 2004م؛ بعد الترحيب بالمسؤولين عن الأجهزة الحكومية المكلفة بحقوق الانسان في المجال الفرنكوفوني وتقديم الشكر للمنظمة الدولية للفرنكوفونية لتنظيم هذا اللقاء الهام في المملكة المغربية، وضح الملك أهداف المنظمة التي تجعل الفرنكوفونية أداة في خدمة تقدم الدول الأقل نموا والتي تجسد المبادئ والقيم التي تدعو لها وتعمل من أجلها وفي صدارتها التضامن والطموح إلى ترسيخ مجال ثقافي متميز بحضوره الوازن وقيامه على التنوع واحترام التعددية والارث المشترك للثقافة الفرنكوفونية المتشعبة بحقوق الانسان والمستوحاة من الإعلان التاريخي لحقوق الانسان والمواطن. بعد ذلك يؤكد محمد السادس في كلمته على الإنجازات المحققة منذ اعتلائه العرش في مجال حقوق الانسان بترسيخ دولة القانون والنهوض بحقوق الانسان وحل مختلف القضايا العالقة، ويؤكد أيضا عن تمسك المغرب بوحدة هويته الغنية بتعدد روافدها الإسلامية والعربية والأمازيغية والافريقية والأورو متوسطية وقد ظل عبر

¹³ أنظر: الاجتماع الأول للجنة متابعة مؤتمر المنظمات الناطقة بالفرنسية المسؤولة عن حقوق الانسان، على

الموقع: <https://www.ires.ma/ar/>

التاريخ منفتحاً على كل الثقافات وملتقى خصب للتفاعل الإيجابي والتعايش الديني مع كل الديانات السماوية والحضارات الإنسانية

6. تضمن نص الخطاب الملكي بمناسبة ثورة الملك والشعب¹⁴ 20 أوت 2004م ، في بدايته ضرورة استحضر الذكرى وتخليد ذكرى ثورة الملك والشعب وعيد الشباب لأنها مسيرة متواصلة لرفع التحدي على تعاقب الأجيال والأزمان والدفاع عن الوحدة الوطنية والترايبية، ويضيف في ذلك شرح للمعنى الحقيقي للمواطنة بأنها لا يجب أن تفهم في مجرد التوفر الشكلي على بطاقة تعريف أو جواز سفر وإنما يجب أن تجسد في الغيرة على الوطن والاعتزاز بالانتماء إليه ويضيف في ذلك بأن تكون مغربياً معناه الجمع بين التشعب بثوابت الهوية المغربية وترسيخ الوحدة الوطنية لغة وثقافة والنهوض بكافة الروافد اللغوية الأخرى وثقافتها.

7. نصت الرسالة التي وجهها الملك إلى المشاركين في الدورة 32 للجمعية البرلمانية للفرنكفوني¹⁵ 2006/07/2م؛ في بداية الرسالة يشيد الملك بالدور الفعال والتميز الذي تقوم به الجمعية الفرنكفونية كفضاء للتشاور والحوار إلى جانب المنظمات البرلمانية الأخرى بترسيخ الديمقراطية وحقوق الإنسان، حيث ركزت الدورة على موضوع حماية وتشجيع تنوع التعبيرات الثقافية والتنوع اللغوي؛ وفي هذا الإطار يركز الملك على في رسالته أن التعدد اللغوي بالنظر لارتباط الثقافة باللغة ارتباطاً عضوياً يشكل الأداة الضرورية للانفتاح والحوار بين الشعوب وتوسيع الآفاق الفكرية، وذلك هو السبيل الذي اختارته المملكة المغربية من خلال سياستها المتبعة في مختلف المجالات ذات الصلة وتعدد روافدها من خلال انصهار شتى مكوناتها العربية والأمازيغية والصحراوية والأفريقية

¹⁴ أنظر: نص الخطاب الملكي بمناسبة ثورة الملك والشعب، على الموقع: <https://www.ires.ma/ar/>

¹⁵ أنظر: نص الرسالة التي وجهها الملك إلى المشاركين في الدورة الـ32 للجمعية البرلمانية للفرنكفونية، على

الموقع: <https://www.ires.ma/ar/>

والاندلسية مع انفتاحها على مختلف الثقافات المتوسطة ويؤكد الملك أن السياسات الوطنية الثقافية والتربوية والتعليم بذل فيها كل الجهود لتوظيف كل الآليات الكفيلة بالمحافظة على التنوع الثقافي في المملكة والمحافظة على الثقافات والتقاليد المحلية في كل تجلياتها الشفوية والمادية.

8. جاء خلال الرسالة التي وجهها محمد السادس للمشاركين في الدورة الثانية للمؤتمر الدولي لحوار الثقافات والأديان، التي تنظمها وزارة الشؤون الخارجية والتعاون الدولي للمملكة المغربية والمنظمة الدولية للفرنكفونية أنه لا يوجد أي فرق في المغرب بين المواطنين المسلمين واليهود، لافتا إلى أنهم يشاركون بعضهم بعضا في الاحتفال بالأعياد الدينية، "كما يؤدي مواطنونا اليهود صلواتهم في بيعتهم، ويمارسون شعائرهم الدينية في أمن وأمان، لاسيما خلال احتفالاتهم السنوية، وأثناء زياراتهم للمواقع الدينية اليهودية، ويعملون مع أبناء بلدهم من المسلمين من أجل صالح وطنهم الأم"، وأوضح الملك أن المسيحيين العابرين أو المقيمين في المغرب، "كان لهم على الدوام الحق في إقامة شعائرهم الدينية في كنائسهم، وكان من أجدادنا السلاطين من أهدى أرضا لبناء كنيسة ما تزال مفتوحة للمصلين إلى يومنا هذا"، لافتا إلى أن المجتمع المغربي "أبان عبر التاريخ، عن حس عال من التفاهم المشترك وقبول الآخر، في التزام ثابت، بضرورة الحفاظ على الذاكرة المشتركة للتعايش والتساكن بين أتباع الديانات الثلاث، خاصة خلال الحقبة الأندلسية".

وأكد الملك أن النموذج المغربي الذي يتميز بتفرده على المستوى الإقليمي، من حيث دستوره، وطبيعة واقعه الثقافي، وتاريخه الطويل، الذي يشهد على تجذر التعايش، لاسيما بين المسلمين واليهود في أرضه، وانفتاحه على الديانات الأخرى، يستمد مرجعيته "من إمارة المؤمنين ومن المذهب السني المالكي، شهد جملة من الإصلاحات العميقة. فهو

يستهدف تحصين المجتمع المغربي من مخاطر الاستغلال الإيديولوجي للدين، ووقايتة من شرور القوى الهدامة، من خلال تكوين ديني متنور متشبع بقيم الوسطية والاعتدال والتسامح". ولفت الملك إلى أنه "إذا كان كرم الضيافة من شيم المغاربة، فإنه يشمل أيضا كرم الروح، ففي بيئته ينشأ الاحترام وقبول الآخر، ويزدهر التنوع الثقافي. وقد جسدنا هذه الميزة، التي تجعل من المغرب بلدا متعددا ومتنوعا، في إطار الوحدة الوطنية، من خلال جملة من المبادرات على الأصعدة الوطنية والإقليمية والدولية".

وشدد العاهل المغربي على أن تعايش الثقافات يرتبط ارتباطا وثيقا بثقافة الحوار، "فحوار الثقافات يقتضي أن تتفاهم الشعوب فيما بينها، عبر إقامة حوار صادق ودائم، وهو ما يطبع التجربة المغربية، حيث تجسد التعايش بين الثقافات من خلال وحدة المغرب، التي تشكلت بانصهار مكوناته العربية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية، والغنية بروافدها الأفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية".

وأكد أيضا في رسالته للمؤتمرين أن "المغرب كان دائما وسيظل ملتزما بنهج إسلام معتدل يقوم، بحكم جوهره، على المبادئ الكونية السامية، ومن ضمنها قيم التسامح والحوار. فالدين الإسلامي الحنيف يقوم على تقبل الآخر وعلى الوسطية، وينبذ الإكراه، ويحترم التعددية، تماشيا مع المشيئة الربانية. ودعا محمد السادس المشاركين إلى "تعميق التفكير حول الحوار والتفاهم بين الحضارات، وإذكاء الوعي بالحاجة الملحة إليهما، فالعالم اليوم يستوجب أكثر من أي وقت مضى، التحلي بالمزيد من النزاهة واليقظة، والانخراط في بناء نظام جديد للسلم العالمي"¹⁶.

¹⁶ ملك المغرب: لا فرق بين مسلم ويهودي ببلدنا..وسنظل معتدلين، تم التصفح بتاريخ 11-03-2021، على

الرابط:

[/https://arabi21.com/story/](https://arabi21.com/story/)

9. في الرسالة الملكية بمناسبة الحفل الأول لموسيقى البحر الأبيض المتوسط¹⁷ 2016م، أكد الملك أن القيم التي كرستها المملكة المغربية بكل وضوح في ديباجة دستورها التي أكدت على "تلاحم مقومات هويتها الوطنية، الموحدة بانصهار كل مكوناتها، العربية، الإسلامية والأمازيغية والصحراوية والحسانية والغنية بروافدها الإفريقية والأندلسية والمتوسطية"؛ وبقراءة مضمون الرسالة مفادها احترام الثقافات المتنوعة وربط استقرار وقوة الدول ليس فقط بالمؤشر الاقتصادي بل وكذلك بالدرجة الأولى ما أسماه "القوة الناعمة" التي يتوفر كل بلد من خلال ما يتمتع به من استقرار وعراقة تاريخ وغنى ثقافي وموروث حضاري.

لقد خضع المغرب في خلال حكم محمد السادس لإصلاحات سياسية واقتصادية مهمة فيما واجه تحديات كبيرة. فخلال السنوات الخمسة الأولى من حكم الملك، سمح النظام بإقامة انتخابات أكثر عدلاً وخفف من الرقابة على الإعلام وأقر بانتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبت في خلال حكم الملك حسن الثاني الراحل (1961-1999) وانتهج برامج تنمية اقتصادية. ومن بين الإنجازات الأخرى تعزيز سياسة البلاد الخارجية عبر تنويع قاعدة الحلفاء وتحسين البنى التحتية من خلال مشاريع كبيرة الحجم. ورداً على احتجاجات العام 2011م، طرح النظام إصلاحات حدت من سلطاته بشكل طفيف (أي اشتراط أن يكون رئيس الحكومة من الحزب الذي استأثر بالحصة الكبرى من الأصوات وتقليل عدد المناصب الدبلوماسية والإدارية العليا التي يستطيع الملك أن يعين فيها مباشرة) علاوة على ذلك، دخل حزب إسلامي، وهو حزب العدالة والتنمية، في الحكومة للمرة الأولى في تاريخ البلاد.

¹⁷ أنظر: رسالة الملكية بمناسبة الحفل الأول لموسيقى البحر الأبيض المتوسط، على الموقع:

[/https://www.ires.ma/ar](https://www.ires.ma/ar)

بيد أنه على الرغم من هذه الإنجازات، بقي المغرب يواجه تحديات اجتماعية اقتصادية. فالبلاد تعاني معدلات بطالة مرتفعة، وفقراً، وتفاوتاً اجتماعياً، ورعاية صحية وتعليمياً رديئتين، وفجوة مستمرة بين المناطق الريفية (ونعني بالريف القرى في السياق المغربي) والمناطق الحضرية، وديناً عاماً ضخماً. بالإضافة إلى ذلك، يعتمد الاقتصاد على واردات النفط وعلى قطاعي السياحة والزراعة المتقلبين. وفي العقد الماضي، واجهت الاحتجاجات التي سببتها الأوضاع الاقتصادية الصعبة قمعاً مضطرباً لجأ إليه النظام الذي يخشى تزايد عدم الاستقرار. في الواقع، منذ احتجاجات العام 2011م، واجه النظام مخاوف أمنية كبيرة بسبب نشأة تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) في الدول المجاورة والحراك الشعبي في منطقة الريف (في شمال المغرب) المتمردة تاريخياً. وبعد مرور عقدين، يبدو أن عملية الإصلاح قد انهارت كلياً.

المطلب الثالث: مقارنة بين الخطاب الملكي للحسن الثاني ومحمد السادس

في حوار الملك محمد السادس مع جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 24 جويلية 2001م حدد محمد السادس عدة نقاط في الاختلاف والالتقاء مع وادله الحسن الثاني قائلاً: "أستطيع أن أقول شخصية متطابقة ومختلفة عن والدي رحمه الله، لكل شخصيته على أي حال، لكن المبادئ ثابتة والهدف واحد، ولا يوجد هناك اختلاف في الالتزامات والواجبات والقناعات، أنا أشبه والدي وهو كان يعرف أن لي وجهات نظر أخرى لكنه عودنا دائماً على احترام اختلافات الأجيال، فالجيل الجديد يحترم الجيل القائم، وكان رحمه الله يرى أيضاً أن الأجيال القائمة يجب أن تحترم الأجيال الجديدة وتعطيها المساحة من أجل أن تعبر عن نفسها وعن حاجاتها... بالتأكيد الأولويات تتغير

فالأولويات اليوم ليست هي الأولويات التي كانت قبل عشرين سنة ولا الأولويات التي كانت قبل أربعين سنة¹⁸.

عموما كان الملك الحسن الثاني يعد خطاباته بنفسه، لاسيما المرتجلة منها، أما بخصوص المكتوبة منها، فقد كان يشرح الأفكار لمستشاريه الذين يتكلفون بصياغة النص النهائي. وفي عهد الملك محمد السادس، ككل رؤساء الدول في العالم، فإن الملك لا يكتب بنفسه خطبه، وإنما يتكلف بها فريق خاص من مستشاريه. وقد برز الفرق بين الأب والابن في خطابات العرش، وهو غالبا ما يتضمن تقييما لما وصلت إليه المشاريع التي أعلن عنها في خطابات سابقة ويحدد أولويات جديدة، وفي خطابات افتتاح دورة البرلمان وثورة الملك والشعب، إضافة إلى ذكرى المسيرة الخضراء، وهي خطابات لتصريف تعليمات ملكية أو للتواصل بين الملك وشعبه. وعموما إن خطاب العرش في ظل عهود الملوك الثلاثة - الجد والأب والابن - بقي يهتم بتقييم المنجزات والأولويات الجوهرية. هذا الخطاب دأب أكثر على عكس المناخ السياسي السائد بالمغرب. علما أن للخطابات الملكية قيمة دستورية وليست مجرد خطابات سياسية. فالعرف الدستوري في المغرب يجعلها مرجعا لكل الفاعلين السياسيين وعلى الحكومة أن تكيف سياستها العمومية انطلاقا مما تتضمنه الخطب الملكية.

كان الملك الحسن الثاني يقول: الرجل هو الأسلوب، وهنا تكمن نقطة الاختلاف الجوهرية بين الأب والابن. فالملك محمد السادس يفضل أكثر الزيارات الميدانية والغوص وسط المواطنين. وطريقة إلقاء الخطب تختلف بين الأب والابن، فإذا كان الملك الراحل الحسن الثاني يبدو أكثر عفوية وراحة فأن الملك محمد السادس يعتمد الضبط والدقة والإيجاز. فخطبه قصيرة مقارنة بخطب والده إذ لا تتعدى في مدتها 10

¹⁸ محمد زين الدين، الفكر الدستوري والسياسي لجلالة الملك الحسن الثاني مقارنة دستورية سياسية، مرجع سابق،

أو 15 دقيقة وبعيدة عن الارتجال . فمنذ رحيل الملك الحسن الثاني، تغيرت أشياء كثيرة على مستوى الخطابات الملكية، لم يعد الخطاب الملكي ذلك الخطاب المرتجل، بلغة تمزج بين اللغة الدارجة والفصحى، بل أصبح خطابا رسميا لا تخرج لغته عن اللغة الفصيحة، ولم يقتصر التغيير على شكله ومضمونه.

يرى الباحث يحيى اليحياوي أن خطب الحسن الثاني كما خطب الملك محمد السادس خضعت لنفس الطقوس وتشتغل وفق نفس المنظومة الرمزية حيث غالبا ما يتم البث من بين أروقة قاعة العرش (على الأقل فيما يتعلق بالخطب الوطنية أو ذات الطبيعة الاستثنائية...) قاعة كل شيء من بين جدرانها مرتب بدقة وله دلالة خاصة... فهناك إذن استمرارية شبه مطلقة بهذه الجزئية، لكنها سرعان ما تتوارى أمام طقوس توقيت الخطبة. فالخطب المباشرة للراحل الحسن الثاني لم تكن محكومة بتوقيت محدد ولم يكن باستطاعة المرء التنبؤ بنقطة انتهائها، في حين تحترم خطب محمد السادس التوقيت الدقيق.

فخطب الحسن الثاني حسب الباحث يحيى اليحياوي — بحكم طبيعتها المباشرة كانت حمالة لبعد تفاعلي واضح إذ يبدو الأمر معه وكأنه يخاطب جمعا من حوله لا جماهيرا تتوسط لها أدوات الإذاعة والتلفزة وما سواها... هي خطب إلى حد ما أفقية التوجه يتحكم المتحدث في صيبيها كما لو أنه يحدث جمعا محدودا من حوله. في حين يبدو خطاب محمد السادس (بحكم ارتكازه على المكتوب المقروء) وكأنه عمودي التوجه، ينزل من أعلى، لا أثر للإحساس معه بالتفاعلية أو بالحميمية المضمرة التي كان يعيشها المغربي المترف منه كما المعدم سواء بسواء مع خطب الحسن الثاني. وعموما يرى الكثير من المحللين أن صورة الملك محمد السادس في مخيلة العديد من المغاربة هي أقرب إلى جده الملك الراحل محمد الخامس منها إلى والده الملك الراحل الحسن الثاني، فإذا كان هذا الأخير يلقب بـ "ملك المغرب" أكثر من أي لقب آخر، فإن أول

لقب نعت به الملك محمد السادس بعد اعتلائه عرش البلاد بعد لقب (M6) هو لقب "ملك الفقراء" وهو لقب قريب جدا من اللقب الذي أطلقه الفرنسيين على جده الملك الراحل محمد الخامس "ملك كاريان سانطرال" وهما اشتراكا معا في ميزة لاحظها الجميع، وهي توحيد المغاربة ولفهم حول الأمل في الغد. علما أن الملك الراحل الحسن الثاني دأب على الاستشهاد بجده السلطان الحسن الأول أكثر من أي سلطان آخر وفي هذا الصدد قال الصحفي "إينياس دال": "إن الحسن الثاني، مثل محمد السادس تشنجت العلاقة بينه وبين والده في أواخر حياته"¹⁹.

اتسمت فترة الملك الحسن الثاني بالركود من جانب الدولة في التعامل مع القضية الأمازيغية، وأبرز ما ميز هذه الفترة هو تصريح الملك بإدماج اللغة الأمازيغية في التعليم بالمغرب، وإدراج فترة في النشرة المسائية باللهجات الأمازيغية.

على العكس الملك محمد السادس؛ حيث حدث تحول سياسي وبدا أثر ذلك واضحا من خلال الخطابات الملكية التي كانت تتبنى رؤية وطنية بحيث تعتبر الأمازيغية مكونا أساسيا من مكونات الهوية المغربية واعتمدت استراتيجيته على حل كل الملفات العالقة التي كانت الدولة تتأى عن التعامل معها، وبناء عليه اختلف نهج التعامل مع القضية الأمازيغية ويتضح ذلك من خلال²⁰:

- تأسيس بعض الهيئات كديوان المظالم وهيئة الإنصاف والمصالحة.
- العمل على احترام وصيانة كافة اللغات داخل المغرب الأمازيغية والحسانية وكافة اللغات .

¹⁹ إدريس ولد القابلة، أشهر خطابات الملك الحسن الثاني، تصفح بتاريخ: 2020/11/18، على الرابط:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=443928&r=0>

²⁰ هند أحمد إبراهيم، السياسات اللغوية كأحد أبعاد الاندماج الوطني...دراسة حالة المغرب، تصفح بتاريخ

23/07/2020، على الرابط:

<http://www.acrseg.org/41189>

- في إطار سعي المغرب لتحقيق الاندماج الوطني وحل إشكالية الأمازيغ، فقد تم في عام 2011 إقرار اللغة الأمازيغية لغة أساسية كالعربية في الدستور وهذا الأمر اعتبره الأمازيغ نقطة إيجابية في مجال التأكيد على هويتهم.
- إنشاء قناة تلفزيونية أمازيغية إلى جانب بث فقرات في التلفزيون العربي باللغة الأمازيغية.
- ربط الأمازيغية بالمشروع الوطني باعتباره مقوماً من مقومات الهوية المغربية.
- إنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية كخطوة إيجابية للحفاظ على التراث والهوية الأمازيغية.
- قام الملك بزيارة إقليم الحسيمة عام 1991م في خطوة تاريخية للتأكيد على الدخول في مرحلة جديدة تسعى إلى إدماج كافة الجماعات داخل الدولة.
- وبالتالي، فقد اتبعت المغرب في هذه الفترة سياسة الاستيعاب كوسيلة لحل مشكلة الاندماج الوطني حيث استيعاب الحركة الأمازيغية داخل الدولة والاعتراف بلغتها وتدريسها في المدارس بداية من عام 2003 مع الاعتراف بثقافتها.
- واستناداً على كافة هذه الإجراءات، نجد أن المغرب شهد تحولاً في التعامل مع المكون الأمازيغي داخل الدولة حيث بدأت باستيعابه داخل الدولة وتجلي هذا واضحاً في سياسات الملك محمد السادس، وهو ما أكدت عليها الأسس التي اتبعتها، حيث الإقرار الدستوري على اللغة الأمازيغية والتمثيل الداخلي في مؤسسات الدولة وتنمية المناطق التي يسكنها الأمازيغيين والعمل على الحفاظ على هويتهم وثقافتهم وإنشاء المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية؛ فعلى الرغم من تحقيق أغلب مطالب الأمازيغ، إلا أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فدائماً ما كان يرى المكون الأمازيغي أن هناك تسويق من جانب الحكومة المغربية في تنفيذ مطالبهم وهذا ما دفعهم للخروج في تظاهرات عام 2011م ضد النظام في محاولة للاستفادة من موجة الربيع العربي والضغط على النظام الحاكم لتلبية مطالبهم.

على زعم أن هويتهم لم تتحقق بعد، باحثي نعن مزيد من التفعيل، من حيث إدراج اللغة في كافة مؤسسات الدولة والمطبوعات الإدارية وعلى الأختام الرسمية، إلا أن المتأمل لقضية الاندماج الوطني في المغرب والمكون الأمازيغي يجد أن ما وصل إليه أمازيغ المغرب هو مرحلة متقدمة لم يصل إليها الأمازيغ في أغلب الدول المجاورة.

تميز الملك محمد السادس أكثر من غيره بإعطاء الأمازيغ مكانة مهمة وإساسية في استراتيجيته السياسية وتجاوزت المواقف الملكية معظم طروحات ومواقف الأحزاب السياسية من التعدد الثقافي بالمغرب ومنها بعض اطراف اليسار الذي امن بالعروبة واعتنق الاقصاء والاحادية، لذلك يمكن ان نعتبر بان القضية الامازيغية قد اخذت منحى جديد متقدم في مرحلة محمد السادس واصبحت قضية موحدة و مصدر اجماع سياسي داخلي بين جميع مكونات الطبقة السياسية والثقافية المغربية واحتلت مكانة متميزة في كل ادبيات الاحزاب السياسية المغربية وان كان بعضها غير مؤمن بها، لكن من باب الاستتباع واقتناص الفرص السياسية اصبح يؤمن بها ويتبناه.

خلاصة الفصل الثالث

قمنا في هذا الفصل بتحليل لساني لخطاب الملك الحسن الثاني وقد تم اختيار الخطاب الذي كان له الأثر الكبير والمهم في تاريخ حكم الملك بخصوص موضوع الأمازيغية؛ وهو خطاب مناسبة ثورة الملك والشعب في 1994م وأيضا تم اختيار مجموعة معتبرة من خطابات محمد السادس التي كان فيها الكلام عن الهوية بشكل عام وعن الأمازيغية بشكل خاص، وأنا بعملنا هذا نندرج فيمن يمارسون تحليل الخطاب السياسي؛ ومن ثم الكشف عن كيفية تعالق الأيديولوجي باللغوي، وعن علاقة السلطة المختفية في التعبيرات اللغوية والمعرفية. ونرى أن ما قدمته اللسانيات النقدية من أدوات ومفاهيم إجرائية، إضافة إلى مقولات (فان ديك) لتحليل الخطاب الإيديولوجي، كانا

فاعلين في تحليل خطابات الحركة الأمازيغية والملك الحسن الثاني ومحمد السادس وكشف نسقه الفكري الذي دافع عنه وعبر عنه من خلالها.

الفصل الرابع: الرهانات الاستراتيجية للحركة الأمازيغية

الحركة الأمازيغية، كحركة لم تعد مجرد حركة ثقافية فحسب، بل وأضحى تستعد للعب أدوار أخرى، ربما ريادية، في مسار الحركات التصحيحية والاحتجاجية، فخطاب حقوق الإنسان، والأرض، والثروات، والتنمية السياسية مضافة إليه الخطاب التقليدي الرامي الى تبويئ اللغة والثقافة الأمازيغيتين مكانتهما الطبيعية في التراتبية اللغوية والثقافية بالبلاد، يدفعنا الى التساؤل عن استراتيجية الحركة الأمازيغية، المحددة للنهوض بكل هذه الأعباء الثقافية والسياسية، هذا التساؤل مرتبط بشق آخر يتجلى في ماهية التحديات الراهنة التي تواجه الحركة الأمازيغية.

في هذا الفصل تطرقنا إلى ثلاث مباحث أساسية حيث تم التركيز على أهم التحديات السياسية بعد مظاهرات الحُسيمة ثم الرهانات الأيديولوجية الرسمية للدولة المغربية، والمبحث الثالث التحديات والمسارات الجديدة للحركة الأمازيغية.

المبحث الأول: التحديات السياسية بعد مظاهرات الحُسيمة¹

ورود مفهوم الحركات الاحتجاجية في هذا المبحث ليس معناه ثور الاحتجاج البسيطة، بل يتناول الاحتجاج السياسي كفعل جماعي ممارس من طرف فاعل جماعي به خطاب إيديولوجي واستراتيجية عمل، يسعى من خلالها إلى اختراق فضاء التعاقد السياسي كقوة سوسيو سياسية مستقلة لها بنيتها التنظيمية الخاصة وخطابها الخاص. وهذا لا ينطبق على (الحركة الاحتجاجية الأمازيغية) بل يمتد ليشمل (مختلف صور الفعل الاحتجاجي الجماعي) الممتمك للمقومات المطلوبة. كما يتعين التأكيد على أن الاحتجاج كفعل جماعي محكوم بمحددات؛ محكوم بالسياق العام لانبعاث صوت

¹ تعتبر مدينة الحُسيمة إحدى أهم المراكز العسكرية الحاسمة في تطورات حرب الريف، وقد شكلت أجدير حاضرة لها، وهي عاصمة لجمهورية الريف (1926-1921) التي تلت انتصار المقاومة الريفية، بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي على المستعمر الإسباني.

الاحتجاج دوليا، إقليميا، وطنيا ومحكوم أيضا بالقوة التعبوية للحركة الاحتجاجية والأهم بطبيعة النسق موضوع الاحتجاج.

المطلب الأول: تطور ظاهرة الاحتجاجات في المملكة المغربية

ارتبط الاحتجاجات عند الباحثين في بداية القرن التاسع عشر بالمجال الحضري لكنونها، اتخذت من زاوية أولى، أشكالاً جديدة ومضامين مغايرة، وتجاوزت من زاوية ثانية الشكل التقليدي، تزامن ذلك مع تطور المدينة والزيادة في كثافتها السكانية وبروز علاقات اجتماعية متنوعة وجديدة، تقوم على الأهداف المشتركة التي شملت محل الروابط العرقية والدينية منها، وأغلب هذه الاحتجاجات كانت في فاس أو من مربع فاس²، كما وقد رافقت هذا التحول احتجاجات أخرى كان للمغرب موعد معها في مختلف المدن والقرى، وفي أكثر من مناسبة، وفي محطات متفرقة من عقد التسعينيات وبداية الألفية الثالثة بأشكال ومضامين متنوعة.

وتعتبر انتفاضة (الدباغين)³ في فاس سنة 1873م أول تمرد ارتبط ببناء الجهاز السياسي العصري. وقد أشار عبد اللطيف منوني إلى أنها أول ثورة عمالية في المغرب المعاصر.

كان أوله مع انتفاضة 23 مارس 1965م، فلأول مرة منذ الاستقلال، شهد المغرب انفجار اجتماعي حضري انطلق أولا من الدار البيضاء، والذي أعقب مرسوم وزير التربية الوطنية (يوسف بلعباس) القاضي بحرمان فئة عريضة من أبناء الشعب

² ويعنى به مكناس ومولاي إدريس زرهون مجال اندلاعها.

³ ثورة الدباغين تعتبر أول حركة اجتماعية لطبقة العمال، وتعتبر كمثال للعصيان الضريبي وذلك لارتفاع الضرائب على طبقة العمال وكان من بين أهم أسباب ارتفاع هذه الضرائب هو حرب تطوان 1859-1860 وانهازم المغرب في الحرب وفرض الإسبان على المغرب ضريبة باهضة والسبب الثاني هو الحماية القنصلية (أكثر من 20 ألف تاجر محمي)؛ أي بقاء هؤلاء التجار الكبار والأغنياء من دون ضرائب لأنهم محميين من قبل الدول الأوروبية وحتى أمريكا والبرازيل، السبب الآخر لهذه الثورة هي فتوى الفقهاء بفاس للعصيان ورفض دفع الضريبة لأنها غير مشروعة.

المغربي من التمدرس، لتصل فيما بعد شرارتها إلى العديد من المدن كالرباط، مراكش، فاس، مكناس. فخرج التلاميذ للاحتجاج بدءا من 22 مارس 1965 والتحق بهم المعطلون والعمال، لاسيما وأن 18 فيفري عرف تسريحات جماعية للعمال في عدد من القطاعات (التجارة، الصناعة...)، وفي يوم 23 مارس 1965م عرفت الانتفاضة مواجهات عنيفة بين الدولة والمحتجين. وكانت الحصيلة عددا مهما من القتلى والجرحى والمعتقلين، بينما لم تتحدث السلطات سوى عن 7 قتلى. وصحيح أن المغرب عرف قبل هذا التاريخ بعض الحركات الاحتجاجية العنيفة مثلا كتمرد (عدي وبيهي) في السنوات الأولى من الاستقلال (عدي وبيهي: هو رمز من رموز مغرب الاستقلال، عضو "بالحركة ذات التوجه الأمازيغي أو الجبهة الأمازيغية" والتي يعتبر واحدا من أبرز أعضائها إلى جانب مبارك البكاي والحسن اليوسي، والمحبوبي احرضان، والقائد الطاهر أو عسوا، وامهروق قائد زيان. ويطلق عليهم جون واثر بوري اسم: المجموعة التي يربطها بالقصر ولاء غير مشروط، ويسميه المعطي منجيب "الأعيان الملكيين القرويين"، ويطلق عليهم ريمي لوفو الأعيان القرويين، كما ويطلق عليهم في كتب المذكرات التاريخية اسم القوة الثالثة وهو اسم يرد عند محمد عابد الجابري، الذي ربط ظهورهم بمحادثات اكس لبيان. وتعرف هذه المجموعة بمساندتها للقصر قصد إضعاف حزب الاستقلال وهو الأمر الذي ترتبت عنه عدة أحداث في السنتين الأولى اللتين أعقبتا استقلال المغرب، وأبرزها "أحداث تافيلالت أو ما عرف بتمرد (عدي أو بيهي)" عامل إقليم تافيلالت في يناير 1957. والدراسات حول هذا الموضوع نادرة باستثناء الدراسة التي قام بها عبد اللطيف جبرو الذي جمع قصاصات جريدة العلم (لسان حزب الاستقلال)⁴.

⁴ إيمان الرامي، "الاحتجاج ومؤشرات الفقر بحواضر المغرب: حالة إقليم الحسيمة بالريف المغربي: مساهمة في سوسيولوجيا التنمية بالمغرب"، مجلة سوسيولوجيا الجزائر، جامعة الرباط، المغرب، 2019، ص 409.

إلى جانب تمرد (عدي ويهي) كانت هناك أحداث الريف عام 1958، جاءت هذه الانتفاضة كنتيجة لتهميش منطقة الريف وبالضبط المناطق التي أعلن فيها محمد بن عبد الكريم الخطابي قيام جمهورية الريف، بعدما دعا الحاج سلام أمزيان كل الريفيين الذين توجد مناطقهم تحت نفوذ جيش التحرير إلى الاعتصام بالجبال وعدم التعامل مع المخزن، فأسست "حركة التحرير والإصلاح الريفية" وأصدرت ميثاقها يوم 7 أكتوبر 1958، الذي تضمن 14 مطلب أهمهم كان "العمل على تسيير الريف من طرف الريفيين. وعليه شكل الثوار تنظيماً مسلحاً أطلق عليه اسم "جبهة النهضة الريفية". ومع بداية سنة 1959 وبالضبط يوم 9 يناير بدأت مناورات الدولة لسحق الريف عند وصول الحسن الثاني والذي كان ولياً للعهد آنذاك رفقة الجنرال أوفقيير، إذ تم إعطاء مهلة لا تتعدى 48 ساعة لاستسلام الثوار وهو ما تم رفضه، لتكون النتيجة الهجوم على (ايت بوعياش، امزورن، أربعاء تاويريرت) وغيرها من المناطق، وفي فبراير من نفس السنة تعرض الريف إلى القصف الجوي لمدة أسبوع لتظل المنطقة إلى حدود 1962 منطقة عسكرية.

و عموماً بقيت هذه الحركات في الغالب مقتصرة على البوادي. وبالتالي تعد أحداث مارس 1965م أول حركة احتجاجية تتجاوز المجال الذي انطلقت منه، لتكون بذلك من أهم الاحتجاجات الاجتماعية التي عرفها المغرب، كما يلاحظ من خلال حجم الخسائر والأضرار التي لحقت بالممتلكات العمومية والخاصة، فضلاً عن عنف المواجهة بين السلطات العمومية والمحتجين. ويمكن القول على أن لأحداث مارس أسباب متعددة، فعلاوة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي ساهم من دون شك في تأجيج غضب المواطنين، توجد أسباب أخرى تختزل في تعطل الحياة السياسية بإعلان "حالة الاستثناء"، وتنامي سياسات الخصخصة وتفكيك القطاع العام، وضرب التنمية الاجتماعية. إلى جانب تجويف المخطط الخماسي (1960-1964)، ثم عجز

الحكومة على حل مشاكل المواطنين والمرتبطة أساسا بالتعليم، التشغيل، الصحة، السكن.. الخ، إضافة إلى تضخم منسوب التمدن السريع الذي عرفته بعض المدن المغربية، وعلى قائمتها الدار البيضاء، الشيء الذي أدى إلى تنامي الأحياء الصفيحية وهي التي كانت تأوي بالدرجة الأولى النازحين إلى المدن، وبالتالي انتشار الفقر والبطالة وتزايد حدة الفوارق الاجتماعية وضعف آليات الضبط الاجتماعي التقليدية كالأسرة مثلا. وبالجملة انفجرت أحداث عنف تلقى على إثرها الحقل الاجتماعي والسياسي والنقابي ضربات موجعة خلال وعقب هذه الاحتجاجات التلاميذية⁵.

وبعدها في 1981م، هي الأخرى انطلقت من الدار البيضاء، على إثر قرار الحكومة القاضي بالزيادة في أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية، إذ دعت الكونفيدرالية الديمقراطية للشغل إلى إضراب عام يوم 20 يونيو 1981م، فانطلقت المظاهرات بكل من الدار البيضاء والرباط لتقابل بعنف شديد من طرف أجهزة الأمن. وهي أول مرة تتجاوز فيها النقابات مطالبها المعتادة حول تحسين شروط العمل واحترام الحريات النقابية لتطرح مطالبا حساسا ذو صبغة سياسية، مفاده الإلغاء الكلي والفوري لكل الزيادات التي عرفتها المواد الاستهلاكية الأساسية. وكغيرها من انتفاضات هذه المرحلة كانت الحصيلة كارثية العديد من القتلى والجرحى والمعتقلين وخسائر جسيمة في الممتلكات العمومية والخاصة.

لقد عبرت هذه اللحظة الاحتجاجية عن عمق الأزمة البنيوية والاختلالات التنموية التي طبعت المغرب خلال هذه الفترة، وقد بدت الدار البيضاء كتجسيد مصغر للمجتمع المغربي بكامله، ففيه من جهة، تتمركز أغلب الأنشطة الصناعية والبنيات التحتية والإيداعات البنكية، ومن جهة أخرى مجال للمفارقات الصارخة، حيث يظهر بجلاء ثقل كتلة الشباب العاطل والهجرة القروية والتضخم السكاني البالغ تعدادا سكانيا

⁵ نفس المرجع، ص 411.

حوالي 263 ألف نسمة حسب إحصائيات 1982م أي بما معدله 12% من مجموع سكان المغرب و 26% من مجموع السكان⁶. الحضريين، وهو ما يكشف مقدار الفجوة الفاصلة بين الحاجيات الاجتماعية للمواطنين والسياسات التنموية للدولة. وفي سنة 1984م، فبعد مرور أقل من أربع سنوات على اندلاع حركة 20 يونيو 1981م، سيعرف المغرب من جديد حركة اجتماعية خلفت هي الأخرى، جرحى وقتلى واعتقالات، وبخاصة في صفوف التلاميذ والطلبة وحركة إلى الأمام مرة أخرى، واتخذت في أعقاب ذلك جملة من الإجراءات القاضية بالحد من اتساع المد الحركي الإسلامي، لاسيما وأن الحركة تزامنت مع انعقاد مؤتمر القمة الإسلامي الرابع بالدار البيضاء، فضلا على أن ثقل وزن الحركات الإسلامية كان أقوى. وبالتالي فقد ركزت السلطات العمومية اهتمامها على الحقل الديني وتمثل ذلك أساسا في مراقبة المساجد، وعدم السماح لعموم المسلمين بالدخول إليها خارج أوقات الصلاة، إضافة إلى تقنين وضعية الخطباء والفقهاء وأئمة المساجد، وتكوينات رجال الدين. وعلى خلفية ذلك تم تعيين خمسين عالم برتبة قائد ممتاز في فبراير 1984م، وبالمقابل تم توقيف ستة وعشرين مؤذنا خلال الفترة الممتدة ما بين 1988م- 1991م. إن انقض المغاربة، احتجاجا على غلاء المعيشة وتردي الأوضاع السياسية والسوسيو اقتصادية بالبلاد، وقد مست هذه الاحتجاجات خمسون جماعة محلية تقريبا على امتداد شهر يناير. في 1983م اندلعت الأحداث في البداية كاحتجاج تلاميذي بمراكش قبل أن تشمل مدن أخرى كالرباط وأغادير وفاس ومكناس، ضد مشروع قرار حكومي يهيم زيادة في رسوم التسجيل⁷، وقد أصدر في أعقاب ذلك تكذيب وزاري بهذا الشأن، غير أن هذا لم يمنع من خروج عدد لا بأس به من الحركات الاحتجاجية والتي تزعمها التلاميذ، وأدت

⁶ نفس المرجع، ص 413.

⁷ زيادة بخمسين درهم في رسوم التسجيل بمستوى البكالوريا ومائة درهم بالكلية.

إلى حدوث مواجهات عنيفة بين المحتجين وقوات الأمن، لتنتقل موجة من الاعتقالات في كل من بني ملال - خريبكة - أغادير - القصر الكبير - فاس - الرباط، إضافة إلى مراكش التي استفاقت على وقع إضراب عام يوم 3 يناير 1983م.

وبتاريخ 5 يناير 1984م، اندلعت من جديد العديد من الإضرابات والمظاهرات بعدة أحياء شعبية والتي عرفت هذه المرة مشاركة فئات اجتماعية مختلفة، وفي يوم 11 يناير انتهت الاحتجاجات بمراكش، لتنتقل إلى الشمال، وبالضبط للحسيمة والناضور وتطوان، وهكذا اندلعت اضطرابات خطيرة تخللتها أعمال نهب للمرافق العمومية.

وقد خلف تدخل قوات الأمن عدة ضحايا، كما تمت اعتقالات عديدة وظلت هذه المدن محاصرة لعدة أيام من طرف القوى الأمنية، ولم تهدأ الأوضاع إلا يوم 23 يناير⁸ وهو ما جعل النقابات والأحزاب السياسية تبراَ نمتها من هذه الحركة، خاصة وأن الحسن الثاني خرج في خطاب رسمي يوم 22 يناير 1984م، أشار فيه لصناع هذه الانتفاضة المتوزعين بتفاوت بين الشيوعيين والإسلاميين، وهو نفس الخطاب الذي نعت فيه أهل الشمال "بالأوباش"⁹

⁸ عزيز خمليش، الإنتفاضات الحضرية بالمغرب دراسة ميدانية لحركتي مارس 1965 ويونيو 1981، الجزء الأول، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 2005، ص45.

⁹ من الأشياء التي لها علاقة بأحداث يناير 1984، الخطاب الشهير للملك الحسن الثاني الذي توجه فيه إلى المتظاهرين بالتهديد والوعيد كان خطابا صادما ومخيفا، ويصفه بيرو في كتابه بـ"الظهور المشهود" الذي "أذهل الجميع من الطبقة الدنيا حتى السفراء" تساءل الملك في خطابه بنبرة غاضبة "واش المغاربة رجعو خفاف؟ رجعتو دراري؟ وصلنا لهاذ الحد؟". وتوجه إلى المحتجين من أبناء عدد من مدن الشمال التي انخرطت في الاحتجاجات إذ وصفهم بـ"الأوباش العاطلين اللي عايشين بالتهريب والسرقه"، وبنبرة تهديدية توجه إلى أبناء المنطقة بالقول "الناس ديال الشمال راه عرفو ولي العهد وأحسن ما يعرفوش الحسن الثاني فهاذ الباب". ومما قاله الملك أيضا في خطابه ذلك إن المتظاهرين "في مراكش كما هو الشأن عند جميع المشاعبين، استعملوا الدراري الصغار هوما الأولين زيدهم في المظاهرات"، وقد طال وعيده حتى هؤلاء الصغار بحيث توجه إليهم قائلا: "تنقول لهاذ الدراري الصغار لاباقيش

لقد دشنت حركة يناير 1984م مرحلة جديدة في تاريخ الحركات الاحتجاجية بالمغرب بتأكيدهما على وجود قوة رفض جديدة، لها شعارات وطرق تنظيم خاصة¹⁰. تجدد الاحتجاج مع انتفاضة 14 ديسمبر 1990م¹¹، كانت الانطلاقة من فاس، ارتباطا بالإضراب العام الذي دعت إليه المركزيتين النقابيتين الكونفدرالية الديمقراطية للشغل والاتحاد العام للشغالين بالمغرب، بتنسيق مع النقابة الوطنية للتعليم العالي والنقابة الوطنية للتجار الصغار والمتوسطين. على خلفية ذلك خرج الطلبة والعمال والمعتلون للاحتجاج بمختلف مناطق فاس وهو ما أدى إلى محاصرة المدينة والتصدي للمتظاهرين بالرصاص الحي. نفس الاحتجاجات ستمثل طنجة والبيضاء ومراكش والرباط، احتجاجا على التهميش والإقصاء، والمطالبة بالتنزيل الفوري للعدالة الاجتماعية محملين الدولة مسؤولية ذلك، وهو ما عبروا عنه بإضرام النار وتدمير المنشآت الاقتصادية ومراكز الشرطة وحرق السيارات والحافلات. وكانت مسألة إدماج الشباب وتشغيلهم في واجهة المطالب المرفوعة، وهو ما سيدفع بالحسن الثاني إلى الإعلان عن تأسيس

يعاودو يتمازحو معانا راه الأمر تعطى باش حتى هو ما يجري عليهم ما تجري على الكبار"، كما توجه إلى الأساتذة قائلا "وتنقول للأساتذة راه معروفين أنهم هو ما اللي تيقولو ليهم يديرو الإضراب".

¹⁰ جاءت احتجاجات يناير 1984 في ظل سياق اجتماعي وسياسي واقتصادي، يطبعه بالخصوص غلاء الأسعار والتضييق على الحريات، وقد بدأت الشرارات الأولى لاندلاع تلك الأحداث في أواخر سنة 1983. في كتابه "صديقنا الملك" يتحدث جبل بيرو، عن الظروف الاقتصادية الصعبة التي طبعت تلك الفترة بحيث "فرض صندوق النقد الدولي والبنك الدولي تقليص النفقات وزيادة الموارد التي تمت على حساب الأكثر فقرا". و "في أبريل 1983 أعلنت زيادة مروعة في الأسعار"، ويضيف أن هذا "لم يكن كافيا" "طلب صندوق النقد الدولي المزيد"، وفي ديسمبر "أعلن الملك على شاشة التلفاز إجراءات تقشف جديدة"، وفي السياق نفسه، يلفت المصدر إلى أن "تكاليف المعيشة تضاعفت خلال ثلاث سنوات، بينما جمدت الأجور والرواتب منذ سنتين".

¹¹ Jean Claude Santcci, *Soulevement urbains, proces en chaine et repression politique*, AAN 1984, PP 899.903.

المجلس الوطني للشباب والمستقبل في أعقاب هذه الحركة ووضع مسألة التشغيل في قلب جدول سياساته¹².

كانت هذه أقوى الحركات الاحتجاجية التي عرفها المغرب المعاصر، والتي كلفت المغرب خسائر مادية وبشرية كبيرة. ولم يتوقف مسار الاحتجاجات في بعدها الحضري والقروي عند هذا الحد، بل امتد إلى العديد من المجالات، وهذا لا يعني أن جميعها قد اصطبغت بنفس اللون.

المطلب الثاني: العنف السياسي في سياق مظاهرات الحُسيمَة

يطرح النزوع نحو العنف السياسي والمطالب الهوياتية المرتبطة به إشكالات متعددة الأبعاد في المغرب، منذ قيام حركة 20 فبراير 2011م¹³ ضمن سياق ما يصطلح

¹² Mounia Bennani Chraïbi, **Soumis et Rebelles : Les jeunes au Maroc**, Editions le Fenec, 1995, P284.

¹³ نشأت حركة 20 فبراير 2011م في مناخ الانتفاضات الشعبية التي عمت تونس ثم مصر، في سياق أحداث الربيع العربي، والتي أطاحت أنظمة سياسية موصوفة بالاستبداد والفساد والتبعية...؛ فقد دعا شباب مغربي، عبر مقطع فيديو قصير، إلى التظاهر في 20 فبراير 2011، سرعان ما تلتها دعوات شبابية متتالية، عبر وسائل التواصل الاجتماعي، تطالب بإصلاحات سياسية، وتحرض الشعب على النزول إلى الشارع، والتظاهر بكثافة لفرض مطالب التغيير والإصلاح. وقد انضم الآلاف من الشبان المغاربة إلى الحركات الاحتجاجية التي دالت، يوم 20 فبراير 2011، العشرات من المدن والمناطق المغربية، رافعة شعار: "حرية، وديمقراطية الآن"، "الشعب يريد التغيير"، "من أجل الكرامة". وفي حمأة هذه الدعوات والتحركات الحماسية، قررت عشرون هيئة حقوقية مغربية، دعم الحركات الاحتجاجية التي دعا إليها النشطاء الشبان عبر موقع فيسبوك يوم 20 فبراير 2011م، كما انضمت (جماعة العدل والإحسان) الإسلامية إلى الحركة، وهي فريق إسلاموي، معارض، متشدد.

وقد تضمن البيان التأسيسي للحركة، الذي أعلن عنه في 17 فبراير 2011، في مؤتمر صحفي، مزيجا من المطالب الماكرو-سياسية، والإجراءات السوسيو-سياسية.

- المطالب الماكرو سياسية، طالبت الحركة ب(دستور ديمقراطي)، يجسد (الإرادة الحقيقية للشعب)، ويرسي (ملكية برلمانية)، و(حل الحكومة والبرلمان)، وتشكيل (حكومة انتقالية مؤقتة تخضع لإرادة الشعب)، وإرساء قضاء (مستقل ونزيه)،...إلخ.

عليه بالربيع العربي. إذ ينتظر من الدولة الاستجابة الفورية لعدد هائل ومتصاعد من المطالب المادية والاجتماعية للمواطنين، بالإضافة إلى المطالب السياسية والرمزية المتعلقة بالاعتراف بالهويات الجماعية والفردية للحركات الاحتجاجية (النسائية، الطلابية، العاملة، الجهوية، ...). وهي مطالب متصلة في جوهرها باحترام الحقوق الأساسية الفردية والجماعية لهذه الحركات، بما يترتب عن ذلك من مخاطر أمنية وسياسية تقوض حتما استقرار الدولة وتوازن مؤسساتها وقدرتها الذاتية الإستقبالية والتوزيعية التي تمكنها من الاستجابة والتعامل معها.

يحدث هذا في سياق اجتماعي وسياسي إقليمي يتأرجح بين ثنائية السلطوية والأنوقراطية (Anocratie)¹⁴، يقوم أساسا، ولو تفاوتت في الدرجات، على منطق التدبير الشخصاني لوحدة الدولة والعقيدة والشعب وللمجال بدلا من التدبير المؤسسي العقلاني للاختلاف

- أما الإجراءات السوسيو-سياسية، فقد ركزت على المطالبة بـ (إطلاق كل المعتقلين السياسيين ومعتقلي الرأي ومحاكمة المسؤولين)، ومحاربة الفساد (ومحاكمة المتورطين) في قضاياها، و(الاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة رسمية، إلى جانب العربية)، و(الادماج الفوري والشامل للمعتقلين في أسلاك الوظيفة العمومية)، و(تمكين عموم المواطنين من ولوج الخدمات الاجتماعية وتحسين مردوديتها)، و(ضمان حياة كريمة، والحد من غلاء المعيشة، ورفع الأجور، وتعميم الخدمات الاجتماعية)...إلخ.

وقد شكلت هذه المطالب المرفوعة، والإجراءات المطروحة، بؤرة استقطاب سياسي، لقطاعات متنامية من الشباب، انخرطت في تظاهرات، ومسيرات، شملت أزيد من خمسين مدينة ومنطقة مغربية، بوتيرة حركة تظاهراتية في كل شهر، ثم في كل أسبوع، وذلك في سياق (حركة جماهيرية)، حرصت على استقلالية قراراتها وأجندتها إزاء القوى السياسية والمجتمعية بالبلاد. أنظر: محمد الاخصاصي، الإصلاحات في المغرب: الحصيلة والمستقبل، في: مستقبل التغيير في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، نوفمبر 2015، ص22.

¹⁴ الأنوقراطية (Anocratie) هي نظام حكم هجين أو انتقالي لا هو أوتوقراطي ولا ديمقراطي بالمعنى الدقيق للمفهوم بالنظر إلى كونه لا يملك مقومات القمع كما في الأنظمة الديكتاتورية ولا المؤسسات السياسية الديمقراطية التي قد تمتص التعدد السياسي والهوياتي. التقرير السنوي لمركز السلم الشامل لسنة 2014م حيث صنف الأنظمة العربية إلى أوتوقراطية وأنقراطية في خارطة توزيع أنظمة الحكامة في النظام الدولي. انظر:

Global Report 2014 : Conflict, Governance and State Fragility Monty G.Marshall and Benjamin R.Cole, Center For Systemic Peace, Vienna, p 23.

والتعدد الذين يطبعان المجتمعات المعاصرة ذات البنى القيمية والمؤسساتية المعقدة. ولعل ذلك ينعكس مباشرة على تعقيد، بل وتعطيل، صيرورة الانتقال نحو الديمقراطية ودولة القانون والمؤسسات ويعظم مخاطر العودة إلى السلطوية، كلما عجزت المؤسسات الرسمية عن تلبية ومعالجة المطالب الاجتماعية والهوياتية، كما يضاعف جديا احتمالات لجوء الحركات الاحتجاجية إلى العنف كلما استحال عليها تحقيق مطالبها الاجتماعية والثقافية عبر القنوات المؤسساتية التقليدية، وكلما اطردها تجاه إمكانية تحقيق ذلك في المستقبل المنظور¹⁵.

إذ يظل العنف في هذا السياق آلية كلاسيكية للتبادل الاجتماعي، يلجأ إليها الفاعلون السياسيون والاجتماعيون لتحقيق مطالبهم الهوياتية وأهدافهم السياسية المرتبطة بها، كلما تصوروا أن بنية الفرص التي يتيحها فعليا تفوق بشكل جلي تلك التي يمكن تحقيقها عبر القنوات الرسمية وعبر الاحتجاج السلمي والمفاوضات. كما يمكن الجزم على أن العنف السياسي يتضمن بالضرورة بعدا هوياتيا، يرتبك بتمثلات الفاعلين المؤسسة لهويتهم المشتركة وللمخاطر التي تهددها في محيطها السياسي والمؤسسي والثقافي. ذلك التمثلات الجمعية المتعلقة بالهوية تحدد في الغالب مضمون وحجم سجل العمل الجماعي للحركات الاحتجاجية، إضافة إلى نوع ومثانة الروابط المهيكلة لبنيتها التنظيمية¹⁶.

من هذه الفرضية، نستطيع التأكد أن العنف السياسي هو عنف هوياتي يرتبط بتصوير الفاعلين لذواتهم وللعالم المحيط بهم. غير أن العنف الهوياتي ليس كله بالضرورة عنفا سياسيا، وهذا يرجع إلى كونه لا يستهدف الوصول إلى السلطة؛ بل قد

¹⁵ Gurr, T.R. Why Men Rebel, Princeton: Princeton University Press, 1970, P13.

¹⁶ عبد الحميد بنخطاب، حول العنف السياسي في سياق الحراك الاجتماعي في المغرب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2017، ص 89.

يكون تعبيراً فقط عن السعي البروز (La Visibilite) الاجتماعي والثقافي لجماعة معينة، إذا ما أحست بتهديد من طرف الدولة أو جهة أخرى منافسة لها، إذ يصبح العنف في هذا السياق أداة لإثبات الوجود الاجتماعي للجماعة وليس أداة لوصول السلطة السياسية¹⁷. بناء على ذلك يعد العنف الهوياتي أشمل وأوسع من العنف السياسي باعتباره قد يشمل جميع أشكال العنف الفردي أو الجماعي، بما فيه العنف السياسي الذي ينتجه النظام الاجتماعي ضمن صيرورة تشكله التاريخية.

الفرع الأول: تصنيف المطالب السياسية للحركات الاحتجاجية

يمكن تصنيف الحركات الاحتجاجية في المغرب إلى صنفين أساسيين، يتفاوت فيهما سجل اللجوء إلى العنف حسب طبيعة مرجعيتها النضالية وبنائهما وأهدافهما السياسية ثم درجة تسامح السلطات العمومية لهما:

1. الحركات الاحتجاجية ذات الخلفية السياسية: تنتمي هذه الحركات من الناحية القانونية والتنظيمية للمجتمع المدني، فإنها قد ترتبط إما مذهبياً أو تنظيمياً بالأحزاب السياسية ذات الهوية السياسية المعارضة للنظام السياسي أو للسياسات العمومية الرسمية من قبيل: الجهات النقابية لجزء من الأحزاب السياسية وبعض هيئات الدفاع عن حقوق الإنسان والحركات النسائية وغيرها... وهي هيئات ترتبط مذهبياً إلى عائلة الحركة الوطنية والأحزاب اليسارية والإسلامية، كحزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والتقدم والاشتراكية والاشتراكي الموحد والطلبة الديمقراطي الاشتراكي والعدالة والتنمية... أو إلى المركزيات النقابية الكبيرة كالاتحاد المغربي للشغل والكونفدرالية الديمقراطية للشغل

¹⁷ Philippe Braud, La violence politique : repres et problemes, Cultures&Conflits, تم التصفح

بتاريخ 23-09-2021 على الرابط :

:http://conflits.revues.org

والاتحاد العام للشغالين والاتحاد الوطني للشغل والفدرالية الديمقراطية للشغل¹⁸...

ومن أبرز ما يميز الفعل الاحتجاجي لهذا الصنف من الحركات الاحتجاجية هو طابع السياسي المرتبط أساسا بمطلب تمكينها من الممارسة في السلطة السياسية أو التأثير فيها، وأيضاً طابعه السلمي الذي اكتسب بفعل صيرورة طويلة من الفعل الاحتجاجي والقمع والمفاوضات والصراعات الداخلية، التي أفضت على إحداث تحولات عميقة في تصوراتها لعلاقتها بالنظام، نحو تجاوز العنف والعنف المضاد. وقد أمكن ذلك انطلاقاً من ارتكاز فعلها الاحتجاجي على مثلث المطالب السلمية والمفاوضات والتظاهر السلمي، كآليات لتدبير الأزمات والصراعات وبناء هوياتها السياسية من جهة أخرى. لعل هذا ما يفسر بشكل جلي الحذر الاستراتيجي الذي تعاملت به هذه الحركات (شبيهة بحزب الاتحاد الاشتراكي والاستقلال والتقدم والاشتراكية...) مع حركة 20 فبراير 2011م. إذ عبرت بعض الأحزاب الكبيرة عن تحفظها تجاه الحركة، خصوصاً وأن دعوتها تفتح أشكالاً جديدة للاحتجاج لا تدخل ضمن السجل الاحتجاجي التقليدي لهذه الأحزاب، وبذلك فقد صورت كحركات تحمل في بنيتها مخاطراً حقيقية على السلم الاجتماعي والاستقرار السياسي، في ظل الغموض الذي يعكس هوية مسؤوليها وأهدافهم السياسية¹⁹.

¹⁸ ينص الفصل 11 من القانون المنظم للتجمعات العمومية الصادر في 15 نوفمبر 1958 "لا يسمح بتنظيم المظاهرات بالطرق العمومية إلا للأحزاب السياسية ولمنظمات النقابية والهيئات المهنية والجمعيات المصرح بها بصفة قانونية..."

¹⁹ أعلن حزب التقدم والاشتراكية بأنه لن ينخرط إلا في الحركات السياسية والاجتماعية المنظمة والمسؤولة... فيما أكد قياديو حزب العدالة والتنمية أن حزبهم غير معني بمسيرة 20 فبراير، أما الاتحاد الاشتراكي فقد تخوف من المخاطر الثلاث التي قد تؤثر بمسلسل الإصلاح في المغرب وهي الانفصال، الإرهاب والفساد تاركاً الخيار لشبيحته بالانخراط في النقاش والمظاهرات بشكل منفصل عن الحزب... فيما أكد محمد الهلالي النائب الثاني لرئيس حركة

على هذا الأساس تتقاطع الهوية السياسية لهذه الحركات، في مرجعيتها وغاياتها مع المرجعية الهوياتية للنخب المتحركة في القرار السياسي في المغرب، حتى وإن تباينت المواقف واختلفت التصورات بينها حول بعض القضايا السياسية والاجتماعية الظرفية.

2. **الحركات ذات الطابع المدني:** هي كل الحركات والتنظيمات المنظمة أو العفوية المستقلة عن المجتمع السياسي وعن المجال الاقتصادي. أي تلك التنظيمات الطوعية المنتمية إلى المجتمع المدني التي لا تضع ضمن أهدافها الوصول إلى السلطة السياسية أو تحقيق الربح المادي. وبالرغم من تعدد تعريفاته، يمكن تعريف المجتمع المدني *La société civile* كذلك الفضاء الاجتماعي المنظم ذاتيا و المستقل نسبيا عن الدولة والأحزاب السياسية وعن السوق الاقتصادي ويتكون هذا الفضاء من نسيج متشابك و متعدد الأطياف من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية الفاعلة في الحياة العامة، التي ترفع و تعبر وتدافع بشكل حر عن اهتمامات وقيم أعضائها وفقا لمرجعيات و هويات أخلاقية أو ثقافية أو سياسية أو علمية أو دينية أو خيرية مشتركة، مثل: الجمعيات المحلية و الترابية، والمنظمات الخيرية، والمنظمات الثقافية والرياضية، المنظمات الحقوقية والنسائية والهيئات المهنية والمنظمات غير الحكومية²⁰.

التوحيد والإصلاح "أن موقف الحركة لم يكن ضد مبادرة 20 فبراير، لكن من حق الحركة أن تقرر مع من تتجارب ومتى تتفاعل مع هذه الدعوة أو تلك. هذا من ناحية، لكن في العمق، وبعد استعراض المعطيات في سياقها العربي والمغربي، وقفنا على حجم الهوة بيننا وبين الأطراف الأساسية الداعية أو الداعمة لهذه المبادرة في بداياتها، فضلا عن توجسنا من المآلات التي قد تفضي لها المبادرة 06". تم التصفح على

الرابط: <http://orema.ma/news167.html>

²⁰ بالرغم من كون الاستقلالية عن الدولة والأحزاب والتنظيمات الاقتصادية تعد معيارا أساسيا لتعريف المجتمع المدني فإنها تظل نسبية بالنظر إلى استحالة وجوده في غياب اعتراف قانوني وسياسي من الدولة من جهة ودعم مادي من قبل الفاعلين الاقتصاديين من جهة أخرى.

يأتي نزوع العديد من منظمات المجتمع المدني نحو الاحتجاج عموماً، انطلاقاً من عاملين أساسيين²¹:

أ. طبيعة المرجعية الهوياتية للمنظمات المعنية (لغوية، جهادية، ماركسية، انفصالية، ثقافية...). إذ كلما كانت هوياتها الجماعية والإيديولوجية قوية و متماسكة، كلما انعكس ذلك على قوة تنظيمها وقيادتها وتشعبت بمنطق الاستقلال التنظيمي والمادي عن الدولة والمجتمع السياسي بما يتيح لها إمكانية الصراع والمواجهة وحتى الإقصاء مع مؤسسات الدولة ومع المنظمات والحركات الحاملة لهويات مختلفة، كلما كانت لديها حاجة في عرض قوتها وفرض مطالبها وخلق فرص للظهور في المجال العمومي واستقطاب المناضلين.

ب. نوعية التصورات المؤسسة للعلاقة مع السلطة السياسية ومؤسساتها، إذ كلما كانت هذه التصورات متوترة وصراعية، كلما ازداد القمع الموجه ضدها وضد قادتها. حيث أن التوتر في العلاقة بين السلطة والتنظيمات المدنية يأتي في الغالب انطلاقاً من إرادة هذه الأخيرة المعلنة (العدل والاحسان والفصائل الطلابية اليسارية، انفصاليو الداخل) أو المبطنة (الجمعية المغربية لحقوق الإنسان فصيل النهج الديمقراطي القاعدي، بعض تيارات حركة 20 فبراير...) في تحقيق تغيير جذري في الدولة ومؤسساتها، قد يكون سلمياً كما قد عنيفاً إذا ما اقتضت الضرورة السياسية، بل قد تشرعنه وتجد له سنداً من حيث كونه عنفاً مشروعاً وعادلاً ضد الكفر والاستبداد²².

²¹ عبد الحميد بنخطاب، إشكالية العنف الهوياتي على ضوء الحراك الاجتماعي في المنطقة العربية: نموذج المغرب، تصفح بتاريخ: 14-06-2021 على الرابط: <https://cerss.org/archives/>

²² يرى عبد السلام ياسين إمام جماعة العدل والإحسان "لو قدرنا أن نتجنب استعمال السلاح ضد الأنظمة الفاسدة، ونقاطها حتى تشل حركتها، ويسقط سلطانها، وترذل كلمتها كما فعل في إيران، لكان ذلك أشبه بروح الإسلام الذي

من هنا تبدأ دائرة المواجهة بين المجموعة وبين الدولة، التي قد تتطور من مجرد عنف خطابي تحريضي إلى عنف مادي متبادل. حيث يتم تبرير التصعيد من طرف المجموعة كرد فعل مؤسس تجاه القمع والتهميش التي يطالها، بما يقلص لديها الخيارات المطروحة ويوجهها تدريجيا نحو العنف بجميع اشكاله، باعتباره خيارا نضاليا ملائما في انتظار فرص سياسية أقل كلفة. كما أن الغاية وراء النزوع غير المعلن لهذه المنظمات نحو الصراع مع مؤسسات الدولة قد يتم تبريره بشكل ضمنى كفعل سياسي ثوري (التنظيمات ذات المرجعية الماركسية) أو جهادي (التنظيمات الدينية والدعوية) أو وطني (التنظيمات الانفصالية) لإضعاف الدولة ومؤسساتها في أفق تحقيق هدف سياسي أسمى قد يكون إرساء الخلافة أو قلب نظام الحكم أو الانفصال عن الدولة أو إحداث تغييرات جذرية في هندستها وشكلها.

غير أنه باستثناء التنظيمات الانفصالية ذات النزوع الإيديولوجي الطبيعي نحو الصراع والعنف مع الدولة و المجتمع، لا تدعو التنظيمات الأخرى بالضرورة إلى العنف في فعلها الاحتجاجي، بل قد تدينه وتشجبهه و تتبرأ منه مسبقا بيد أن ذلك لا يمنعها من أن تُنتج بشكل عفوي من خلال تصوراتها ومطالبها الراديكالية وعلاقاتها المتوترة مع السلطات العمومية إذ انها غالبا ما تكون نفسها ضحية لعنف السلطات العمومية، الذي يتم تبريره كدفاع عن الأمن العام في غياب شرعية الاحتجاج، فيما هو في الأصل نوع من القمع الذي تمارسه الدولة على هذه الحركات كمؤشر على قوتها من جهة وكتحذير موجه إلى المقاولين السياسيين والمناضلين.

يوصي ألا تسفك دماء المسلمين بينهم...على أن المقاومة والمقاطة الصابرة، متعاقبين، قد لا تتأتى ظروفهما في كل قطر من أقطار الإسلام. وقد لا يناسب هذا الأسلوب حالات يكون فيها الحاكم الباطش متمثلا في شردمة ثعلبية مستأسدة..."، رجال القومة والإصلاح، دار لبنان للطباعة والنشر، 2001، ص36.

الفرع الثاني: التدبير السياسي للمخاطر المتعلقة بالعنف الهوياتي

يبدو أن ما يميز السياق السياسي المغربي عن السياقات السياسية لدول المنطقة، ليس انعدام العنف الهوياتي في ذاته، ما دامت الشروط الاجتماعية والثقافية المنتجة لهذا الأخير هي نفسها-ولو بدرجات متفاوتة- في كل الدول، بل نوعية وكمية الفرص السياسية التي يتيحها النظام السياسي للحركات الاحتجاجية وللعنف السياسي، حيث تظل قليلة مقارنة مع الفرص التي يتيحها التفاوض والاحتجاج السلمي. إذ ما الذي يفسر أن المغرب يعد من بين الدول الأكثر تصديرا للجهاديين في العالم، دون أن ينعكس ذلك بشكل مباشر على السلوك الاحتجاجي للتنظيمات الاجتماعية والسياسية الوطنية، الذي ظل في عمومها سلميا؟ هل هو ضعف إنتاج المجتمع المغربي للعنف الجماعي مقارنة مع المجتمعات العربية؟ أم أن الأمر يتعلق أساسا بالخبرة العالية التي اكتسبها النظام السياسي المغربي في استباق ومكافحة وقمع الحركات الاحتجاجية العنيفة، إضافة إلى قدرته على تقليص قدرتها على تعبئة الموارد وتوزيعها على مناضليها بما يحقق ولائهم وانخراطهم المستديم.

تعامل الدولة مع الحركات الاحتجاجية قد يشمل أيضا تجريدتها من الموارد التي قد تسمح لها بالديمومة والتوسع. إذ يمكن اعتبار الدعم التنظيمي وقدرة الحركة على الدخول في تحالفات وشبكات احتجاجية أوسع والانسجام الهوياتي والوقت المستثمر، من المتغيرات الأساسية في تاريخ الحركة باعتبارها موارد حيوية لوجود ونمو الحركات الاحتجاجية، التي قد تحدد تحولها نحو حركات اجتماعية مؤسسة ذات هوية جماعية قوية تسمح لها بالدخول في صراع مع الدولة أضرار بنيوية.

في هذا السياق، يمكن التأكيد أن السلطات العمومية استطاعت أن تعرقل جهود حركة 20 فبراير وحركة المعطلين والمجموعات الجهادية والفصائل الطلابية الراديكالية

لتوحيد صفوفها وبناء تنظيمات مستديمة عبر منعها قانونيا وبشكل ممنهج من التأسيس والتجمهر والتظاهر بدون ترخيص ومن جمع الأموال والتبرعات سواء كانت عمومية أو خصوصية. مما انعكس بشكل أو بآخر على فعاليتها التنظيمية والتأطيرية للاحتجاج واستمراريته، كما شل جل قدراتها التوزيعية للموارد على المناضلين والنشطاء. غير أن هذا الشلل لا ينسحب على جماعة العدل والإحسان، التي استطاعت إلى حد كبير تجاوزه نظرا للهوية العقديّة (الصوفية والسياسية) القوية التي تؤسس لفعالها الاحتجاجي، من جهة، وللدور الريادي الكبير الذي لعبه إمامها الشيخ ياسين في التنظير وتوحيد الآراء والتعبئة السياسية للمناضلين بما انعكس إيجابيا على الفعالية التنظيمية والتوزيعية للموارد لدى الجماعة من جهة أخرى²³.

كما عرقلت الدولة بشكل حازم جميع محاولات التشبيك وبناء التحالفات بين الحركات الاحتجاجية، حيث عمدت في العديد من الأحيان إلى التشويش على محاولاتها لبناء تحالفات مذهبية ومصالحية دائمة تسمح لها بتجاوز هشاشتها التنظيمية. كما سعت الدولة إلى الركوب على التناقضات السياسية والمجالية والقطاعية واللغوية والثقافية البنوية لهذه التنظيمات، لأجل عزلها عن محيطها وإجبارها على الاكتفاء بمجالها الترابي والقطاعي الضيق. حيث أن التناقضات الحاصلة داخل هذه الحركات قد تم استغلالها لإضعافها ومنعها من بناء تحالفات وتوافقات قد تقضي إلى زعزعة الاستقرار السياسي في البلاد إذا ما كتب لها النجاح والاستمرار. فالصراع الإيديولوجي بين الفصائل الطلابية، وبين مكونات حركة 20 فبراير والحركات الجهادية والنسائية والأمازيغية والانشقاقات والمراجعات النظرية والتحالفات الظرفية تدخل في صميم السياسات الأمنية للدولة. فهذه الأخيرة قد تدخلت بشكل ملفت في عزل الحركة الطلابية

²³ عبد الحميد بنخطاب، حول العنف السياسي في سياق الحراك الاجتماعي في المغرب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2017، ص 101.

عن محيطها الاجتماعي والمجالي، عبر قمع أي تظاهرة تخرج عن نطاق أسوار الجامعة وعن طريق تهيات عمرانية للجامعات تعزلها عن مجالها الجغرافي. كما تدخلت عبر المنع والقمع لدفع حركة 20 فبراير إلى التظاهر في الأحياء الهامشية للمدن بدلا من الأحياء الرئيسية (يعقوب المنصور بالرباط بدلا من شارع محمد الخامس، بني مكادة بطنجة بدلا من شارع محمد الخامس، بني بوعياش وإيمزورن بدلا من شارع محمد الخامس بالحسيمة...) ²⁴.

كما كان تدخل السلطات العمومية حاسما في عرقلة وحجب سريان المعلومات والمعطيات السياسية حول هذه الحركات عبر التضييق على جميع وسائل الإعلام التي تتعاطف أو تتفاعل معها، مما أسهم إلى حد بعيد في تدهور وضعية حرية الصحافة في المغرب، بالنظر إلى الاعتقالات والمنع الذي طال العديد من الصحفيين والمنابر الإعلامية ²⁵.

وفي غياب هوية سياسية وتنظيمية موحدة، تعاملت مجمل التنظيمات بنوع من البراغماتية، مع حركة 20 فبراير، حيث تبنت مطالبها بالجملة دون أن تستثمر فيها تنظيميا وبشريا من هذا المنطلق، تبنت الأحزاب السياسية اليسارية والنقابات مجمل مطالب الحركة مع التحفظ على الحركة نفسها، فيما تبنت أحزاب اليسار الراديكالي برمتها واستثمرت فيها سياسيا، لأنها سمحت لها بالتواجد وبالظهور بقوة في الفضاء العمومي واستقطاب شرائح اجتماعية جديدة ما كانت لتصل إليها في غياب الحراك.

²⁴ نفس المرجع، ص 102.

²⁵ من بين المواقع الإعلامية التي تعرضت للتضييق ثم المنع هناك موقع لكم الذي منع فيما اعتقل مديرها على خلفية نشره شريطا منسوباً لتنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي 17 سبتمبر 2013.

أما الحركات الأمازيغية فإنها انخرطت في الحركة وتبنت مطالبها، غير أنها سرعان ما خفت حضورها بعد تلبية متطلباتها بتبني الطابع الرسمي للغة الأمازيغية في الدستور الجديد. نفس التعامل البراغماتي ينسحب على الحركات النسائية التي أعابت على الحركة وجود جماعة العدل والاحسان التي لا تتبنى القضايا النسائية، وحركة المعطلين التي اعتبرت أن مطالبها لا تدخل في سياق المطالب السياسية ما دامت تقتصر حصريا على التشغيل فورا في أسلاك الوظيفة العمومية²⁶.

شكل خطاب الملك في التاسع من مارس 2011 منعطفا سياسيا هاما، نظرا لاستجابة الملك لمجموعة كبيرة من المطالب والشعارات السياسية التي تم تداولها في الحراك دون تفاوض مباشر مع قياداته. كما شكلت لحظة الاستشارة السياسية مع الهيئات السياسية والمدنية التي قامت بها اللجنة الاستشارية لمراجعة الدستور حول المطالب السياسية القابلة للدسترة، لحظة تفاوضية بين الدولة والمجتمع السياسي والمدني، استطاعت من خلالها استباق وتبني مجموعة من مطالبه ثم تحويلها وتقييدها بمجموعة من الشروط والمساطر التي أفرغتها من محتواها في النهاية، بالنظر إلى صعوبة أو استحالة تحقيقها على أرض الواقع. إذ أن مطلب الملكية البرلمانية الذي يرمي إلى تقليص سلطات الملك لجعله يسود ولا يحكم قد تم التعاطي معه في حدوده الدنيا، أي الملكية الدستورية التي يحكم فيها الملك ويسود وفقا لأحكام الدستور، كما أن دسترة الأمازيغية والجهوية والتمثيلية السياسية العادلة للنساء والديمقراطية التشاركية والحكامة وشفافية الدولة ومؤسساتها وسمو القوانين الدولية على القوانين الوطنية... أصبحت أيضا أحكاما دستورية يصعب تحقيقها بالنظر إلى الشروط المسطرية والقانونية التي قيدت بها. من هذه الزاوية، يبدو أن الحركات الاحتجاجية قد خسرت رهانها من حيث

²⁶ عبد الحميد بن خطاب، إشكالية العنف الهوياتي على ضوء الحراك الاجتماعي في المنطقة العربية: نموذج المغرب، تصفح بتاريخ: 2021-06-14 على الرابط: <https://cerss.org/archives/>

ظنت أنها قد ربحتها، خصوصا وأن الدولة في المغرب تتوفر على سجل تاريخي من المفاوضات مع الحركات الاحتجاجية والسياسية التي استطاعت من خلالها ربح الوقت والجهد والالتفاف على مطالبها أو عبر تبنيتها وتحويرها أو عبر استغلال تناقضاتها الداخلية بما يسمح في نهاية الأمر بتحقيق الهدف الأساسي المتعلق باستقرار الدولة ومؤسساتها واستمرارها في الزمن. ولعل ما يفسر استقرار النظام السياسي في المغرب، بالرغم من الأزمات الدورية التي عاشها، يظل في الأساس قدرة هذا الأخير على التفاوض المستمر مع المعارضين والمحتجين من جهة وعلى تعدد القنوات والوسائط التواصلية بينهم حتى في اللحظات السياسية الحاسمة التي تكون فيها الأزمة في أشدها²⁷. إن الهدف من الإشارة إلى هذه الأحداث هو التأكيد على أن الاحتجاجات التي يعرفها المغرب اليوم، ولاسيما، بمنطقة الريف، والتي برز من خلالها دور الحركات الاجتماعية ليست بالظاهرة الجديدة. هذا المعطى يجعل من الحركات الاحتجاجية ظواهر سوسيولوجية شبه عادية أو مألوفة، والتي تمس في العديد من جوانبها ما هو اجتماعي: مثل ارتفاع الفوارق الطبقة، البطالة، الفقر، السكن غير اللائق... الخ، والاقتصادي مثل: الاعتراض على الخصخصة، والثقافي: كالمسألة الأمازيغية، والحقوقية: كتحسين وضعية المرأة... الخ.

و يمكن من خلال المعطيات التي تم بسطها بخصوص طبيعة هذه الحركات، والطريقة التي تطورت بها، وبناء على المواقف المعبر عنها تجاهها، طبيعة المتظاهرين فيها، قراءة تاريخية الاحتجاج²⁸، ورصد الثابت والمتحول فيه، فضلا عن إمكانية فهم تطور

²⁷ عبد الحميد بنخطاب، حول العنف السياسي في سياق الحراك الاجتماعي في المغرب، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، ط1، 2017، ص 105.

²⁸ احتجاجات 1993 لساكنة بيوزنيقة وابن أحمد وتيفلت، عشية الإعلان عن الانتخابات التشريعية.

علاقة الدولة بالمجتمع. ومن جانب آخر تحيل على ملامح التحول التي جعلت الوسط الحضري في قلب اهتمامات الدولة، الشيء الذي دفع هذه الأخيرة للتفكير جديا في إستراتيجية تتعلق بكيفية التحكم بالمدن كمدخل لتجنب الشتات والتصدع، والحفاظ على هيئة الدولة ومشروعيتها، وذلك بمجرد ما بدأت تلوح بعض المشاكل كتلك التي تهم السكن والتربية والصحة والشغل²⁹.

المطلب الثالث: أحداث حراك الريف بالحسيمة

< 1996، احتجاج ساكنة الأحياء العشوائية بالهراوين بمدينة الدار البيضاء، عقب هدم السلطات المعنية لمساكنهم، في نفس السنة كان هناك احتجاج آخر وهذه المرة بتاريخ 18 ديسمبر والذي خص ساكنة "شيشاوة" احتجاجا على مشروع التهيئة الجديد للمدينة.

< 1997، احتجاج سكان "سيدي بطاش" على المناخ الموبوء الذي رافق تدبير الانتخابات الجماعية. في نفس السنة وبتاريخ 13 نوفمبر احتجاج سكان جرادة في تضامن مع عمال المناجم الذين خاضوا إضرابا مفتوحا لعدم صرف أجورهم.

< احتجاج ساكنة "أزيلال" وبالضبط التابعين لمنطقة "أيت بلال"، والذين نظموا مسيرة إلى مراكش لعرض مشاكلهم مباشرة أمام الملك، وقد عرفت مشاركة واسعة قدرت بأزيد من ألف متظاهر وقد تم التعامل معها بعنف من الجهات الرسمية.

< 13 نوفمبر 1999، احتجاج ساكنة العيون التي انطلقت بمطالب اجتماعية محضة أهمها تمكين الطلبة من النقل والشغل، لكن تغيرت المطالب بعد فيما بعد نتيجة العنف الذي قوبلت به هذه المسيرة السلمية ليصبح المطلب هو الانفصال وتقرير المصير.

السنوات الأولى من الألفية عرفت هي الأخرى احتجاجات، نجلها في: احتجاج إقليم "الخميسات" في فبراير 2000، احتجاج ساكنة "سيدي الطيبي" بالطريق الرئيسية الرابطة بين الرباط والقنيطرة بتاريخ 9 أبريل، الاحتجاج الذي أعقب زلزال "الحسيمة" سنة 2003 ستنشك حركه منظمة في أبريل 2005 "بنماسينت". أنظر:

عبد الرحيم العطري، "الحركات الاحتجاجية بالمغرب قراءة في شروط الإنتاج وإعادة الإنتاج"، مجلة مقاربات، مكتبة أنفو برانت، العدد 10، مجلد 5، 2012، ص114-115.

²⁹ Khalid Alioua, Etat et contrrole de l'espace urbain, in L'Etat marocain dans la duree 1850/1985, CODESRIA EDINO, PUBLISUD, PP 91-92.

يمثل الحراك الشعبي في منطقة الريف - الواقعة شمالي غربي المملكة المغربية - والذي انطلق منذ شهر تشرين الأول أكتوبر 2016، موجة جديدة من الحركات الاحتجاجية، هي الأكبر منذ حراك 20 فبراير 2011. ومنذ ذلك الحين تواصلت الاحتجاجات بشكل متقطع قبل أن تأخذ منحىً تصعيدياً بعد حملة اعتقالات شملت العشرات من الناشطين، من ضمنهم زعيم حراك الريف، (ناصر الزفزافي) بداية رمضان 2017م على خلفية احتجاجه داخل أحد مساجد مدينة الحسيمة. ومن شأن استمرار قمع الاحتجاجات السلمية؛ تأجيج الأوضاع وتجزير الحراك وانحرافه نحو مطالب سياسية أو ربما دعوات للانفصال. ومن النظرة الأولى يظهر حراك الريف باعتباره استمراراً لحركة 20 فبراير 2011م لا سيما من حيث تشابه الأسباب التي ساهمت في ظهورهما، خصوصاً وجود احتقان اجتماعي وسياسي، وانتشار البطالة وفساد أجهزة الدولة. هذا بالإضافة إلى الطبيعة السلمية للحراكين، ورفعهما بعض الشعارات والمطالب المتشابهة مثل محاربة الفساد والعدالة الاجتماعية. ولكن النظر المعمق للحراكين يكشف وجود تمايزات على عدة أصعدة، أهمها اقتصر حراك الريف على منطقة جغرافية محدودة (منطقة الريف)، وقدرة هذا الأخير على الاستمرار والصمود رغم المقاربة القمعية التي نهجتها السلطات، على خلاف حراك 20 فبراير الذي أقل نشاطه بعد أشهر قليلة من انطلاقه.

الفرع الأول: أسباب وخصوصية حراك الريف

إن تشابه العوامل البنيوية - من احتقان سياسي وارتفاع مؤشرات الفساد والتحكم السياسي - هو الذي أدى إلى اندلاع الاحتجاجات السياسية؛ إلا أن تطور الحراكين اتخذ مسارات متباينة لا سيما على مستوى طبيعة الحراك ودور وسائل التواصل الاجتماعي الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير والهيكلية والتنظيم وأسلوب الاحتجاج، وهي عوامل كان لها تأثير بين على استمرارية

الاحتجاجات وصمود نشطائها. فعلى مستوى جغرافية الاحتجاج، تميز حراك 20 فبراير بالطابع الوطني وبلور هوية وطنية عابرة للبعد الإثني والمحلي. فمنذ البداية، نزل عشرات الآلاف من الناشطين بشكل متزامن في حوالي 70 مدينة وقرية بمختلف جهات المغرب، وهو أكبر احتجاج سياسي عرفه عهد الملك محمد السادس. ولقد كان ظهور حركة 20 فبراير تعبيراً عن جيل جديد من الاحتجاجات السياسية التي تركز على مطالب سياسية وطنية مثل مكافحة الفساد والاستبداد السياسي، بالإضافة إلى انتقالها من منطقتي الحركات الاحتجاجية المحلية أو القطاعية إلى احتجاجات وطنية ذات مطالب سياسية ودستورية واجتماعية. وقد شكلت البيئة الإقليمية العربية قوة دافعة لحركة 20 فبراير، باعتبارها ظهرت في سياق الربيع العربي الذي أطاح بنظام زين العابدين بن علي في تونس وحسني مبارك في مصر، وهو ما دفع المؤسسة الملكية في المغرب إلى التفاعل الإيجابي مع مطالب المحتجين عبر إطلاق حزمة إصلاحات سياسية ودستورية مهمة أبرزها تعديل الدستور الذي أقر تعيين رئيس الحكومة من الحزب المتصدر لنتائج الانتخابات، وإجراء انتخابات سابقة لأوانها ضمنت الصدارة لحزب العدالة والتنمية المعارض آنذاك، ومن ثمة مكنته من تشكيل الحكومة. ورغم أن منطقة الريف لم تكن معزولة عن دينامية 20 فبراير باعتبار أن عدداً من نشطاء حراك الريف كانوا أعضاء ناشطين في حركة 20 فبراير، وضمنهم ناصر الزفزافي؛ فإن تميز منطقة الريف ببعض الخصائص التاريخية والثقافية جعل من إمكانية تفجر الأوضاع فيها أكبر مقارنة بمناطق أخرى. فالقمع الذي عرفته الانتفاضة الشعبية في تلك المنطقة سنة 1958م صنع ذاكرة كامنة متوجسة من الدولة المركزية يقابلها توجس مماثل في مواجهة أشكال التعبير الاحتجاجي الريفي من قبل الدولة، ما خلق حالة من انعدام الثقة بين الطرفين. هذه الذاكرة المتوجسة صنعت إحساساً بالمظلومية لدى ساكني الريف، لم تزده الأحداث التي عرفها المغرب في عهد الملك الحسن الثاني إلا تجديراً وقابلية للتوظيف في لحظات

التوتر³⁰ ونتيجة هذه العلاقة المتوترة؛ أهملت السلطات المغربية منطقة الريف لفترة طويلة من مشاريع التنمية التي تعرفها مناطق المغرب المختلفة. ولم تبدأ الدولة الاهتمام بمنطقة الريف إلا بعد زلزال سنة 2004م الذي ضرب المنطقة ودمر عشرات البيوت. ورغم بعض الاهتمام المتأخر في السنوات الأخيرة؛ فإن المنطقة لا زالت تعرف نسب بطالة عالية؛ لا سيما في صفوف الشباب مقارنة مع المعدل الوطني³¹.

إن تمركز الحراك في منطقة الريف، رغم المحاولات التضامنية مع هذا الحراك من خارج هذه المنطقة، سواء داخل المغرب عبر مسيرات تضامنية في الرباط والدار البيضاء وغيرها من المدن المغربية، أو من طرف الريفيين المقيمين في الخارج؛ أعطى فرصة للسلطات المغربية لوصم الحراك بالنزعة الانفصالية وتلقي "أموال من الخارج"، على الرغم من محاولات قيادات حراك الريف طمأنة الرأي العام الوطني، والتأكيد على ارتباطهم بالهوية الوطنية وثوابتها.

- موت بائع السمك "محسن فكري"؛ إذ لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دوراً مهماً في التعبئة والتأطير في كلا الحراكين. فقد انطلقت احتجاجات 20 فبراير في البداية عبر الفضاء الافتراضي من خلال دعوات على صفحات التواصل الاجتماعي تدعو إلى النزول للاحتجاج في الشارع، إلا أن هذه الدعوات

³⁰ استمرار توتر الثمانينيات عبر عنه من خلال انتفاضات شعبية دفعت المئات من المواطنين في منطقة الريف للخروج إلى الشارع للاحتجاج على غلاء المعيشة وانتشار البطالة، الأمر الذي قابلته السلطات بالمقاربة القمعية نفسها التي وصفها العاهل المغربي الراحل في أحد خطاباته الرسمية عقب احتجاجات 1984 بأنها مسيرة من طرف "الأوباش" في إشارة منه إلى ساكني منطقة الريف.

³¹ Nadia Lamlili, "Tensions à El Hoceima : les chiffres des inégalités sociales qui expliquent la grogne marocaine", Jeune Afrique, 2017.

للاحتجاج لم تكن نتيجة سبب مباشر مثلما هي الحال في تونس (وفاة البوعزيزي)، ولكنها حصلت نتيجة التأثير بموجة الاحتجاجات التي عرفها العالم العربي سنة 2011. لكن حراك الريف وجد "بوعزيزيه" في الموت البشع الذي تعرّض له بائع السمك، (محسن فكري)، نتيجة طحنه في شاحنة نفايات بعد أن علق داخلها أثناء محاولته استعادة أسماكه التي صادرتها السلطات بشكل تعسفي. وكان لنقل صور جثة فكري عبر وسائل التواصل الاجتماعي دور كبير في تأجيج مشاعر الغضب والإحساس بالظلم لدى ساكني المنطقة. ويظهر أيضاً أن ناشطي حراك الريف استفادوا من أخطاء 20 فبراير، وعملوا على توظيف أكثر فعالية واحترافية لوسائل التواصل الاجتماعي مقارنة مع حركة 20 فبراير. فقد ظهرت عدة مواقع إلكترونية مساندة لحراك الريف، كما أسس زعيم الحراك ناصر الزفزافي صفحة على الفيسبوك نالت اهتمام عشرات آلاف المتابعين، كما أن تسجيلاته المباشرة على صفحته في الفيسبوك جلبت مئات آلاف المشاهدين، وهي نسب مشاهدة عالية لم يحققها أي من السياسيين المغاربة باستثناء عبد الإله بنكيران قبل عزله من رئاسة الحكومة.

الفرع الثاني: مقومات الصمود

تميز حراك الريف بقدرته على الصمود والاستمرار بالرغم من حملات الاعتقال والمنع المستمر للاحتجاجات، وهو أمر يختلف به عن حراك 20 فبراير الذي فشل في الحفاظ على ديناميكيته، رغم أنه تعرض لضغط أمني أقل من حراك الريف. ما الذي يفسر إذاً صمود حراك الريف مقابل أفول حراك 20 فبراير؟ الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير فشل حراك 20 فبراير في الحفاظ على قدر من الصمود بسبب النزاعات الداخلية بين مكوناته وعدم قدرته على بلورة هوية مشتركة تجمع بين التناقضات الموجودة داخله. فمنذ البداية تشكل

حراك 20 فبراير في أغلبه من فئات كانت مسيسة أو لديها قابلية للتنسيس، تضم خليطاً من التيارات (السياسية والإيديولوجية، أحزاب يسارية معارضة، جمعيات حقوقية وأمازيغية، نقابات عمالية، جماعة العدل والإحسان، السلفيون، غيرهم)³². هذا التنوع في الاتجاهات السياسية والإيديولوجية الذي اخترق حركة 20 فبراير انعكس على طبيعة مطالبها وخطابها السياسي. فمنذ اليوم الأول ظهرت أربع أرضيات تأسيسية مختلفة لحركة 20 فبراير، تتضمن مطالب عامة و"طوباوية"؛ مثل محاربة الفساد والاستبداد وتعديل الدستور وحل البرلمان وقضاء مستقل ومحاكمة المتورطين في الفساد، بالإضافة إلى مطالب فئوية مثل إدماج العاطلين عن العمل في سلك الوظيفة العمومية. والمشارك بين هذه المطالب هو غياب أهداف محددة ومرحلية وإجراءات قابلة للتنفيذ. إلى جانب ذلك، كان حراك 20 فبراير منقسماً بين تيارين متناقضين: إصلاحيون وراдикаليون. الإصلاحيون كان سقف مطالبهم لا يتجاوز إصلاح النظام السياسي عبر تبني نظام الملكية البرلمانية. أما الراديكاليون فكان سقفهم مفتوحاً وطال تغيير النظام السياسي نفسه. هذا التباين بين سقفي المطالب أدى إلى نوع من الغموض في مطالب حراك 20 فبراير³³، وهو ما خلق حالة توجس مبكر من الحركة شملت نشاط داخل الحراك نفسه. كما أن القيادات التي تصدرت المشهد في حراك 20 فبراير كانت تفتقد الخبرة السياسية، وجزء منه كان يفتقد للمصداقية والاستقلالية. فمثلاً أسامة الخلفي الذي تم تسويقه على أنه قائد حراك 20 فبراير؛ تم استقطابه من طرف حزب الأصالة والمعاصرة وهو الحزب المقرب من القصر الملكي آنذاك. ولجأت الدولة - نتيجة خبرتها الطويلة في التعامل مع المعارضات المختلفة - إلى سياسة "فرق تسد" لإضعاف

³² محمد مصباح، الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب، تصفح بتاريخ: 2021/09/25 على الرابط:

<https://www.arab-reform.net>

³³ محمد مصباح، "الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير"، مجلة

بدائل سياسات، نوفمبر 2017، ص 4.

حركة 20 فبراير. فقد لعبت السلطات المغربية على تفجير التناقضات الداخلية للحركة وعملت على إضعافها من الداخل، خصوصاً بين الإسلاميين واليساريين، وبين الاتجاهات الراديكالية والمعتدلة. وهو ما أدى إلى انسحاب جماعة العدل والإحسان من الحراك بعد أشهر من انطلاقه، وإلى فتور نشاط العديد من قياداته. في مقابل ذلك، نجح حراك الريف في الصمود. ويرجع هذا الصمود والاستمرارية رغم قمع الدولة المستمر إلى عوامل عدة. فمن جهة، استطاع ناشطو حراك الريف صياغة مطالب سياسية واجتماعية محددة وقابلة للتنفيذ. فمنذ اليوم الأول لانطلاق الاحتجاجات في أكتوبر 2016م عقب وفاة محسن فكري، صاغ ناشطو الحراك مجموعة مطالب محددة أبرزها محاكمة عادلة وبحث معمق لمعرفة أسباب وفاة محسن فكري، ورفع مظاهر "العسكرة" والتعامل الأمني مع منطقة الريف، وتشجيع الاستثمار والبنية.

الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير التحتية في المنطقة وبناء جامعة ومستشفى جامعي ومستشفى لأمراض السرطان. ومع الزمن تطورت المطالب تدريجياً إلى المطالبة بتدخل ملكي لحل التوتر الحاصل في المنطقة. وقد عملت قيادات حراك الريف على تأطير مطالبها بشكل واضح، وتجلى ذلك في رفضها تبني العنف والدعوات الانفصالية، وتركيزها على نقد الدولة (وزارة الداخلية) والحكومة والأحزاب السياسية مع العمل في الوقت نفسه على نقادي الاصطدام مع الملك باعتباره رئيساً للدولة. كما تصدت أيضاً لبعض التوجهات الراديكالية التي أرادت اختراق الحراك، لا سيما تلك التي أرادت الدفع في اتجاه تبني مواقف راديكالية من النظام، مثل الدعوات للانفصال أو الحكم الذاتي أو الاحتجاج يوم عيد العرش³⁴ وهو ما جعل مطالب الحراك تحظى بشعبية في صفوف فئات واسعة داخل المنطقة، على أمل عقد صفقة سياسية مقبولة مع الملكية تتمثل في إطلاق سراح المعتقلين والحصول

³⁴ نفس المرجع، ص 6.

على وعود من الملك لتنفيذ مشاريع تنموية مستدامة في المنطقة. ولكن من شأن تسويق السلطات واستمرار اعتقال نشطاء الريف أن يؤدي إلى مزيد من الاحتقان وبشكل عام، فإن هذا الانسجام في مواقف حراك الريف يرجع في الراجح إلى تمكن الناشطين من بناء هوية مشتركة بين أعضائه، تشكلت بفضل الإحساس المشترك بالمظلومية وبالتهميش في هذه المنطقة، بالإضافة إلى البعد القبلي والإحساس بالهوية الأمازيغية-الريفية كعنصر مشترك بين المحتجين. وقد ظهر هذا البعد الهوياتي أساساً في رفع العلم الأمازيغي وعلم جمهورية الريف وغياب العلم الوطني المغربي. وهي رموز تحيل على الهوية الجهوية للحراك. وتزداد قوة هذه النزعة الجهوية مع الوقت كلما ماطلت السلطات في تقديم حلول مجدية. ومن جهة ثانية، لعبت شخصية ناصر الزفزافي دوراً كبيراً في توحيد مطالب الحراك وإعطائه هوية واضحة. فالزفزافي يعتبر نموذجاً للتهميش الذي يعاني منه شباب المنطقة، كما أن سيرته الذاتية تشبه سيرة مواطن مغربي متوسط، فهو شاب عاطل عن العمل في نهاية الثلاثينيات من عمره، قضى فترة من شبابه في التنقل بين مهن هشة وموسمية. ورغم أنه لا يمتلك تجربة سياسية حزبية؛ فإن نشاطه السياسي المعارض راجع على الأرجح إلى نشاطه ضمن الحركة الثقافية الأمازيغية وحركة 20 فبراير، التي كان عضواً عادياً فيها. ويبدو أنه اكتسب هذه النزعة المعارضة أيضاً من عائلته؛ فقد كان والده مناضلاً يسارياً في الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية قبل أن ينسحب منها سنة 1999م عندما انتقلت من المعارضة إلى الحكومة. ثم إن عم الزفزافي كان يمثل اليد اليمنى لمحمد بن عبد الكريم الخطابي، وهو ما جعله متأثراً بالتراث النضالي لعبد الكريم الخطابي، الأمر الذي يظهر من خلال استعارة بعض العبارات المنسوبة إلى عبد الكريم الخطابي، وبخاصة شعار حراك الريف الشهير: "هل أنتم حكومة أم عصابة؟" وقد لعبت شخصية الزفزافي وفصاحته دوراً في التعبئة والتأطير. فهو مزدوج التعليم (ديني وعصري) ويمزج بشكل سلس في خطاباته بين لغته الأم

(الأمازيغية-الريفية) والدارجة المغربية واللغة العربية الفصيحة. وتضم خطب الزفرافي وكلماته المسجلة والمباشرة خليطاً يمزج بين عدة سجلات إيديولوجية وسياسية عابرة للانقسامات التقليدية: إسلامي/علماني، عربي/أمازيغي. فمن جهة ركز الزفرافي في خطابه على المطالب السياسية والتنمية، لا سيما البطالة والفقر والفساد. إلا أنه في الوقت نفسه يحيل خطابه على بعض الأبعاد الثقافية والدينية، لا سيما اعتزازه بالثقافة الأمازيغية المحلية ويستعمل أيضاً مصطلحات دينية قريبة من التدين الشعبي، لا سيما نقده اللاذع لعلماء السلطان واستغلال الدولة للدين في تبرير سياساتها، وهو ما دعاه أيضاً إلى الاحتجاج داخل أحد مساجد الحُسيمة عقب خطبة جمعة تم تعميمها يوم 26 ماي 2017م، تدعو إلى طاعة ولي الأمر والكف عن الاحتجاج، وهو ما اعتبره الزفرافي استغلالاً سيئاً للدين من طرف الدولة³⁵ بالإضافة إلى ذلك، ينتقد ناشطو حراك الريف النخب الحزبية التي يصفونها بالدكاكين السياسية والجمعيات الارتزاقية، ولهذا خاطب الزفرافي العاهل المغربي بشكل مباشر ودعاه للتدخل لحل الأزمة في الريف وهو مؤشر على فقدان الثقة في الطبقة السياسية. وقد أعطت هذه الاستقلالية عن التنظيمات الحزبية مصداقية للناشطين مقارنة مع حركة 20 فبراير، كونها حافظت في نظرهم على "طهارة الحراك من دنس الأحزاب السياسية"³⁶ وهكذا فإن الخطاب السلس والبسيط والمباشر لناشطي الحراك جعله جذاباً في نظر فئات اجتماعية عابرة للإيديولوجيا. ومنه، فإن تمكن حراك الريف من إفراز زعامات ميدانية (ناصر الزفرافي ورفاقه) تمتلك حضوراً وقدرة على التعبئة، ساعد حراك الريف على هيكلة الحراك وتكوين تنظيم أكثر فعالية على مستوى التعبئة أعطاه مناعة أمام قمع السلطات، وهو أمر فشل فيه حراك 20

³⁵ نفس المرجع، ص 7.

³⁶ مقابلة كاتب المقال مع ناشطة في حراك الريف، الحُسيمة، أوت 2017، أنظر:

محمد مصباح، الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير، المرجع السابق.

فبراير. بالموازاة مع وجود قيادة موحدة ومطالب محددة؛ تمكن الناشطون أيضاً من هيكلة الحراك عبر بناء شبكة نشطة تضم لجنة تنظيمية ولجنة إعلامية بالإضافة إلى قيادة الحركة. فبعد وفاة محسن فكري مباشرة، اجتمع شباب الحراك في أحد مقاهي مدينة الحُسيمة ودارت بينهم مناقشات معمقة حول طرق الاشتغال وتنظيم الاحتجاجات. ومن بين الأفكار الرئيسية التي تم التوافق عليها في هذه الاجتماعات؛ كان الالتزام بسلمية الحراك وإبداع أشكال احتجاجية جديدة³⁷. هذا التنظيم يفسر إلى حد ما استمرارية حراك الريف. فقد ظهرت فعالية هذه الشبكة المنظمة من الناشطين بشكل بارز أثناء الإعداد لمسيرة 18 ماي 2017م، التي بدا فيها ناصر الزفزافي محاطاً بمجموعة من الحراس الشخصيين، وظهرت لجنة التنظيم متحكمة في مختلف تفاصيل المسيرات والأشكال الاحتجاجية من تنظيم للصفوف وضمان عدم انزلاق الاحتجاجات نحو العنف. كما عملت مجموعة من المواقع الإلكترونية المحلية على تغطية واسعة للمسيرات الاحتجاجية، ساعدت على إيصال صوت الحراك إلى خارج منطقة الريف، لا سيما في صفوف الجالية المقيمة في أوروبا. ويبدو أن هذه الشبكة النشطة التي تم بناؤها تمكنت من الصمود رغم حملة الاعتقالات التي شملت أغلب قيادات الحراك. فبعد مرور أسابيع من اعتقال الزفزافي ورفاقه بقيت المسيرات الاحتجاجية تخرج بشكل مستمر وعفوي. أما فيما يخص حركة 20 فبراير فإنها قد انتهجت أسلوب الاحتجاجات الكلاسيكية. أي النزول المنظم والمستمر إلى الشارع من خلال دعوات في الواقع الافتراضي. وفي الحقيقة كانت وتيرة الاحتجاجات في حركة 20 فبراير تتميز بالطابع الموسمي، أي تنظيم مسيرات شهرية في المدن الكبرى مثل الرباط والدار البيضاء وطنجة وفاس

³⁷مقابلة كاتب المقال مع ناشط في حراك الريف، الحُسيمة، أوت 2017، أنظر:

محمد مصباح، الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب، تصفح بتاريخ: 2021/09/25 على الرابط:

<https://www.arab-reform.net>

وغيرها، مع غياب للمسيرات والوقفات اليومية كما هي عليه الحال في الريف. وهذا يرجع إلى الانقسامات الداخلية داخل حركة 20 فبراير وطبيعتها الوطنية. فتشتت الحركة على صعيد عشرات المدن جعل من شأن التنسيق بين مختلف نقط الاحتجاج أكثر صعوبة مقارنة مع التنسيق المحلي بين ناشطي حراك الريف. ورغم تأسيس تنسيقية وطنية وأخرى محلية لتنظيم الاحتجاجات وصياغة المطالب وغيرها؛ فغالباً ما كانت عملية اتخاذ القرار بطيئة وغير منسقة في المقابل، لجأ حراك الريف إلى المزج بين خطط واسعة من التكتيكات والأساليب الاحتجاجية، وأبدع أشكالاً جديدة من الاحتجاج، أضيفت إلى السجل النضالي للحركات الاحتجاجية في المغرب، وهو ما يفسر نجاح حراك الريف في تنظيم أكثر من 700 حركة احتجاجية تمثلت في وقفات ومسيرات، حيث سجلت الحسيمة لوحدها 145 احتجاجاً، في ظرف سبعة أشهر بين شهر تشرين أكتوبر 2016 ونهاية شهر ماي 2017³⁸، وذلك رغم المنع المتكرر للاحتجاجات من طرف السلطات. فبالإضافة إلى الاحتجاجات العفوية التي خرجت من الأحياء الشعبية بشكل مستمر، والمسيرة الضخمة التي نظمت يوم 18 ماي 2017؛ برزت بعض التكتيكات الجديدة مثل القسم الذي أداه زعيم الحراك ناصر الزفزافي أمام المحتجين بالاستمرار في النضال مهما كلفه ذلك، وهو ما أكسبه شعبية كبيرة بين نشطاء الحراك، جعلت بعضهم يقسم أنه مستعد للتضحية بحياته من أجل "حراك الريف المقدس"³⁹ كما أن النشطاء تحدوا منع السلطات والقمع المستمر للحراك عبر إبداع أشكال جديدة من الاحتجاجات، مثل الاحتجاج على أسطح المنازل. وعندما منعت السلطات مسيرة يوم 20 يوليو 2017 بمدينة الحسيمة وأغلقت منافذ المدينة لمنع توافد المحتجين؛ لجأ هؤلاء

³⁸ محمد مصباح، الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير، مرجع السابق، ص8.

³⁹ مقابلة صاحب المقال مع باحث مقيم في الحسيمة، الرباط، أوت 2017، أنظر: محمد مصباح، الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير، مجلة بدائل سياسات، نوفمبر 2017.

إلى الجبال المجاورة وأيضاً إلى القوارب السريعة للدخول للمدينة من منافذ غير تقليدية يصعب على السلطات تعقبهم من خلالها، وهي تكتيكات جديدة وغير مسبوقه في تاريخ الاحتجاجات في المغرب.

المطلب الرابع: الخطابات الدائرة حول حراك الريف

إذا توقفنا عند مجمل الخطابات التي أثّرت حول حراك منطقة الريف منذ بداياته، وخاصة بعد أشكال التصعيد وتغيير مقاربة الدولة في التعاطي مع المظاهرات والاحتجاجات، يتضح أن هذه الخطابات تنقسم من حيث الشكل والمضمون إلى ثلاثة أنواع يمكن تلخيصها كآتي:

الفرع الأول: خطاب التخوين والعنف الشعبي

من خلال تتبع النقاش الدائر حول أحداث الحسيمة وحول بعض أشكال ووقفات التظاهر التي تعرفها بعض المدن، وبغض النظر عن اختلاف الآراء حول الحراك، يتضح أن النوع الأول من الخطابات الذي أفرزه هذا الوضع وتداعيه هو تلك التصريحات التي يدلي بها بعض المواطنين الذين لهم مواقف وردود مضادة من الحراك وأشكال التضامن معه والدعوة للاستجابة لمطالبه، خاصة التي تصدر خلال الاحتكاكات والوقفات المضادة، وخلال النقاش ببعض الإذاعات والقنوات التلفزية وخاصة شبكات التواصل الاجتماعي. إذ نتوقف عند مثالين دالين يختزلان هذا الخطاب.

1. **المثال الأول** والذي أثار النقاش بل والاستنكار من طرف فئة من المواطنين والحقوقيين، هو قول (مومن الدريبي) خلال البرنامج الذي يستضيفه بإحدى الإذاعات: "تحشم نجمع أولاد عمامي نطلعو نقطعوك..."

2. المثال الثاني هو التصريحات الصادرة عن بعض المشاركين، رجال ونساء، في وقفة للمجتمع المدني ضد وقفة لجمعيات حقوقية وإطارات وأفراد تضامنا مع مطالب حراك الريف، حيث كرروا خلال الاحتكاك بالمتظاهرين ومن خلال تسجيلات بالصوت والصورة ما يلي: "حنا كانطلبو من الأمن اتساخر للور ويخليونا حنا معهم منا ليهم، حنا كانطلبو السلطة تمشي فحالها وتخلينا منا ليهم، حنا هاد الناس كدين بهم، نعطيو دمننا، وعارفين أش غانديرو معهم..."⁴⁰.

ولفهم مضمون وأبعاد هذين المقتطفين؛ إذ في المثال الأول، وإضافة إلى أن في هذا القول تعنيف وتهديد واضح، فإنه ينضاف إلى ذلك الطابع والنبرة القبلية التي تحدث بها المنشط الإذاعي للتعبير عن موقفه من حراك الحُسيمَة، حيث استعان بلغة القرابة القبلية و"العمومة" وبشحنة وجدانية عرقية للتعبير عن "وطنيته" وعن الرفض وإمكانية الذهاب، أي الغزو، لمواجهة أغيار الريف لتأديبهم وفض حراكهم!

وهنا يتضح جانب من المتخيل القبلي الذي يطبع نمط التفكير لدى فئة واسعة من المغاربة، مهما كان مستواهم التعليمي، والذي يطفو ليعبر عن حضور الانتماءات والأصول والتميزات الاجتماعية في نظر المواطنين لبعضهم البعض، وفي تقديرهم لمستوى العلاقة بالوطن والغيرة على مصالحه، واعتبار الآخر المخالف، سواء على مستوى الانتماء أو الفعل الاجتماعي والحقوقى أو الخطاب...، مدانا ومشكوك في نواياه وممارساته.

من خلال المثال الثاني تتضح لغة العنف والمواجهة التي تطبع ردود وسلوكات بعض المواطنين اتجاه المتعاطفين مع الحراك الشعبي بالحُسيمَة، ويستندون في ذلك على

⁴⁰ رشيد الحاحي، الخطابات الدائرة حول حراك الريف بين العنف والتشكيك والتضامن والتهدئة، تصفح بتاريخ

2020/04/23، عبر الرابط: <https://amadalamazigh.press.ma/>

استعدادهم للدفاع عن الوطن ضد الأعداء والمتربصين بوحدته حيث يعتبرون هذه الوقفات والحراك في ذاته مثيرة للفتنة وهلاك الأمة، على حد تعبيرهم.

وما يهمننا في تحليل هذا الموقف والسلوك الذي كان بارزا خلال وقفات التضامن بعدة مدن، وكان حاضرا بقوة أيضا من خلال مضمون آراء وتعاليق المواطنين بشبكات التواصل الاجتماعي، هو طابعه التهديدي وميوله إلى العنف اللفظي والجسدي، والرغبة في القيام محل الأمن وأجهزة الدولة، والتصدي والمواجهة المباشرة بين المواطنين في الفضاء العام، مما يشكل سابقة في تطورات السلوك الاحتجاجي والاجتماعي في المغرب، ويفصح عن تمثلات فتوية متضاربة اتجاه القضايا المطروحة، وعن انقسامية صراعية في فضاء المجتمع، وينذر بإمكانية تفاقم وانفلات هذه الردود والممارسات في المستقبل، خاصة أنها ليست فردية ومعزولة بل صارت تنتظم في خطابات وإطارات واضحة⁴¹.

ويبقى أن نخلص إلى أن المثير في أشكال هذا الخطاب أنه يغذي ثقافة العنف وصراع الانتماءات المجالية والإثنية والفتوية في المجتمع وفي التعاطي مع قضاياها، ويكرس انقسامية المجتمع وصراعاته الداخلية والتقليدية المبطنة، ولا شك أن اتساع هذه السلوكيات والصراعات ستشكل عائقا كبيرا في المستقبل أمام مسار تحديث المجتمع وبناء الحياة الديمقراطية والمدنية، وتوطيد قيم المواطنة والعيش المشترك.

الفرع الثاني: خطاب التشكيك

نقصد بهذا الخطاب تلك التحاليل والآراء التي يقدمها بعض الباحثين والسياسيين وكذا الإعلاميين وتركز على التشكيك في أهداف الحراك الذي تعرفه الحسيمة والدوافع

⁴¹ نفس المرجع.

الحقيقية للنشطاء، حيث يغلب على هذا الخطاب طابع التخوين وربط ما يجري بأجندة أجنبية، وخاصة العلاقة بالجماعات الإسلامية بأوروبا، ويؤكد على خطورته وضرورة وقفه.

ولتوضيح عناصر هذا الخطاب يمكن أن نتوقف عند مثالين: إفادات (محمد ضريف ومنار السليمي). فالأول يوضح خلفيات تعاطي السلطة مع الحراك، حيث يرجع ذلك إلى الخوف من الانزلاق نحو الفوضى ومن توظيف بعض نشطاء الحراك من طرف أطراف معينة، خاصة أنهم بسطاء وذوي تكوين محدود ويتصرفون بعفوية، إضافة إلى تركيزه على استعمال الخطاب الديني من طرف نشطاء الحراك لتهييج السكان مما جعله يثير إمكانية ضلوع جماعات سلفية جهادية في اختراق الحراك. وفي هذه النقطة يلتقي مع (منار السليمي) الذي يشك بدوره في علاقة بعض النشطاء بجماعات شيعية، ويستند في ذلك إلى حضور القاموس الديني في خطابهم الاحتجاجي والتواصلي.

من خلال عناصر هذا الخطاب التي توقفنا عندها، يتضح أنه بدوره يتسم بالاختزالية والمبالغة في إسقاط أحكام غير مبررة، ولعل أكبر أخطائه هو كونه يستحضر الوضع الجيوستراتيجي وما يحدث في الجوار الإقليمي لتحليل حراك الريف وإبداء الرأي حوله، حيث سرعان ما يقفز على خصوصية التظاهرات السلمية والمطالب الاجتماعية والاقتصادية المعلنة، ليزكي احتمال وشبهة المؤامرة والاختراق والعلاقة بالجماعات الإسلامية. ولا شك أن سلبية هذه التحاليل والآراء المبالغ فيها، ومهما كانت درجة احتمالها بالنسبة للتحليل، تتمثل في كونها بدأت تتحول إلى بريدكم جاهز في تناول كل الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية بدون معطيات ملموسة وبغض النظر عن خصوصيتها المحلية وطبيعته المطلبية المعلنة. وعلى مستوى المقاربة الديمقراطية

لتدبير الديناميات الاجتماعية والاحتجاجية في فضاء المجتمع، خاصة بالنسبة لمجتمعات ودول في مرحلة انتقالية من مسارها.

الفرع الثالث: خطاب التضامن والتهدئة

تتمثل عناصر هذا الخطاب في سنيين وشكلين تواصلين، من جهة البيانات الصادرة عن مجموعة من الإطارات المدنية والحقوقية حول تطورات الوضع الاحتجاجي والأمني بالحسيمة، ومن جهة أخرى الآراء التي يعبر عنها بعض الفاعلين في النقاش العمومي. فإذا توقفنا عند عدة بيانات التي أصدرتها الإطارات المدنية والحقوقية حول أحداث الحُسيمة وكيفية تعاوي الحكومة مع مطالب المتظاهرين، خاصة بعد تصاعد الاحتقان واللجوء إلى الاعتقالات، وأهمها: بيان مشترك لعدة إطارات (حوالي 400 هيئة) منها التنسيق الوطني الأمازيغي وكونفدرالتي الجمعيات الأمازيغية بالشمال وبالجنوب ومنظمة (تماينوت) وفدرالية جمعيات وجدة ورابطة تيرا وتنسيق جمعيات لاختصاص...، وبيان الائتلاف المغربي لهيئات حقوق الإنسان، وبيان الشبكة الأمازيغية من أجل المواطنة، وبيان فدرالية الجمعيات الأمازيغية، وبيان التجمع العالمي الأمازيغي، وبيان الكونغريس العالمي الأمازيغي... نجد أنها تلتقي في عدة عناصر خطابية على مستوى مضمونها ويمكن تلخيصها في رفضها واستنكارها لأشكال التصعيد بمنطقة الريف، والدعوة إلى التعقل والتحلي بالحكمة والسلمية والتراجع عن المقاربة الأمنية في التعاوي مع الحراك، ورفض الزج بالدين والمساجد في الصراع السياسي، ورفض اتهامات التخوين والعمالة للخارج التي وجهت للمتظاهرين، مستحضرة واقع التهميش وفشل السياسات العمومية بالمنطقة، وتاريخها المشحون سياسيا واجتماعيا وجراحها التي لم تندمل. كما تلتقي في مطالبتها بإطلاق سراح المعتقلين ووقف المتابعات ورفع المحاصرة الأمنية على الساكنة، لتوفير جو الثقة والشروع في حوار حكومي مسؤول مع ممثلي الحراك، والإسراع في الاستجابة لمطالب الساكنة التي تعتبرها

مشروعة، وفي تنفيذ مشاريع تنمية المنطقة في مختلف القطاعات، كما تحمل الإطارات المدنية الدولة مسؤولية صيانة الخيار الديمقراطي واحترام حقوق الإنسان.

وبالنسبة للشكل الثاني⁴² الذي يتجلى من خلاله هذا الخطاب أي إبداء الفاعلين للرأي في النقاش العمومي، والذي يتكامل مع سابقه، يمكن أن نقتصر على ما جاء في مقال (حسن أوريد) نبه من خلاله إلى خطورة هذا الوضع في ظرفية مشحونة ومضطربة، منتقدا بدوره تحول المساجد إلى صدى سياسي، مؤكدا على الطابع الاجتماعي لمطالب الحراك وعلى أن المطلوب الآن هو إيجاد مخرج، والحكمة هي في مسايرة هذا المد وإطلاق سراح الموقوفين لتهدئة الوضع وإجراء حوار جاد مع الساكنة.

من خلال عناصر هذا الخطاب، سواء في شقه المرتبط ببعض بيانات الإطارات المدنية والحقوقية أو في شق الرأي والنقاش العمومي، يتضح أنه خطاب موسوم بصفة عامة بالطابع الحقوقي، وبمستوى عال من النضج والتعقل والغيرة على مسار البناء الديمقراطي والتنمية، حيث يمكن اعتباره "ضمير النخبة المواطنة" الذي نبه إلى خطورة الوضع وأشكال التصعيد التي تهدد استقرار المنطقة، منحاذا في نفس الوقت لآليات الحوار وممكنات المعالجة الديمقراطية عبر التشديد على مشروعية المطالب الاجتماعية والاقتصادية التي عبرت عنها ساكنة الحسيمة، واستعجال الاستجابة لها وسن سياسات عمومية ومشروع تنموي فعلي وجاد في المنطقة.

بهذا المعنى يعتبر هذا الخطاب الحقوقي والديمقراطي، والفاعلين المنتجين له، وإضافة إلى طابعه التضامني، طرف وساطي في تدبير الصراع والاحتقان الحاصل بين الحراك وممثليه من جهة، وبين الحكومة والدولة من جهة أخرى، حيث يمكن أن

⁴² رشيد الحاحي، نفس المرجع.

تتبلور الوظيفة الوساطية لهذا الخطاب والفاعلين، إذا اقتنع الطرفان وساعدا على ذلك، عبر آليات عملية وميدانية للحوار المسؤول.

المبحث الثاني: رهان الأيديولوجيا الرسمية للدولة المغربية

كان من بين أهداف "الخطاب الملكي" الذي أُعلن عن خارطة طريقه بأجدير سنة 2001، الانتقال بالملف الأمازيغي من مجال الصراع والتجاذب السياسيين إلى ميدان الورشات الملكية الاستراتيجية التي تحظى بكل الدعم السياسي والمالي اللازمين. وقد راكمت الأمازيغية الكثير من المكتسبات في ظل العمل الملكي، لعل أهمها حصول تقدم كبير في ملف إدماج الأمازيغية في التعليم والإعلام.

مع ترسيم اللغة الأمازيغية في دستور 2011، استنفذ التوجه الملكي بشأن الأمازيغية شروط وجوده، ودخلت الأمازيغية رسميا معارك السياسية والحزبية ودهاليز الصناعة التشريعية. فاستكمال مسار الترسيم الفعلي، مشروط بنجاح الحركة الأمازيغية وحلفائها في المشهد الحزبي، في معارك جملة من الاستحقاقات فرضها المشرع، من خلال جملة من مواد القانون التنظيمي رقم 26 - 16 بشأن مراحل تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية وكيفيات إدماجها في مجال التعليم ومجالات الحياة العامة ذات الأولوية.

فالباب التاسع من القانون التنظيمي، وخصوصا المادة 31 منه، ينص على جملة من الاستحقاقات وجدولة زمنية تتراوح بين خمس سنوات وخمسة عشرة سنة. إذ لن تمارس اللغة الأمازيغية كل وظائفها كلغة رسمية، إلا بعد نجاحها في سلسلة من المعارك التشريعية والتنظيمية وعلى مراحل، فالترسيم كي يكون فعليا، في حاجة إلى قوى حزبية تسنده في المؤسسة التشريعية والحكومة والجماعات الترابية.

يتوقف الترسيم الفعلي إذن، على الحضور القوي للأحزاب الحليفة في المؤسسات، والذي يتوقف على نجاحها في الاستحقاقات الانتخابية، الذي يتوقف بدوره على قدرتها على تعبئة القواعد الانتخابية.

حيث ينتظر من الائتلاف الحكومي الجديد في المغرب برئاسة (عزيز أخنوش)¹، إلى تفعيل خطوات مهمة لصالح اللغة والثقافة الأمازيغيتين في المغرب؛ ورغم الوضع المتقدم دستوريا للأمازيغية في المغرب، وصدور القانون المنظم لتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية وكيفيات القيام بذلك في التعليم وفي مجالات الحياة العامة ذات الأولوية، إلا أنها لم تجد طريقها بعد للتفعيل الأنسب، بحسب ناشطين ويرى ناشطون أمازيغ أنه خلال 10 سنوات، كان تعامل بعض الهيئات السياسية مع الأمازيغية، وخصوصا حزب العدالة والتنمية، موسوما بالحذر والمناورات.

المطلب الأول: تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية

بعد الخطاب الأخير لمحمد السادس بمناسبة ثورة الملك والشعب الذي ذكر فيه الملك بعمق التاريخ المغربي الأمازيغي الطويل، ومرور عشرون سنة على خطاب العرش لسنة 2000 المؤسس لمأسسة الأمازيغية في المغرب وخطاب اجدير المؤسس للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، وعشرة سنوات على التصويت لدستور سنة 2011 الذي رسم الأمازيغية، وسنتين على إخراج القوانين التنظيمية الخاصة بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية ونصف سنة على الإعلان عن اللجنة الوزارية الدائمة المكلفة بتتبع وتقييم تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية. مازال موضوع إدماج الأمازيغية فعليا في الحياة العامة يسير ببطئ؛ ذلك راجع بالأساس إلى الحاجة لبيئة سياسية حاضنة وإلى شجاعة في القرار ومسؤولية في الفعل وإلى ربط النوايا بالأفعال. فتعاطي الكثير من

¹ رجل أعمال وسياسي مغربي، يشغل منصب رئيس حكومة المملكة المغربية منذ 10 سبتمبر 2021 وهو رئيس مجموعة (أكوا) صاحبة العلامة التجارية (إفريقيا غاز) والأمين العام لحزب التجمع الوطني للأحرار. عين سابقا وزيرا للفلاحة والصيد البحري والتنمية القروية والمياه والغابات، وهو أيضا عضو مجلس إدارة (البنك المغربي للتجارة الخارجية) وقد عينه الملك محمد السادس في الحكومة المشكلتة عام 2017 باقتراح من سعد الدين العثماني.

السياسيين مع الموضوع مازال أسير الحذر والمناورات وحرب المواقع، فأدى هذا الوضع الى تعطيل الطابع الرسمي للأمازيغية.

وقد تم رصد عشرة التزامات ضرورية ومهمة لتفعيل وتسريع دمج الأمازيغية في الحياة العامة حسب أمينة ابن الشيخ أوكدوت²، (وهي عضو سابق بالمجلس الاداري للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية ومديرة جريدة العالم الأمازيغي):

1. إحداث صندوق مالي وتوفير أدوات لوجستكية لتمويل ودعم أجراة الامازيغية في كل القطاعات الحكومية.

2. تعميم إلزامية اللغة الامازيغية في التعليم الأولي وفي المستوى الابتدائي مع العمل على توفير الإمكانيات اللازمة لإدراج الامازيغية وتعميمها في التعليم الإعدادي والثانوي.

3. إدراج الأمازيغية في برامج محو الأمية.

4. تقوية موقع الامازيغية مع تعميمها في الإعلام السمعي، السمعي/البصري والمكتوب.

5. العمل على إقرار رأس السنة الامازيغية يوم عطلة رسمية.

6. إيجاد حل نهائي لمشكل منع الأسماء الامازيغية.

7. إعادة كتابة التاريخ واسترجاع الاسماء الاصلية للأماكن.

² أمينة ابن الشيخ أوكدوت، نداء من مناضلة أمازيغية إلى الأحزاب السياسية المغربية، تصفح بتاريخ

26/09/2021، على الرابط: <https://amadalamazigh.press.ma>

8. اعتماد مقارنة المساواة بين اللغتين الرسميتين الأمازيغية والعربية في كل الإجراءات ذات الصلة بمغاربة العالم.

9. اتخاذ جميع التدابير الممكنة لمعالجة الفوارق المجالية التي تحول دون تحقيق المساواة في الحقوق اللغوية، الثقافية، الاجتماعية والاقتصادية بين المواطنين في الجهات والأقاليم والمدن.

10. العمل على ملائمة القوانين والإجراءات المسطرة مع محتوى الفصل الخامس من الدستور

الفرع الأول: رهانات الحكومة الجديدة في تجسيد التزاماتها

مع الحكومة الحالية، ورغم انه من السابق لأوانه استخلاص أي استنتاجات، يبدو أن هناك حرصا من رئيسها (عزيز أخنوش) على الوفاء بالكثير من الوعود التي كانت في صلب البرنامج الانتخابي لحزب التجمع الوطني للأحرار الذي يقوده، كما هو الشأن بالنسبة لصندوق تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية. فالحكومة الحالية كما أكد رئيسها أمام البرلمان، حددت عشر التزامات كبرى لتفعيل مبدأ ربط المسؤولية بالمحاسبة ولتمكين المغاربة من تتبع وتقييم الحصيلة الحكومية، وضمنها التزام خاص بالشأن الأمازيغي .

فصندوق مواكبة تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية الذي كان ضمن الإجراءات التي وعد القيام بها في إطار التزامهم بإصلاح حقيقي للإدارة وتعزيز رقابة السياسات العمومية وخدمات القرب، وجد طريقه إلى البرنامج الحكومي، حيث نص الالتزام العاشر من هذا البرنامج على تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، خاصة من خلال إحداث صندوق خاص وضخه بميزانية تصل لمليار درهم بحلول سنة 2025. هذا الالتزام

الحكومي، بدوره، تمت ترجمته إلى مادة من مواد مشروع قانون المالية لسنة 2022، حيث نصت المادة 17 من هذا المشروع على ما يفيد تغيير وتتميم أحكام المادة 36 من قانون المالية 26.04 لسنة 2005 المتعلقة بإحداث الحساب المسمى "صندوق تحديث الإدارة العمومية"، كي يستوعب النفقات المتعلقة باستعمال الأمازيغية بالإدارة العمومية. بعد نشر مشروع قانون المالية لسنة 2022، تساءلت الكثير من الفعاليات عن مآلات وعد إحداث صندوق تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية.

إذ هناك عدة تساؤلات تحتاج إلى إجابات، وإحاطة المشروع برمته بالكثير من الغموض وسوء الفهم وحرمان مشروع الصندوق من الإيجابيات المنتجة للقيمة المضافة. لكن، وجب القول أن واجب توخي الموضوعية يستوجب انتظار التفسير القانوني للمادة 17 من مشروع قانون المالية من طرف الحكومة، ونتمكن من الإحاطة علما بإجاباتها على مجموع الأسئلة المحيطة بإحداث صندوق تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية. ومن جملة هذه الأسئلة³:

1. هل يتعلق الأمر بصندوق تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، أو بصندوق مواكبة

تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية؟

2. إن كان الأمر يتعلق بصندوق تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، فسيكون عليه

تحمل جميع النفقات ذات الصلة بالمتعین القيام به من طرف الدولة والمنصوص

عليه في القانون التنظيمي 26.16 المتعلق بتحديد مراحل تفعيل الطابع الرسمي

للأمازيغية وكيفيات إدماجها في مجال التعليم وفي مجالات الحياة العامة ذات

الأولوية. في هذه الحالة يمكن القول أن الحكومة أخطأت تقدير كلفة المتعین

³ عبد الله حتوس، أسئلة بشأن صندوق تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، تصفح بتاريخ 2021/11/14، على

الرابط:

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=735969>

القيام به، لأن ميزانية الورش المنُصَفُ لتعليم اللغة الأمازيغية، وحده، تتجاوز بكثير مبلغ المليار درهم على خمس سنوات.

أما إن كان الأمر يتعلق بمواكبة تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية (ونسطر على مواكبة)، من خلال توفير الظروف الملائمة لاستعمال الأمازيغية بالإدارة العمومية وتنمية وتعزيز قدرات الموارد البشرية العاملة بالإدارات العمومية في مجال التواصل باللغة الأمازيغية مع المرتفقين المتحدثين بها، فإن المبالغ المرصدة لصندوق المواكبة قد تفي بالغرض في حالة مراعات مبادئ الحكامة الجيدة على مستوى تدبير الصندوق المرصد لمواكبة تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية .

3. هل تخلت الحكومة عن إحداث صندوق مواكبة/تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، كما أشار إلى ذلك بعض من فسروا مضامين المادة 17 من مشروع قانون المالية، وأدرجت النفقات المتعلقة باستعمال الأمازيغية بالإدارة العمومية في الصندوق المرصود لأمر خصوصية المسمى "صندوق تحديث الإدارة العمومية"؟

4. إن كان الأمر كذلك فما مصير الالتزام الحكومي بشأن الأمازيغية والذي نص على أنه: "لتمويل ورش تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، تحدثت الحكومة صندوقاً لهذه الغاية، ابتداء من سنة 2022، كآلية مالية للدولة من أجل إدماج الأمازيغية في مجال التشريع والمعلومات والإبداع الثقافي والفني، فضلاً عن استعمالها في الإدارات وفي مجموع المرافق العمومية".

5. في حالة إدراج النفقات المتعلقة باستعمال الأمازيغية بالإدارة العمومية في صندوق تحديث الإدارة العمومية، ألا يتعلق الأمر بتقزيم الالتزام الحكومي بشأن

الأمازيغية، وإقبارا للجنة الاستشارية الوطنية واللجان الاستشارية الجهوية التي التزمت الحكومة بإحداثها لتعزيز حكمة الصندوق؟

الفرع الثاني: صندوق مواكبة تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية

تضمن البرنامج الحكومي الجديد، الذي صوّت عليه بالإجماع في مجلس النواب (الغرفة الأولى للبرلمان)، التزاما بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، خاصة من خلال إحداث صندوق خاص وضخه بميزانية تصل لمليار درهم (110 مليون دولار) بحلول عام 2025م؛ وحدد برنامج حكومة أخنوش، هدف الصندوق في "إدماج الأمازيغية في مجالات التعليم والتشريع والمعلومات والاتصال والإبداع الثقافي والفني، فضلا عن استعمالها في الإدارات وفي مجموع المرافق العمومية"، كما سيعمل نفس الصندوق على "تعزيز العدالة الثقافية واللغوية، على غرار آليات التمويل التي تعبأ في كل مرة كروافع إدماج للسياسات العمومية من أجل التنمية الاجتماعية والمجالية".

على مستوى تمويل هذا الالتزام، أوضح البرنامج الحكومي أن "صندوق مواكبة ترسيم الأمازيغية يستمد موارده من ميزانية الدولة، التي ستصل إلى مليار درهم ابتداء من سنة 2025".

ولتعزيز حوكمة صندوق مواكبة تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وعد (عزيز أخنوش) في برنامجه الحكومي بـ "إحداث لجنة استشارية وطنية ولجان استشارية جهوية تضم ممثلي القطاعات الوزارية المعنية وتنفّح على شخصيات لها إلمام بالثقافة الأمازيغية"⁴.

⁴ علق (أحمد بوكوس) عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية على خطوة الحكومة الجديدة التي "جاءت بالتزامات كلها أساسية." واعتبر بوكوس، أن التزام الحكومة بخصوص تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية "مبادرة جيدة، خصوصا أنه تضمن إنشاء صندوق لتمويل هذا المشروع للنهوض بالأمازيغية." ودعا عميد المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، رئاسة الحكومة إلى "ضرورة استشارة المؤسسات التي لها صلة بالأمازيغية، ومنها المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية الذي راكم تجربة 20 سنة.

وكان مهتمون وناشطون أمازيغ، حريصين على تبيين الأهمية التي سيوليها البرنامج الحكومي الجديد لملف الأمازيغية.

إذ يرى الأكاديمي المتخصص في الثقافة الأمازيغية، (الحسين بويعقوبي)، أنه "من مميزات طريقة طرح البرنامج الحكومي لموضوع الأمازيغية ربطها بالتنمية الاقتصادية، وفي هذا الطرح دعوة لجعل الأمازيغية وتطويرها رافعة للتنمية في مختلف أبعادها"، وأضاف الأكاديمي المختص في الأمازيغية "الالتزام بإحداث صندوق خاص ستصل ميزانيته مليار درهم سنة 2025 لتمويل مشروع الأمازيغية من أهم الالتزامات، لأن الميزانية المخصصة للأمازيغية من أكبر نواقص البرامج الحكومية السابقة". واستطرد الأكاديمي المغربي "يبدو أن اللجنة الاستشارية الحالية ستأخذ بعين الاعتبار البعد الجهوي لموضوع الأمازيغية من خلال خلق لجان جهوية".

وإذا كان ما جاء به برنامج (عزيز أخنوش) مهما بشأن النهوض بالأمازيغية في المغرب وضمان لرهان التوجه الرسمي، ثمة تساؤلات حول واقعية ترجمة الالتزامات خلال خمس سنوات من عمر الحكومة الحالية؛ يجيب الكاتب والمحلل السياسي، (عادل بنحمزة) "قد يكون الأمر صعبا في مستوى من المستويات، لأن عملية جعل اللغة الأمازيغية لغة رسمية فعليا أمر له جانب بنوي".

ويضيف بنحمزة "أعتقد أن مكونات الحكومة الثلاثة عبرت في برامجها الانتخابية وقبل أن تتحالف، عن وعيها بأهمية النهوض بالأمازيغية، لذلك علينا انتظار تفعيل التزامات الحكومة في هذا الباب".

ويهدف المعهد، الذي تأسس في 17 أكتوبر 2001 طبقا لقرار صادر عن العاهل المغربي الملك محمد السادس، إلى تقديم المشورة في التدابير التي من شأنها الحفاظ على الثقافة الأمازيغية والنهوض بها في جميع تعابيرها.

وسجل الكاتب والمحلل السياسي، عادل بنحمزة، أن النوايا الحكومية "جاءت لأول مرة مقرونة بالتزامات مالية، هي في حد ذاتها مقدمة جدية ذات بعد رسمي إذا ما استمرت الإرادة السياسية في اتجاه الالتزام بتنفيذ الدستور في الجانب المتعلق باللغة الأمازيغية واستعمالاتها"⁵.

المطلب الثاني: مقارنة التدرج في إدماج الأمازيغية في مجالات الحياة العامة ذات الأولوية

ليس هناك مجال يستدعي التدرج أكثر من المجال الثقافي واللغوي، فعندما قرر الدستور ترسيم الأمازيغية، فقد قرر أيضا تنظيم هذا الترسيم لضبطه وإنجاحه، وبالتالي إبعاده عن كل ارتجال أو عشوائية. لهذا تم اعتماد مقارنة التدرج وعدم التدرج وعدم الشروع في إدراج الأمازيغية في كافة مجالات الحياة العامة دفعة واحدة، والبدائية المنطقية تكون أولا بالمجالات ذات الأولوية، التي تمهد وتسهل مهمته في باقي المجالات الأخرى.

فإدماج الأمازيغية يستدعي تدابير مالية وإدارية ولوجستكية كبيرة ومكلفة لميزانية الدولة وتمهيد ثقافي ليقبله الجسم الاجتماعي ومؤسساته التي تدبر شؤونه. لا أن الملاحظ على هذا المستوى، هو أنه إذا كان الدستور قد أشار إلى ضرورة نهج مبدأ التدرج في عملية الترسيم، فإنه لم يحدد المجالات ذات الأولوية في هذه العملية، بل ترك الأمر للقانون التنظيمي. إلا أنه يمكن القول بأن قطاع الصحة والتعليم والقضاء والنقل والإعلام تفرض نفسها كقطاعات ذات أولوية حيوية.

الفرع الأول: حول كفاءات الإدماج

⁵ عبد المومن محو، برنامج أخنوش يعد بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية في المغرب، تصفح بتاريخ:

2021/10/20، على الرابط: <https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1470967>

تتقسم هذه الكيفيات إلى عامة وواجبة على كافة المجالات المعنية، وإلى خاصة بكل مجال على حدى.

وتتجلى الكيفيات العامة في⁶:

1. التزام جميع المجالات المذكورة باستعمال اللغة الأمازيغية الموحدة، لغاية تحقيق

وحدة المغاربة في هذه اللغة، على غرار وحدتهم في استعمال اللغة العربية،

والفرنسية وغيرهما، ووحدتهم أيضا في العقيدة الإسلامية وفي المذهب الديني.

2. التزامها كذلك باستعمال حرف التيفيناغ، الذي أقره محمد السادس، بعد استشارته

للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية كمؤسسة عمومية مكلفة بتدبير الشأن الأمازيغي

ووضع استراتيجية النهوض به.

3. جعل الأمازيغية الرسمية حاملة لنفس مضامين اللغة العربية، لتوحيد الوجدان

المشترك للمغاربة، وعدم خلق تنافر بين عقليات الناطقين بالأمازيغية، والناطقين

بالعربية.

4. تعامل موظفي المجالات المعنية مع الأمازيغية بالجدية بالشكل اللائق، وبغير

دونية، تنفيذاً لروح الدستور الذي يمنع كل أشكال التمييز.

أما الكيفيات الخاصة بكل مجال فهي موكلة إلى خبراءه الذين عليهم أن يبلوروا مخططاً

استراتيجياً لتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية كل في ميدان اختصاصه.

لكن إن كانت هذه الكيفيات الخاصة واضحة ومحدودة بالنسبة لبعض المجالات الأخرى

أنفة الذكر، فإنها تبدو معقدة وشائكة نوعاً ما بالنسبة لمجال التعليم بالخصوص، ولا

سيما فيما يتعلق بتوزيع مواد التدريس بين العربية والأمازيغية، وما يطرحه هذا التوزيع

⁶نادية المخزومي، "الحقوق اللغوية بالمغرب بين المطلب الحقوقي والاعتراف الدستوري للغة الأمازيغية

نموذجاً"، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، العدد 19، 2017، ص 117.

من تنازع محتمل بين أنصار اللغتين، مع ما يخلقه ذلك من مشاعر سيئة ومن صراع له انعكاسات سلبية على السلم المجتمعي وعلى اللحمة الوطنية.

الفرع الثاني: حول مراحل التفعيل

إذا كانت الكيفيات مرتبطة أساسا بطريقة العمل ومنهجيته، فإن المراحل عكس ذلك مرتبطة بمدة زمن إنجازها وعلى هذا الأساس قضى الدستور بأن ينص القانون التنظيمي على تحديد المراحل التي يجب فيها على كل مرفق عمومي إنجاز مهمته في تفعيل الطابع الرسمي في المجال ذي الأولوية المكلف بتدبير شأنه.

وما من شك أن هدف الدستور من تحديد هذه المراحل بدقة، يتمثل في إخضاع عملية الترسيم للمحاسبة والحكمة الجيدة، ولإبعادها عن كل اعتبارية، وكذا عن الإطلاق الزمني الغير المحدود.

ومن الطبيعي أن تكون المدة الزمنية لمراحل التفعيل تختلف من مجال إلى آخر، فإن كان تقديرها واضحا ويسيرا بالنسبة لبعض المجالات، مثل النقل الذي تنحصر مهمته في إدراج الأمازيغية في علامات الطرق، وفي محطات القطار، أو مجال المالية في إضافة الأمازيغية إلى العملة الوطنية، أو مختلف المرافق العمومية بشأن كتابة عناوين إدارتها بالأمازيغية، إبرازا للاعتزاز بالهوية الوطنية، فإنه على العكس من ذلك يتطلب بعض الوقت والجهد بالنسبة لمجالات أخرى على رأسها قطاع التعليم، وهذا ما يدعو إلى ضرورة استعانة هيئة الأطر المكلفة بإعداد هذا القانون التنظيمي بخبراء ومختصين، لحسن تقديرها للمدد الزمنية الخاصة بمختلف مراحل المجالات المعنية.

المبحث الثالث: التحديات والمسارات الجديدة للحركة الأمازيغية

بدأت تبرز في الفترة الأخيرة توجهات جديدة داخل الحركة الأمازيغية، دفع نحو مسار جديد في اتجاه يسير أكثر فأكثر نحو تدويل المسألة الأمازيغية، سواء بالضغط المباشر والغير مباشر (علاقة الحركة الأمازيغية "بإسرائيل") من الخارج بهدف تحقيق مطالب الحركة الأمازيغية. إذ تجسدت هذه الاستراتيجية الهجومية/الدفاعية من خلال مظاهر متعددة، سواء عبر المشاركة في ندوات ومحاضرات دولية عن حقوق الشعوب الأصلية ومحااربة التمييز العنصري، في الأمم المتحدة أو غيرها من المنظمات الدولية؛ أو عبر دعوة الاتحاد الأوروبي إلى قطع علاقاته الاقتصادية وإنهاء الوضع المتقدم للمغرب مع الاتحاد الأوروبي بسبب ما تراه من عدم احترام المغرب لالتزاماته مع الاتحاد الأوروبي المتمثلة في حماية حقوق الإنسان والديمقراطية. أو من خلال عمل عناصر من نشطاء الحركة الأمازيغية بالداخل للإدماج الفعلي لمطالب الحركة الأمازيغية ضمن الأحزاب السياسية أو بداية الولوج للمؤسسات الرسمية للدولة؛ وهذا ما يجعل الوقوف عند هذه المسارات والتحديات الجديدة بالرصد والتحليل أمراً هاماً قصد معرفة الحدود التي وصلت إليها، وتقييمها بناءً على مجمل مسار الحركة الأمازيغية في المغرب.

المطلب الأول: جبهة العمل الأمازيغي كأرضية جديدة لفتح النقاش السياسي

الهوياتي

الفرع الأول: أرضية جبهة العمل الأمازيغي

جبهة العمل الأمازيغي هي مبادرة جماعية خلقت من قبل مجموعة من فعاليات الحركة الأمازيغية بالمغرب، تتلخص غاياتها أو استراتيجيتها على المدى القريب، في التحسيس بمنسوب المخاطر التي تزداد حدتها ضد حياة الأمازيغية والحركة الأمازيغية معاً، بالرغم من دسترة الأولى وعراثة نضالات الثانية، هذا من جهة، ومن جهة تسعير إلى توسيع فضاءات النقاش العام حول حتمية الحسم في سؤال المشاركة السياسية المباشرة بأفاقه التنظيمية والمؤسساتية، والغاية الكبرى هي ضمان وتيرة قوية للعمل الأمازيغي داخل المؤسسات، الأمر الذي من شأنه أن يعطي أيضاً قوة رمزية

ومادية لعموم مكونات الحركة الأمازيغية.

وفي هذا السياق نظمت "جبهة العمل الأمازيغي"¹ عدة لقاءات ومشاورات دورية منتظمة، ضمت مجموعة من مناضلي القضية الأمازيغية على المستوى الوطني، تناولت فيها ومن خلالها وضعية القضية الأمازيغية بالمغرب في ارتباطاتها بمختلف أطراف المجتمع ومؤسسات الدولة.

وقد توقفت جبهة العمل الأمازيغي بشكل عميق عند الهوة الكبيرة بين الخطابات الرسمية وشبه الرسمية، والممارسات التي تناقض ذلك على المستوى المؤسساتي، كما توقفت عند الأسباب التي طبعت سلوكات بعض الهيئات الحزبية ومعها عدد من مؤسسات الدولة اتجاه الأمازيغية كلغة وثقافة وهوية وحضارة وكحق من حقوق الإنسان العادلة والمشروعة وكونها رصيذاً مشتركاً لكل المغاربة.

ومع تواتر هذا التعاطي والممارسات السلبية مع القضية الأمازيغية، بقيت معه مؤسسات الدولة على علاقة جد متوترة وصدامية مع مختلف أطراف الحركة الأمازيغية بالمغرب. كما سجلت جبهة العمل الأمازيغي أن توتر هذه العلاقة ليس وليد ما بعد مرحلة الإستقلال 1956، وإنما تتجاوزها إلى مرحلة أعمق في تاريخ المغرب المعاصر إلى مرحلة الحماية 1912 إبان هذه المرحلة بالذات بدأت عمليات تفتيت وتفكيك وتدمير البنيات الاجتماعية والثقافية الأمازيغية بالمغرب².

وقد راهن نظام الحماية إذ ذاك على نخب اختارها بعناية كبيرة من الفئات المؤيدة لمعاهدة الحماية ومن المحميين القنصليين، وصعد بها إلى واجهة الساحة السياسية في

¹ بعد تأسيسها في يناير عام 2020، وقعت 'جبهة العمل السياسي الأمازيغي'، التي تضم نشاطاً من الحركة الأمازيغية في المغرب، اتفاقين مع حزب التجمع الوطني للأحرار وحزب الحركة الشعبية، تم بموجبهما انضمام أعضاء من الجبهة إلى الحزبين، في خطوة تبينت آراء باقي مكونات الحركة الأمازيغية في المغرب بشأنها.

² الموقع الإلكتروني الرسمي لجبهة العمل الأمازيغي

الثلاثينيات والأربعينيات، وفي الخمسينيات على وجه التحديد. واتخذ نظام الحماية من هذه النخب السياسية والحزبية المطيعة محاوراً ومفاوضاً له لوضع ترتيبات وإجراءات لإنهاء نظام الحماية ليسلمها سنة 1956 مغرباً يضمن للطرفين مصالحهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية..

وبعد ترسيم الأمازيغية، علاوة على صدور القانون التنظيمي لتفعيلها، يمكن لأي متتبع أن يلاحظ القصور الحاصل في سيرورة العمل الأمازيغي وخاصة الجمعي منه، لأسباب عدة أهمها ضعف خطابها بمرحلة ما قبل دستور 2011. وعليه فإن جبهة العمل الأمازيغي تؤكد بأن المغرب صار ملزماً بتعاقد اجتماعي وسياسي جديد، يعيد ربط خيوط الماضي بالحاضر وإستعادة هوية البلد وعمقه الحضاري الأمازيغي الإفريقي من أجل إستشراف مغرب جديد قوامه التعددية والتنوع في إطار الوحدة بغية التأسيس لنموذج تنموي جديد ورائد يستحضر أسس العمق الهوياتي للمغرب وخلفيته التاريخية والجغرافية والحضارية، لضمان إدماج اجتماعي وثقافي لجميع المكونات. نموذج تنموي جديد يربط الماضي بالحاضر لإستشراف المستقبل المبني على أسس العمق الهوياتي الأمازيغي الإفريقي. وفي هذا السياق اتخذت الحركة الأمازيغية أوجها عدة ما بين الأكاديمي العلمي والنضالي الإحتجاجي وكذا الجمعي الترافعي ... مع دعوات متكررة لفتح جبهة العمل السياسي - الحزبي - سواء من خلال انخراط بعض المناضلين سابقا في بعض الأحزاب أو من خلال محاولات متكررة لتأسيس حزب بمرجعية أمازيغية. لكن هذه الأخيرة لم يكتب لها التحقق على أرض الواقع، لدواعي ذاتية وأخرى موضوعية، الأمر الذي جعل مناضلي الأمازيغية غائبين عن الميدان المؤسسي ومجمل السياسات العمومية، ومنها على سبيل المثال: القانون التنظيمي، القانون الإطار للتربية والتكوين، قانون بنك المغرب، القانون التنظيمي للمجلس الوطني للغات...، حيث تكررت التراجعات والتأويلات للأمازيغية للسياسات العمومية

التشريعية.

والنصوص

وإذ تستحضر جبهة العمل الأمازيغي كل هذه المحطات وما سبقها وما قد يلحقها في حالة ترك المعتزك السياسي المباشر فارغاً، فإنها أصبحت ترى أن الوقت قد حان من أجل أن يتحلّى مناضلو القضية الأمازيغية المقتنعين بالعمل السياسي المباشر المؤسساتي، حيث ترى بأنه واجهة مهمة لتصريف الخطاب والمطلب الأمازيغي وتفعيله عبر المؤسسات.

الفرع الثاني: اندماج الجبهة الأمازيغية مع حزب للتجمع الوطني للأحرار

لولا: حزب للتجمع الوطني للأحرار

تأسس التجمع الوطني للأحرار عقب الانتخابات التشريعية التي شهدتها المغرب عام 1977، وتشكل - بقيادة أحمد عصمان صهر الملك الراحل الحسن الثاني - من عشرات النواب الذين تقدموا لتلك الانتخابات دون انتماء سياسي وكونوا أغلبية البرلمان.

وبالنظر للسياق التاريخي والسياسي لنشأة الحزب، فإن تشكله كان بإيعاز من القصر الملكي بقصد إحداث نوع من التوازن مع الأحزاب التي ظلت تتنازع الملكية حول الشرعية السياسية في البلاد منذ الاستقلال. يصنف ضمن أحزاب الوسط، وهو يعتمد على الأغنياء والأعيان المحليين وكبار الموظفين ورجال الأعمال، يعتبر مظاهر التقدم البشري ملكاً مشتركاً بين كافة الشعوب، ساهمت في مراكمتها كل الحضارات الإنسانية بما فيها الحضارة المغربية. يؤكد أنه يركز على ما يصفه بالديمقراطية الاجتماعية، ويعتبر التقدم وامتلاك القيم الإنسانية الكونية السلاح الوحيد لرفع تحديات الحاضر والمستقبل، ويتمسك بخاصية الانفتاح والتعدد في كافة المجالات، السياسية والثقافية واللغوية، ويعتبر البعد الاجتماعي من صميم مهام الدولة التي عليها التدخل للتقنين والضبط والتخطيط وضمان الخدمات الاجتماعية للجميع.

حصل الحزب في الانتخابات التشريعية عام 1977 على 144 مقعدا من أصل 267 عضوا، وفي عام 1979 استجاب الملك الحسن الثاني لأحمد عصمان بإعفائه من رئاسة الوزراء للتفرغ لشؤون الحزب، الذي التحق عام 1981 بصفوف المعارضة³.

انشقت عن الحزب مجموعة أسست الحزب الوطني الديمقراطي، وأصدرت عام 1983 وثيقة "مغربة الذات والاعتماد على النفس"، وهي بمثابة الرؤية الفكرية للحزب.

حصل التجمع الوطني للأحرار في الانتخابات التشريعية عام 1984 على 61 مقعدا من أصل 306 مقاعد، وانتخب زعيمه رئيسا لمجلس النواب، وفي عام 1992 حصل الحزب على المرتبة الأولى في الانتخابات المحلية، لكنه لم يحصل إلا على 34 مقعدا في الانتخابات التشريعية عام 1993، وقرر عدم المشاركة في الحكومة والاكتفاء بالمساندة النقدية لها داخل البرلمان. فاز بـ 50 مقعدا في مجلس النواب في الانتخابات التشريعية عام 1997، وشارك عام 1998 بخمس حقائب وزارية في الحكومة التي عرفت باسم "حكومة التناوب".

وفي عام 2001 جدد المؤتمر الوطني الثالث للحزب الثقة في أحمد عصمان رئيسا له، وبعد عام حصل على المرتبة الرابعة في أول انتخابات تشريعية في عهد الملك محمد السادس.

وفي عام 2005 انشقت عن الحزب مجموعة أخرى بقيادة عبد الرحمان الكوهن، وأسست حزب الإصلاح والتنمية، احتجاجا على انفراد أحمد عصمان - الذي ظل على رأس الحزب 29 عاما - بالقرار. وفي مؤتمره الوطني الرابع في ماي 2007، انتخب

³ التجمع الوطني للأحرار، تصفح بتاريخ: 2021/11/12، على الموقع:

[/https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties](https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties)

الحزب مصطفى المنصوري أميناً عاماً له مع احتفاظ عصمان بلقب الرئيس الشرفي، ولم تمض إلا ثلاث سنوات حتى قامت حركة وصفت نفسها بـ "التصحيحية" تنتقد إدارة الرئيس الجديد للحزب، وتوجت تحركاتها بتولي صلاح الدين المزوار رئاسة الحزب. خرج الحزب للمعارضة بعد انتخابات 25 نوفمبر 2011، لكنه غادرها ودخل الحكومة التي كان يقودها حزب العدالة والتنمية في أكتوبر 2013 بعد انسحاب حزب الاستقلال منها. عوض عزيز أخنوش رئيس الحزب صلاح الدين مزوار على أثر فشل الحزب في تحقيق نتائج إيجابية في انتخابات 7 أكتوبر 2016 التشريعية، التي فاز فيها بـ 37 مقعداً من أصل 395، مقابل 125 مقعداً لحزب العدالة والتنمية الذي احتل المرتبة الأولى. ودشن أخنوش في نوفمبر 2016 مفاوضات مع الأمين العام لحزب العدالة والتنمية عبد الإله بنكيران من أجل الانضمام إلى التشكيلة الحكومية الجديدة، وقدم أخنوش شروطاً مقابل المشاركة في الحكومة بينها إخراج حزب الاستقلال من التحالف الحكومي المنتظر وإدخال حزب الاتحاد الاشتراكي⁴.

في 17 مارس 2017 استقبل الملك محمد السادس سعد الدين العثماني وكلفه بتشكيل حكومة جديدة، بعد يوم واحد فقط من إعفائه رئيس الحكومة المكلف السابق الأمين العام لحزب العدالة والتنمية عبد الإله بنكيران. وفي الخامس من أبريل 2017 أدى العثماني برفقة تشكيلته الحكومية القسم أمام ملك البلاد، وقد تألفت من 39 وزيراً وكاتب دولة، ينضمون إلى ستة أحزاب من بينها حزب التجمع الوطني للأحرار.

⁴ المرجع نفسه.

وفي سبتمبر 2021 تصدر حزب التجمع الوطني للأحرار النتائج الرسمية في الانتخابات التشريعية حيث حصل على 102 مقعد، يليه حزب الأصالة والمعاصرة بـ 86 مقعد والمرتبة الثالثة لحزب الاستقلال بـ 81 مقعد.

النتائج الرسمية لنسب المشاركة في انتخابات 8 سبتمبر 2021

الجدول رقم: (15)

عدد الناخبين المسجلين	17 509 127
نسبة المشاركة	%50.18

الجدول رقم: (16)

النتائج الرسمية النهائية للانتخابات التشريعية لسنة 2021 حسب وزارة الداخلية المغربية:

المرتبة	اسم الحزب	عدد المقاعد
1	التجمع الوطني للأحرار	102
2	الأصالة والمعاصرة	86
3	الاستقلال	81
4	الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية	35

5	الحركة لشعبية	29
6	التقدم والاشتراكية	21
7	الاتحاد الدستوري	18
8	العدالة والتنمية	13
9	بقوة الأحزاب	12

المصدر: موقع وزارة الداخلية المغربية <http://www.elections.ma>

ثانياً: يفتح اندماج جبهة العمل السياسي الأمازيغي في حزب التجمع الوطني للأحرار في المغرب الباب على مصراعيه أمام هذه الجبهة للمشاركة السياسية الفعالة وذلك بعد أن كانت منكفأة على نفسها لأكثر من 40 سنة خارج الأحزاب ومؤسسات الدولة والتي تحظر تأسيس أحزاب سياسية ذات خلفية عرقية⁵. واعتبر عزيز أخنوش، رئيس حزب التجمع الوطني للأحرار أن التحاق جبهة العمل السياسي الأمازيغي بحزبه ليس صدفة بل عن قناعة نظراً لجدوى العمل من داخل المؤسسات، مؤكداً أن "النهوض بالقضية الأمازيغية مسؤولية الأحزاب؛ وهو ما يعتبره حزبه من أولوياته، لكونها إرثاً مشتركاً

⁵ تنص المادة الرابعة من قانون الأحزاب السياسية بالمغرب على أنه "يعتبر باطلاً كل تأسيس لحزب سياسي يرتكز على أساس ديني أو لغوي أو عرقي أو جهوي، أو بصفة عامة على أي أساس من التمييز أو المخالفة لحقوق الإنسان".

وسبق للمؤسسات المغربية أن منعت، في العام 2008، إنشاء الحزب الديمقراطي الأمازيغي، الذي أسسه حينها أحمد دغرسي، معللة ذلك بأن القانون يحظر إنشاء أحزاب ذات خلفية عرقية أو طائفية.

وله رصيد مهم من القضية الأمازيغية أهمه دفاعه عن دسترة الأمازيغية في دستور 2011⁶.

ويرى محيني الدين حجاج، المنسق الوطني لجبهة العمل السياسي الأمازيغي، أن الحركة الأمازيغية كانت دائما تمارس العمل السياسي، ولكنها لم تمارس العمل الحزبي، لأنها قاطعت العمل داخل المؤسسات، مبرزا أن الغياب لم يكن بشكل عبثي، ولكنه كان "يرفض الاشتغال داخل مؤسسات لا تعترف بالأمازيغية قبل الدستور"⁷. مؤكدا أن الجبهة حصلت على ضمانات من حزب التجمع الوطني للأحرار، "لتدارك ما عرفته الأمازيغية من تأخر خلال فترة حكم الحكومة السابقة." و أن تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية في المغرب، يحتاج إلى تعزيز موقع الأمازيغية في المنظومة التربوية المغربية أفقيا وعموديا، لأن النهوض بالأمازيغية وإراجها في الحياة العامة يحتاج إلى أطر وكفاءات مكونة، تتقن اللغة الأمازيغية، وأعتقد أن التعليم هو مربي الفرس في هذا الشأن".

وقد وجهت 147 شخصية ناشطة في مجال الدفاع عن "القضية الأمازيغية" في المغرب، رسالة تهنئة إلى عزيز أخنوش، بمناسبة تعيينه رئيسا للحكومة، داعية إياه إلى العمل على تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية خلال ولايته الحكومية. وقال النشطاء الأمازيغي في الرسالة إنهم ينوون "بالمكانة والأهمية التي أوليتموها في برنامج حزبكم الانتخابي لتفعيل الطابع الرسمي للغة والثقافة الأمازيغية، فإننا نرجو تحقق ذلك ونؤكد لكم دعمنا

⁶ انماج الجهة الأمازيغية مع حزب التجمع الوطني للأحرار المغربي يقوي مشاركتها السياسية، تصفح بتاريخ:

/ <https://fdamazigh.com>: على الرابط: 2021/11/20

⁷ نفس المرجع.

لكل المبادرات والإجراءات الرامية إلى تفعيل المؤسساتي لهذا الالتزام خلال ولاية ترؤسكم للحكومة الجديدة⁸.

وفي هذا الصدد، أوضح حجاج أن الاتفاق التي وقعتة الجبهة مع حزب التجمع الوطني للأحرار، "مبني على مجموعة من الشروط والتزم الحزب بالعمل على تفعيلها، منها تفعيل كل الإجراءات الرامية إلى تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية، وشاهدنا فعلا، كيف أن الحزب أدرج المسألة الأمازيغية في برنامجه الانتخابي، والآن، نطمح أن نرى ذلك أيضا في البرنامج الحكومي، ونطمح أيضا أن نرى ذلك كله، على أرض الواقع".

وتابع "الآن في علاقتها بحزب التجمع الوطني للأحرار، تنتظر تفعيل الاتفاق كاملا، ونعتبر أن الأمازيغ يجب أن يعملوا من داخل المؤسسات، ويجب أن ينتقلوا من المعارضة إلى المساهمة في العملية السياسية، لإدراك الركود الذي عرفته الأمازيغية خلال الحكومة السابقة".

ثالثا: ملف الأمازيغية بيد الملك

مقابل ذلك، ترى أمينة زيوال، نائبة رئيسة "جمعية صوت المرأة الأمازيغية" أن ملف الأمازيغية في المغرب، "موجود في يد الملك، وحده من يقرر بشأنه"، مبرزة أن الأمازيغية "تعيش تراجعا خطيرا في السنوات الأخيرة".

⁸ نشطاء أمازيغ مغاربة.. بين تفاؤل وتشاوم من حكومة عزيز أخنوش، تصفح بتاريخ: 2021/10/24، على

الرابط: <https://www.maghrebvoices.com/morocco/2021/09/24>

وتقول زيوال إن الأحزاب المكونة للتحالف الحكومي: "لن تخدم الأمازيغية، ولا نية لها في النهوض بها، لأن من يقودها، سبق له وأن شارك في الحكومة السابقة، ولم يقدم شيئاً للقضية الأمازيغية". وأضافت أن: "المؤسسة الملكية من يقرر في المسألة الأمازيغية وليس الحكومة، وسبق لرئيس الحكومة السابق عبد الإله بن كيران، أن صرح بذلك".

وبالنسبة للمرأة الأمازيغية، ترى زيوال أنها تعاني وبشدة من تمييز وتهميش وإقصاء، مبرزة أن أخنوش ساهم ومن خلال إشرافه على وزارة الفلاحة والصيد البحري والمياه والغابات على تفجير المرأة الأمازيغية في الأرياف، وقامت وزارته بانتزاع الأراضي الفلاحية منها وأساء للمرأة الأمازيغية على جميع المستويات. وأضافت متسائلة: "ألم يكن الأحرار جزءاً من الحكومة السابقة؟ لم يقدم الحزب شيئاً للأمازيغية وللمرأة الأمازيغية، وبالتالي لست متفائلة بالتحالف الحكومي الجديد".

المطلب الثاني: رهانات الخارج وتأثيرها في التعاطي مع الأمازيغية

الفرع الأول: مسار التطبيع بين المغرب و"إسرائيل"

سعت "إسرائيل" بشكل حثيث لتوطيد علاقتها مع الدول الإفريقية، واختراق الصف العربي المناصر للقضية الفلسطينية، وأدركت زعزعة مقاليد الحكم في المملكة المغربية، وعملت على استغلال ذلك، ومقايضة علاقة هذه الأنظمة مع الولايات المتحدة عبر "إسرائيل"، لتوفير سبل الدعم العسكري والمالي لها، ومن خلال ذلك تسللت إلى دول المغرب العربي ككل. ومنذ تولي دونالد ترامب مقاليد الحكم في البيت الأبيض للولايات المتحدة الأمريكية، عاد مصطلح التطبيع للتداول بصورة كبيرة، وعمل على إعادة علاقات التطبيع بين المملكة المغربية و"إسرائيل" من جديد وبشكل علني.

إذ سبقت المملكة المغربية الدول العربية في علاقاتها مع "إسرائيل"، حين عملت المنظمات الصهيونية على تهجير يهود المغرب إلى فلسطين مع إقامة "إسرائيل" سنة 1948،

لحاجتها للعنصر الديموغرافي، فهاجر 85 ألف يهودي¹ حتى سنة 1956، وكانت المغرب ما تزال تحت الانتداب الفرنسي. ورأى يهود المغرب قيام "إسرائيل" فرصتهم للهجرة، نتيجة لتأييدهم للاستعمار الفرنسي، وخشيتهم على مستقبلهم، بفعل معاداتهم للحركة الوطنية المغربية لهم².

تحسنت أوضاع اليهود مع استقلال المغرب سنة 1956، واعتلى الوزير اليهودي (لينون بن زاكي) رأس الهرم الإداري والمجلس الاستشاري للملك محمد الخامس، لكن أمام تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، أصدر الملك قراره بمنع هجرتهم، ووضع العقبات أمام المنظمات الصهيونية إلى أن حظرت أنشطتها في المغرب سنة 1959. تلك الإجراءات المغربية جاءت بعد موجة من الانتقادات المصرية والعربية للمغرب في تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين، ومطالبة من جامعة الدول العربية بضرورة إيقافها. ومع ذلك كثفت الحركة الصهيونية من تهجير يهود المغرب وفق سياسة الانتقاء من الناحية الجسدية والاقتصادية عبر منظمة (كاديما Kadima)، التي نظمت هجرتهم بمساعدة الوكالة اليهودية ولجنة التوزيع المشتركة. ومن ثم اتفق مكتب الموساد في المغرب مع الوكالة اليهودية على تهجير اليهود سرا بعد إغلاق مكتب (كاديما) سنة 1956، وشكلت هيئة سرية بثلاث فروع في القدس، والدار البيضاء، وباريس لتوصيل المهاجرين سرا إلى معسكرات في جبل طارق، ومريسليا ونابولي وترتب على ذلك الأمر أن أصبحت الدار البيضاء نقطة عمل لمنظمة الموساد في الشمال الإفريقي³.

¹ تتشكل الطائفة اليهودية في المغرب من التوشفيم، أي اليهود المحليين، والكورشم أي اليهود المهاجرين من غرناطة سنة 1942، الذين استقروا في طنجة، وسلا، وأسفي. وتقلد يهود المغرب وظائف عليا بالدولة كوزارة البريد، ووزارة الدولة، والسياحة وغيرها.

² إلهام جبر شمالي، مسار التطبيع بين المملكة المغربية و "إسرائيل"، مركزة الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2020، ص2.

³ أحمد هيكل، يهود المغرب وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة، 2007، ص95.

وبعد تسلّم الحسن الثاني السلطة في 1961، حتى انتهج سياسة مرونة مع يهود المغرب، لتغيير صورة بلاده لدى العالم الغربي، وعينَ خمس قضاة يهود في المحاكم كما عينَ خمس قضاة يهود في المحاكم و(أندريه أزولاي) مستشاراً له، وعقدت مفاوضات سرية مع مسؤولين من الجمعية العبرية لمساعدة المهاجرين، بمشاركة رئيس خلية الموساد (ألكس غاتمون Alex Gatmon)، عبر اثنين من اليهود المغربيين، سمح بموجبها بهجرة يهود المغرب إلى "إسرائيل" عبر منظمة Hias الدولية لتهجير اليهود، مقابل حصول المغرب على 250 دولاراً عن كل يهودي.

ظهرت نتائج التطبيع وتوطدت العلاقات المغربية الإسرائيلية مع توقيع اتفاقية أوسلو OSLO، ليتم الاتفاق سنة 1994 على إقامة علاقات دبلوماسية، وتم افتتاح مكاتب تمثيلية في الرباط وتل أبيب وحينما تولى محمد السادس العرش سنة 1999، وجّه رسالة طمأنينة للجالية اليهودية المغربية "ليس لدى اليهود ما يثير قلقهم" كونهم مواطنين مغاربة يعيشون في دولتهم، إلا أن العلاقة بين الطرفين أخذت بالتراجع خصوصاً بعد اندلاع انتفاضة الأقصى 2000⁴، حيث هاجر نحو 248 ألف يهودي مغربي حتى سنة 2000، ولم يتبقى سوى 3 آلاف يهودي، وصل نحو 40 يهودياً منهم سنة 2012.

1. اتفاق إعادة التطبيع:

بدأت الإدارة الأمريكية استخدام نفوذها لعقد اتفاق مع المملكة المغربية منذ سنة 2018، ففي كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة قال (بنيامين نتنياهو) "بعد تصاعد قوة إيران، أصبح الاتفاق بين إسرائيل والدول العربية أقرب من أي وقت مضى"، وعلى هامش أعمال الجمعية العامة، التقى نتنياهو مع وزير الخارجية المغربي ناصر بوريطة، لتعزيز التحالف السري بين البلدين، ودفع الولايات المتحدة لمساومة المملكة المغربية في إعادة التطبيع مقابل الاعتراف بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية، مقابل تشجيع إدارة ترامب الرباط على

⁴ يهود المغرب: الشبان يهاجرون إلى فرنسا، أو إسرائيل، تصفح بتاريخ: 2021/04/29، على الموقع:

[/https://www.madarcenter.org](https://www.madarcenter.org)

توثيق المسار الدبلوماسي من جديد، وإعادة تطبيع العلاقات مع "إسرائيل"⁵. ومع تسارع التطبيع العربي وفق ما جاء به في "صفقة القرن"، حاول نتنياهو عقد اتفاق ثلاثي تعترف بموجبه الولايات المتحدة بالسيادة المغربية على الصحراء الغربية، مقابل قيام المغرب بتطبيع علاقاتها مع "إسرائيل"؛ إلا أن الإدارة الأمريكية لم توافق على هذه الخطوة كما رفضها العاهل المغربي. فقد أكد رئيس الوزراء المغربي سعد الدين العثماني رفض المغرب لأي تطبيع للعلاقات مع "إسرائيل"، وذلك بالتزامن مع تكثيف الولايات المتحدة جهودها لدفع الدول العربية لإبرام اتفاقات "سلام" مع "إسرائيل" كالإمارات، وتأكيد على الدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، والمسجد الأقصى.

2. الإعلان عن اتفاق التطبيع:

واصلت الإدارة الأمريكية دعمها للحكومة الإسرائيلية حتى في أيامها الأخيرة، فعقدت اتفاق للتطبيع العلاقات المغربية-الإسرائيلية، وتكمن أهمية هذا الاتفاق أنه اتفاق ثنائي شمل الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المغربية؛ والمستفيد الأول منه هي "إسرائيل"، وقد اتفق كلا من (جاريد كوشنر) والمبعوث الخاص (آفي بيركوفيتش) مع وزير الخارجية المغربي (ناصر بوريطة) على إعادة تطبيع العلاقات بين المملكة المغربية و"إسرائيل"، وأهم ما جاء في لاتفاق⁶:

1. تعزيز العلاقات الاقتصادية والتكنولوجية.
2. فتح المكاتب الدبلوماسية بين البلدين، كما كانت قبل 2002.
3. التحضير لتبادل السفارات في أقرب وقت.
4. استئناف الاتصالات الرسمية بين الطرفين، والسماح لشركات الطيران الإسرائيلية باستخدام المجال الجوي المغربي وتبادل الرحلات الجوية المباشرة.

⁵ عماد عنان، صفقة الصحراء الغربية.. الاعتراف بالسيادة المغربية مقابل التطبيع، تصفح بتاريخ: 2021/02/05 ، على الموقع: <https://www.noonpost.com/>

⁶ أبرز 5 نقاط يجب أن تعرفها عن إعلان التطبيع المغربي-الإسرائيلي، تصفح بتاريخ: 2021/12/10، على الموقع: <https://arabic.euronews.com>

5. الاعتراف الأمريكي بالصحراء الغربية كجزء من المغرب، مقابل تطبيع علاقات الأخيرة مع "إسرائيل".

وبذلك تمكنت الإدارة الأمريكية في 2020/12/10، من عقد اتفاق تطبيع كامل للعلاقات الدبلوماسية بين المملكة المغربية و"إسرائيل".

الفرع الثاني: موقف وعلاقة الحركة الأمازيغية من التطبيع

أول ما يجمع بين "إسرائيل" والأمازيغية هو وجود ثقافة سياسية معادية لكليهما بالمغرب. وهي ثقافة تعرف من نبع واحد هو تبعية المغرب الهوياتية لعرب الشرق الأوسط كفرع تابع لهذا الشرق، وانتحاله الانتماء إلى هؤلاء العرب معتبرا نفسه دولة عربية. وإذا كان مفهوما أنه، لكون الفرع تابعا لأصله، فهو يعادي إسرائيل مثلما تعاديه الدول العربية التي هي في نزاع مع الدولة العبرية، فإن الإقصاء السياسي للأمازيغية هو من أجل اقناع العرب أن المغرب ليس "أمازيغيا" كما يعتقدون، بل هو عربي مثلهم، مع ما ينتج عن ذلك من أن عدوهم هو عدو المغاربة أيضا كما هو الحال بالنسبة "لإسرائيل" التي يعاديه المغاربة لأن العرب الحقيقيين يعادونها، وهذا الإقصاء السياسي للأمازيغية يرمي إلى تبيد أي تشويش على هذا الانتماء العربي للمغرب، وتقديم الدليل للعرب أن المغرب هو فعلا عربي. ولهذا ليس بغريب أن العداء "لإسرائيل" بالمغرب أقوى منه في البلدان العربية بالشرق الأوسط، فالعداء "لإسرائيل" والإقصاء السياسي للأمازيغية هما وسيلتان لغاية واحدة: التأكيد والتأكيد، والافتتاع والإقناع أن المغرب عربي، وبالتالي فإن قضايا العرب هي قضايا المغرب، وأن أعداءهم هم أعداء المغرب⁷. إذ اتخذت "إسرائيل" من دعم الحركة الأمازيغية مدخلا لتطبيع العلاقات مع المملكة المغربية، فمن وجهة النظر الإسرائيلية، فإن تطبيع العلاقات مع المغرب يشكل امتدادا لسياساتها مع المحيط، وتحاول "إسرائيل" استخدام العناصر غير العربية من تيار راديكالي داخل الحركة الأمازيغية كورقة، مقابل تحسين صورتها في المنطقة والتأسيس لقبول

⁷ محمد بودهان، ومتى التطبيع الكامل مع الأمازيغية؟، تصفح بتاريخ: 2021/03/13، على الموقع:

اجتماعي لهذه الحركة، فهناك تيار في الحركة الأمازيغية اتخذ من مغازلة "إسرائيل" شعاراً له، وعد ذلك وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس ضد الاستهداف الذي يتعرض له أمازيغ المنطقة المغربية من القوميين العرب ومن بعض الإسلاميين الأمر الذي استغلته "إسرائيل" لتأكيد العلاقات الأمازيغية المشتركة⁸، مما يعني أن "إسرائيل" تشكل أيضاً حليفاً لها في مواجهة القوى القومية العربية. ولذلك اتخذت الحركة الأمازيغية وسيلة للضغط على المملكة المغربية لتحقيق مطالبها؛ سواء عبر المنظمات الدولية أو الندوات والمحاضرات الدولية للدفاع عن حقوقهم، من خلال عمل عناصر من نشطاء الحركة الأمازيغية على ربط علاقاتهم مع "إسرائيل" من أجل الدفاع عن مطالبهم، أو عبر دعوة الاتحاد الأوروبي لقطع العلاقات الاقتصادية مع المغرب نتيجة اضطهاد حقوقهم كأقلية والضغط على المغرب من هذا الاتجاه⁹. والملاحظ أن "إسرائيل" تركز على المناطق الأمازيغية بشدة، سواء في سوس أو الأطلس المتوسط أو الريف، لتحقيق عدة أهداف كتمرير العديد من أطروحاته، للإيحاء بأن الصراع حول فلسطين هو صراع بينه وبين العرب فقط، وليس صراعاً ذا بعد ديني وحضاري يستهدف أركان الأمة الإسلامية وضرب قيمها الإسلامية، والهدف من ورائه استمالة العنصر الأمازيغي، وهذا ما جعل بعض النشطاء الأمازيغ في أحاديثهم يقولون إنهم غير معنيين بما يقع في فلسطين، فهذا صراع بين العرب واليهود، وهم ليسوا عرباً. وإذا كان هناك تضامن مع الفلسطينيين، فذلك من باب الإنسانية لا غير. أيضاً إيهام المغاربة الأمازيغ بأن اليهود عانوا مثلهم من العنصرية والتهميش¹⁰.

⁸ قال أحمد الدغرني (مؤسس الحزب الديمقراطي الأمازيغي - المحظور-) في تصريح لوكالة "قدس بريس" إن مسألة العلاقات الأمازيغية مع الجانب الإسرائيلي هي "إحدى وسائل الدفاع عن النفس، ضد الاستهداف الذي يتعرض له أمازيغ المنطقة المغاربية من القوميين العرب ومن بعض المتطرفين الإسلاميين".

⁹ إلهام جبر شمالي، مسار التطبيع بين المملكة المغربية و "إسرائيل"، مرجع سابق، ص6.

¹⁰ خالد البوهالي، هل بدأت "إسرائيل" تخترق المجتمع المغربي؟، تصفح بتاريخ: 2021/04/29، على الموقع:

[/https://www.almayadeen.net/articles](https://www.almayadeen.net/articles)

حيث أثارت دراسة للباحث بريس وايتزمان في (مركز موشي ديان)، جدلا بخصوص دعم "إسرائيل" للتيار الراديكالي داخل الحركة الأمازيغية في المغرب، واتخاذ مدخلا للتطبيع مع "إسرائيل" في محيط مجتمعي وسياسي يرفض ربط علاقات معها. فقد اعتبر (وايتزمان) أن رعاية فاعلين في الحركة الأمازيغية في المغرب هو جزء من سياسة "إسرائيل" الخارجية المنطقة لمواجهة القوى التي تصنفها "إسرائيل" على أنها عدائية مقابل أخرى تصنفها بالمعتدلة، "فمن وجهة نظر إسرائيلية، فإن علاقتها بالرباط تشكل امتدادا لسياستها مع المحيط، فرعاية الفاعلين غير العرب في محيط الشرق الأوسط هي من أجل إقامة التوازن مع ضغط الدول العربية الراديكالية والعدائية"¹¹.

كان نشر هذه الدراسة القطرة التي أفاضت الكأس في موضوع الاشتباه في ضلوع ناشطين في الحركة الأمازيغية بالمغرب في التطبيع الإسرائيلي. وتبرز هذه الدراسة التي نشرها مركز دراسات تابع لجامعة تل أبيب، وله علاقة بمراكز صناعة القرار السياسي في إسرائيل، رهان هذه الأخيرة على توظيف فاعلين في تيار راديكالي داخل الحركة الأمازيغية من أجل (تحسين صورتها) في المنطقة والتأسيس لقبول اجتماعي لها. ولا يتعلق الأمر بكل مكونات الحركة الأمازيغية في المغرب، ولكن بتيار راديكالي متنام انطلق مع الجيل الجديد من الناشطين الأمازيغ الذين التحقوا بصفوف الحركة الأمازيغية في بداية التسعينات، بعد أن كان جلهم ينتمون إلى اليسار. وهو ما جعل (وايتزمان) يؤكد في دراسة لاحقة أن تحدي مجموعات صغيرة من الناشطين الأمازيغ واهتمامهم بكل من "إسرائيل" والتاريخ اليهودي، يدخل في سياق اعتبار "إسرائيل" حليفا في مواجهة القوى القومية العربية، وهو ما يعكس - حسب رأيه - "معارضتهم للهيمنة العربية-الإسلامية وإخضاع اللغة والثقافة الأمازيغية"¹². ويحصر هذا الباحث عن عوائق التطبيع بين إسرائيل والدول المغاربية في الحركات الإسلامية والحركات القومية، لأنها - حسب وجهة نظره - هي تعبئ الجمهور العربي، ليمارس الضغط

¹¹ محمد مصباح، الأمازيغية في المغرب: جدل الداخل والخارج، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

الدوحة، قطر، 2011، ص1.

¹² نفس المرجع، ص2.

على السلطة ويمنعها من أن تتقدم في مسار التطبيع، ويرى أن رهان أي مخطط استراتيجي إسرائيلي على كسب رهان تطوير العلاقات مع المغرب، يتطلب وجود حليف داخلي يقوم بدور إزالة العائق النفسي والفكري أمام التطبيع الإسرائيلي المغربي، وأن الفاعل الأمازيغي- باعتباره غير عربي الهوية- يستطيع القيام بهذه المهمة، ويستطيع أن يقوم بدور بث خطاب منافس ومقاوم لخطاب الحركة الإسلامية والحركات القومية بشأن قضية الصراع العربي الإسرائيلي¹³.

- باستقراء أدبيات هذا الباحث الذي يضطلع بمهمة تجسير العلاقة بين الدولة العبرية وبين الدول المغاربية من بوابة التطبيع الثقافي والتربوي والإعلامي والرياضي، يبرر (بريس مادي وايتزمان) دواعي الرهان على الحركة الأمازيغية الحليفة لإسرائيل في أربع أسباب:
- 1- لأنها تحمل خطابا مع الرصيد الحضاري التاريخي العربي الإسلامي.
 - 2- لأنها تتبنى خطابا يرتهن إلى النموذج الحضاري الغربي ويتبنى مفاهيمه الكونية، ويعتبر أن السمو للمواثيق الدولية على التشريعات الوطنية.
 - 3- لأن اهتمامها وأولوياتها للمشاكل الحقيقية للمنطقة، وليس من اهتمامها أولوياتها قضية الصراع العربي الإسرائيلي لأنها لا تدخل ضمن خانة المشاكل الحقيقية الداخلية.
 - 4- لأنها لا تتبنى خطابا لا يعادي إسرائيل ولا يناهضها، بل تبحث عن الجذور الثقافية التاريخية للحوار الأمازيغي الإسرائيلي، وما ينتج عن ذلك من مبادرات للاتصال والتطبيع مع إسرائيل.

وفي دراسة أخرى سنة 2009 والتي قدمت كورقة في مؤتمر "إسرائيل والدول العربية: المصالح المتوازنة، العلاقات، والاستراتيجيات"، بعنوان: "إسرائيل والعلاقات مع الدول المغاربية حقائق وإمكانات"، نظمه كل من مركز البحث العام في الشؤون الخارجية ومركز (كونراد إينهاور) بالقدس، تحدث الباحث عن الخيارات المطروحة أمام إسرائيل للتقدم في

¹³ بلال التليدي، التطبيع مع إسرائيل باستثمار الورقة الأمازيغية، تصفح بتاريخ: 2021/07/15، على الموقع:

<https://arabi21.com/story/1083500>

مسار التطبيع مع دول المنطقة سواء على مستوى السياسات الإقليمية، أو على مستوى التعاون الأمني أو على مستوى التعاون في المجال الاقتصادي، أو على مستوى المجتمع المدني.

وضمن هذا المستوى، أي المجتمع المدني، اعتبرت الدراسة أن أمام إسرائيل مساحات معتبرة لتوسيع الاتصالات مع مكونات المجتمع المدني بدول المغرب العربي سواء بشكل مباشر أو عبر وساطة مكونات ثالثة، وأشار إلى وجود انفتاح أكاديمي على إسرائيل، سواء بالنسبة للباحثين الذين يتواجدون داخل هذه الدول المغربية، أو الذين يستقرون في أوروبا وشمال أمريكا، وبهذا الخصوص عدت الدراسة أكثر من سبع خيارات، من ضمنها الرهان على الحركة الأمازيغية، منطلقة من جملة من المقومات التي تعتبرها تفتح الإمكانيات للتعاون الإسرائيلي مع هذه الحركة واستثمارها ضد الإسلاميين والقوميين، ذكرت منها كون الحركة الأمازيغية حركة مناهضة للقومية العربية ومعادية لحماس، اقترح (بريس مادي وايتزمان)، أن تتحلى إسرائيل بقدر كبير من الحكمة في التعامل مع الحركة الأمازيغية، حتى لا يتم اتهامها بالتدخل في الشؤون الداخلية للمغرب، ويوصيها أن تتعامل مع هذا الملف بشكل حذر حتى لا تصبح هدفا لاتهامات الأنظمة السياسية¹⁴.

خلاصة الفصل الرابع:

يمثل الحراك في منطقة الريف والذي انطلق منذ شهر أكتوبر 2016، موجة جديدة من الحركات الاحتجاجية، هي الأكبر منذ حراك 20 فبراير 2011. ومنذ ذلك الحين تواصلت الاحتجاجات بشكل متقطع قبل أن تأخذ منحىً تصعيدياً بعد حملة اعتقالات شملت العشرات من الناشطين، من ضمنهم زعيم حراك الريف، (ناصر الزفرافي) 2017 على خلفية احتجاجه داخل أحد مساجد مدينة الحسيمة وتأجيج الأوضاع وتجذير الحراك وانحرافه نحو مطالب سياسية أو ربما دعوات للانفصال. ومنه يظهر حراك الريف باعتباره استمراراً لحركة 20 فبراير 2011م لا سيما من حيث تشابه

¹⁴ نفس المرجع.

الأسباب التي ساهمت في ظهورهما، خصوصاً وجود احتقان اجتماعي وسياسي، وانتشار البطالة وفساد أجهزة الدولة. هذا بالإضافة إلى الطبيعة السلمية للحراكين.

ويعد الخطاب الأخير لمحمد السادس بمناسبة ثورة الملك والشعب الذي ذكر فيه الملك بعمق التاريخ المغربي الأمازيغي الطويل، ومرور عشرون سنة على خطاب العرش لسنة 2000 المؤسس لمأسسة الأمازيغية في المغرب وخطاب اجدير المؤسس للمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، وعشرة سنوات على التصويت لدستور سنة 2011 الذي رسم الأمازيغية، وسنتين على إخراج القوانين التنظيمية الخاصة بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية ونصف سنة على الإعلان عن اللجنة الوزارية الدائمة المكلفة بتتبع وتقييم تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية. مازال موضوع إدماج الأمازيغية فعلياً في الحياة العامة يسير ببطء؛ ذلك راجع بالأساس إلى الحاجة لبيئة سياسية حاضنة.

ومن بين الرهانات الحساسة أيضاً في الفترة الأخيرة في تطور المسألة الأمازيغية التوجهات الخارجية للدولة المغربية والتطبيع مع "إسرائيل"؛ حدث جدل بخصوص دعم "إسرائيل" للتيار الراديكالي داخل الحركة الأمازيغية في المغرب، واتخاذ مدخلا للتطبيع مع "إسرائيل" في محيط مجتمعي وسياسي يرفض ربط علاقات معها ويرى أن رهان أي مخطط استراتيجي "إسرائيلي" على كسب رهان تطوير العلاقات مع المغرب، يتطلب وجود حليف داخلي يقوم بدور إزالة العائق النفسي والفكري أمام التطبيع الإسرائيلي المغربي، وأن الفاعل الأمازيغي - باعتباره غير عربي الهوية - يستطيع القيام بهذه المهمة.

الختامة:

وفي نهاية هذا البحث نؤكد على أن التعدد اللغوي هو أحد السمات التاريخية لدولة المغرب، فكل مجتمع له سماته الثقافية واللغوية المميزة له ولم تكن إشكالية داخل المغرب، إلا أن الأمر اختلف تماماً في فترة الاستعمار الفرنسي، حيث اتخذت فرنسا عدد من الأسس التي رسخت مفهوم الانقسام داخل المجتمع وترسيخ مفهوم الثنائية العربية والأمازيغية ورفع شعار أن الأمازيغية هي الأصل والعربي هو الوافد، وبالتالي رسخت لمفهوم لمن الهوية المغربية للعربي أم للأمازيغي. فلم تعرف في هذه الفترة هوية وإن اكتفى كلاً من الطرفين باللغة لترسيخ هويته، وعقب الاستقلال اتجهت المغرب إلى نهج جديد في التعامل مع مسأله السياسات اللغوية فقد انتهجت نهج القومية العربية شأنها شأن أغلب دول شمال أفريقيا؛ أي أنها طبقت النموذج كما هو دون معالجته، فلجأت إلى سياسة التعريب وجعلت من اللغة العربية أساس للدولة بمقتضى نص دستوري، وإقصاء المكون الأمازيغي، بجانب إطار موازي بإندماج إكراهي، الأمر الذي انعكس بدوره على المكون الأمازيغي وشعوره بفقدان الهوية والإقصاء، وبناء عليه بدأ في تجميع صفوفه والتهيئة السياسية والاجتماعية والضغط على الدولة.

هذا وفي إطار سعي المغرب لمعالجة السياسات الوطنية من أجل تحقيق الاندماج الوطني، اتخذت استراتيجية جديدة استيعابية بحيث تحتوى مختلف الجماعات داخل الدولة وتضمن لهم صيانه واحترام ثقافتهم وهويتهم وهذا ما بدأ واضحاً منذ 1999م، فترة تولي الملك محمد السادس الحكم. فقد بدأ فترة حكمه بمحاولة لحل كافة المشاكل التي من شأنها عرقلة الاندماج الوطني في المغرب. فقد زار كافة الأقاليم المغربية الحسيمة ومناطق الأمازيغ وغيرها من المناطق للتأكيد على ان كافة الجماعات داخل الدولة لها نفس الحقوق والواجبات وكل جماعه لها هويتها ومندمجة داخل الدولة مثلها مثل غيرها. واتخاذ عدد من الإجراءات كالاقرار باللغة الأمازيغية كلغة رسمية والإقرار دستورياً

عليها، ووصول قيادي يساري لرئاسة الحكومة كخطوة إيجابية نحو حل مشكلة الاندماج الوطني وتأسيس المعهد الملكي الأمازيغي لصيانة اللغة والهوية الأمازيغية، فقد كانت من أهم ركائز حكمه هو معالجة كافة القضايا العالقة التي كان الحكام في المغرب لا يقربون منها لحساسيتها الشديدة على الأمن الداخلي للمغرب، فقد تبنت المغرب نهج الاندماج الإكراهي في الفترة السابقة للتسعينات، إلا أنها سرعان ما حاولت تغيير هذا النهج مع بداية التسعينيات، حيث أن الأمور لم تعد كسابقتها، فأصبحنا أمام مكون أمازيغي أكثر تنظيماً ووعياً وثقافةً عن غيرها. لذلك حاولت انتهاج نهج الدمج الوظيفي من حيث استيعاب هذه الجماعة، إلا أن هذا الاستيعاب لم يكن كافياً بالنسبة لفئة من الأمازيغ؛ فالاستيعاب اقتصر على اللغة في الدستور والتعليم، فلم يمثلوا في الدولة شأنهم شأن المكون العربي؛ ويمكن إرجاع هذا التغيير في نهج التعامل مع القضية الأمازيغية في المغرب إلى حالة الحراك الثوري عام 2013م وخروج الشعوب للثورة على الحكام ما كان له أثره على السياسة المغربية التي آثرت نهج الاستيعاب منعاً من خروج الأمازيغ والثورة على النظام القائم.

وبالتالي آثرت المغرب اتخاذ عدد من الإجراءات الدستورية بشأن اللغة والهوية الأمازيغية عام 2011م. لكن هذا لم يمنع خروج الجماعات الاحتجاجية في المناطق الأمازيغية المهمشة والمطالبة بحقوقهم السياسية والاقتصادية، حيث خرج مئات المتظاهرين عام 2016م بالحسيمة المنطقة المسماة الريف للتنديد بسوء الأحوال الاقتصادية في مدنهم ووجوب إحداث تنمية يتمتع بها المكون الأمازيغي، ومن ثم نجد اختلاف نهج التعامل معه من الدولة؛ فقد قامت بتغيير الوزير المختص بالتنمية والتأكيد على وجوب إحداث تنمية.

ويمكن القول أن المكون الأمازيغي أصبح أكثر إرادة في إثبات هويته وأكثر تنظيماً سواء على الناحية الداخلية أو الخارجية، وفي سبيل تحقيق أهدافه نحو مزيد من

إثبات الهوية، فإنه إما أن يسعى إلى الضغط على الحكومة كما حدث سابقاً في فترة التسعينات من خلال تظاهرات أو إما أن تلجأ الدولة -كما فعلت سابقاً- في مرحلة حكم الملك محمد السادس إلى سياسة الاستيعاب وتحقيق أهداف هذا المكون وتمكينه مثل المكون العربي أو أن نكون أمام خيار ثالث وهو الصدام مع الدولة واللجوء إلى فكرة الانفصال وتكوين اقلية منفصلة ذات هوية مشتركة ولغة وثقافة واحدة خاصة في ظل اخر التطورات على الساحة المغربية -حراك الريف- إلا أن هذا الأمر لم يكن مطروحاً في السابق حتى في أسوأ الفترات التي عانت منها الأمازيغ داخل المغرب ولم تدعوا مطلقاً إلى فكرة الانفصال، حيث أن المكون الأمازيغي كان لها باع طويل في مقاومة المستعمر الفرنسي ولديه فكرة جيدة عن الأرض والتاريخ، فهو لا يريد أن ينفصل بل يريد الحفاظ على مكتسبات هويته ولغته داخل مجتمع تعددي. كما أن المغرب تدرك جيداً هذا الأمر وتدرك خطورة التحديات التي تواجه القارة عامة وتسعى دائماً إلى عدم تفجير الأوضاع الداخلية وبالتالي، تبنت سياسة الاستيعاب، وهو ما بدا أثره من خلال المكاسب التي حققها المكون الأمازيغي داخل المغرب، فلكل مجتمع ثقافة وهوية، والتعدد لم يكن عائقاً أمام التنمية، بل إن التنوع الثقافي سمة تتميز بها المجتمعات التاريخية. وفي سعي المغرب لتحقيق مزيد من الاندماج الوطني بإتاحة الفرص لكافة الجماعات على قدم المساواة وعدم التمييز وخلق مناخ أكثر ديمقراطية ومعالجة إشكاليات السياسات اللغوية بصورة تتوافق مع شأنها الداخلي والمحلي وثقافتها وعدم الانسياق وراء نماذج مغايرة على واقع مجتمعه.

وعليه فإن الإجابة عن إشكالية الدراسة هي أن الأمازيغية كلغة مثلت واقع فرض نفسه منذ القدم وكحركة سياسية وثقافية تبلور خطابها الثقافي والسياسي بمراحل تزامنت بالمد والجزر في فترات متعددة كان تأثيرها شبه منعدم سياسياً وثقافياً على الخطاب السياسي المغربي في فترة حكم الحسن الثاني، و بعد سنة 1999م وتولي محمد السادس

الحكم تغيير نسق الحركة الأمازيغية إلى المطالبة أكثر بحقوقها ورد الاعتبار لها وبذلك تأثرت الحركة الأمازيغية بالخطاب السياسي الملكي وتسارعت الإنجازات المحققة إلى غاية دستور 2011م وترسيم اللغة الأمازيغية. ليتوقف ويتأثر حضور الأمازيغية على المستوى المؤسساتي والقانوني لمدة عقدين لعدم التطبيق الفعلي للاطار التنظيمي والقانوني الذي يُمكنها من تفعيل رسمية الأمازيغية على المستوى الوطني؛ وهذا راجع إلى الخطاب السياسي لحزب العدالة والتنمية؛ أما حاضرا (بعد الانتخابات البرلمانية 2021م وتشكيل الحكومة لحزب التجمع الوطني للأحرار) فيمكن مبدئيا التنبؤ بمستوى أكثر انفتاح وتقبل من طرف الحكومة الجديدة والتي لها أيديولوجية مغايرة تماما (لا يعني هنا إغفال المؤسسة الملكية والتي تلغي أي توجه سياسي)، لنمط تسيير حزب العدالة والتنمية وأيضا تأثر وتأثير الأمازيغية بالخطاب السياسي المغربي بدأ يأخذ منحى جديد لاستيعابه بعدم جدوى الخطاب الثقافي وضرورة الانتقال للخطاب والاندماج السياسي لتحقيق نتائج أفضل وتأثير أقوى.

وعموما يمكن أن نستخلص النتائج التالية:

➤ الخطاب السياسي بالمغرب لا يزال بعيدا عن تحقيق التراكم المطلوب في الإنتاج

العلمي الأكاديمي وهذا راجع في صميمه إلى عدة عوامل أهمها:

- وقوع هذا النوع من الدراسات ضمن مجال متداخل الاختصاصات ومتعدد المداخل.

- نزوع المحاولات التطبيقية، نحو الاشتغال على المواضيع الأدبية أو دينية تراثية أكثر من المواضيع السياسية.

- حداثة المنهج وتشعب مفاهيمه وآلياته.

➤ المطلب الأمازيغي هو في الحقيقة مطلب تاريخي أكتسى منذ البداية الطابع الثقافي

والاجتماعي الاقتصادي؛ اشتد عليه الخناق بعد انقلاب السخيرات الذي كان من

مخططيه ومنفذه جنرالات ذات أصول أمازيغية، وبقي على ذلك الحال لغاية الخطاب الملكي في 1994م واعتراف الحسن الثاني بالمكون الأمازيغي للمملكة المغربية ووصفها باللهجة.

➤ شكل الخطاب الملكي بأكادير أهم تجاوب مع مطالب الحركة الأمازيغية، ويمكن اعتباره بالنظر إلى النظام السياسي المغربي توجيهها عاما للجهاز التنفيذي، لكن تحقيق المطالب القطاعية يقاضي تجاوب كل قطاع بشكل منفرد، ففي غياب استراتيجيات قطاعية دقيقة تواكب بشكل دقيق مختلف عمليات إدماج الأمازيغية في القطاعات المجتمعية لن يكون هناك أي تنفيذ للتوجهات الكبرى.

➤ بتتبع مسار الخطاب السياسي بعد ترسيم الأمازيغية في 2011م؛ يمكن اعتبار أن دسترة الأمازيغية سينهي دينامية الحركة الثقافية الأمازيغية ويبقى التقنين يكبح الممارسة الحرة؛ حيث مسار الأمازيغية اليوم مرتبط بالمسار المؤسساتي؛ فعندما دخل المناضلون الأمازيغ إلى المؤسسة الرسمية (المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية مثلا) وجدوا أنفسهم في منطقتين موازيتين القوة، وما يمكن فعله وما لا يمكن فعله والممكن أن يتحقق وغير ممكن أن يتحقق والعديد من الإشكالات التي تواجه الفاعل المؤسساتي.

➤ يمكن اعتبار أن الحركة الأمازيغية فقدت الشيء الكثير بدخولها المؤسسة، وأن الدولة استعادت هذه الورشة وتتقدم بها بصورة واضحة، والزخم الذي كان للحركة الأمازيغية على مستوى الجمعيات والحقوق أصبح ينقص شيئا فشيئا بفعل هذه المؤسسة، وأصبحت بذلك خاضعة لقوانين وشروط محددة.

➤ خطاب الحركة الثقافية الأمازيغية تراجع دورها وبقي محصور فقط في الخطاب التقليدي الذي في أغلبه خطاب يبنى شرعيته على الصراع والتصادم مع هوية يعتبرها منافسة وتقصي الخطاب الأمازيغي.

➤ يعتبر الخطاب السياسي الذي تقدمه الحركة الأمازيغية اليوم ليس مغربا لهذا الجيل من الشباب إذ يجب تغيير منهجه بما يخدم الأمازيغية وطموح الشباب وليس بالمنطق القديم.

➤ ضرورة تغيير منطق النقاشات الأكاديمية والخطابات السياسية وعدم اقحام الحركة الأمازيغية في حوارات لا يمكن أن تزيد إلا تعقيدا؛ فالدين مثلا هو جزء ومكون أساسي من الثقافة السياسية والمجتمعية للمغاربة، واقحامه في نقاشات جدلية ستعرقل مسار المشروع المجتمعي والبناء الهوياتي الثقافي والسياسي للأمازيغية (وهذا ما حدث فعلا مع حزب العدالة والتنمية ذو التوجه الديني).

➤ المشكل أو الخلل الذي وقعت فيه الحركة الثقافية الأمازيغية مع السياسة، هو التراجع الذي مس في دينامية ونضال الأمازيغ لاعتبارات ذاتية وأخرى موضوعية؛ فالاعتبارات الذاتية ليس هذا مجالها، أما الاعتبارات الموضوعية فهي غياب نخب جديدة تعمل وتؤمن بهذا النقاش وهذا راجع للحركة الأمازيغية التي بقيت منغلقة على نفسها ولم تعمل على خلق قنوات للامتداد داخل المجتمع وبقي العمل بخطابات تقليدية.

➤ من بين نقاط الضعف الخطاب الأمازيغي أنه كان محصورا كخطاب لغوي ثقافي؛ وهذا بسبب فشل كل المبادرات الحزبية التي كانت تراهن على تأسيس حزب سياسي وتم حصر الخطاب في هذا التوجه الثقافي اللغوي كرد فعل على التهميش والإقصاء.

➤ رغم التطورات التي عرفت القضية الأمازيغية في المغرب فإن المدافعين عنها ظلوا منحصرين في مختلف الأشكال التنظيمية للحركة الأمازيغية، فرغم تغير موقف مجموعة من الأحزاب السياسية والفعاليات المجتمعية إزاء هذه القضية إلا أنه وبالنظر إلى سلم أولوياتها نجد أن الأمازيغية كلغة وثقافة تظل من القضايا

التي لا تحظى بالأولوية، فالتحدي الأساسي هو تقوية الأشكال التنظيمية للحركة الأمازيغية وبالمقابل تغيير تعامل الأحزاب السياسية والفعاليات المجتمعية بجعلها هذه القضية من أوليات برامج عملها.

➤ لم يكن العمل الأمازيغي، عملا ثقافيا خالصا؛ فحتى عندما كانت الجمعيات تتحدث فقط عن اللغة والتراث الثقافي كانت تفعل بأفق ووعي سياسيين من خلال سعيها إلى إعادة النظر في أسس هوية الدولة وإعادة قراءة تاريخ المغرب وتنمية الجهات المهمشة.. وهذه كلها قضايا في عمق السياسة.. حدث تطور ملحوظ في الخطاب الأمازيغي بعد ميثاق أكادير سنة 1991، حيث امتد الخطاب ليشمل قضايا ملكية الأرض وفصل الدين عن الدولة وتوزيع الثروة وغيرها من القضايا التي تمثل طابوهات سياسية حساسة، وتم هذا كله في ظل العمل الجمعي ذاته. ولعل هذا التوسع في الخطاب هو الذي جعل بأنه قد حان موعد الانتقال إلى العمل السياسي المباشر بالمعنى الحزبي؛ لكن يلاحظ أنه كلما تمّ استفتاء رأي الفاعلين الأمازيغيين في موضوع التحزيب تكون الاستجابة محدودة جدا، ما يعني في الواقع أن أغلبية الفاعلين يُفضلون أن تظل الأمازيغية قضية الجميع – أي قضية وطنية – عوض أن تصبح لونا سياسيا.

➤ لقد تبنت الحركة الأمازيغية أسلوب عمل جعل جماعات الضغط مما أتاح لها تحقيق مجموعة من مطالبها، خصوصا أن هذا الأسلوب يتيح التعامل مع مختلف الفعاليات المجتمعية خصوصا السياسية، لكن بعض الأطروحات داخل الحركة الأمازيغية التي تدافع عن تأسيس حزب سياسي خاص للدفاع عن الأمازيغية يمكن أن يضعف من أسلوب عملها كجماعة ضغط بحكم أن المحيط السياسي سيعتبرها حركة منافسة وليست حركة مطلبية يمكن أن تكون سندا انتخابيا له في حال تبني مطالبها، كما أن غياب حد أدنى من المطالب المتفق عليها يضعف فعالية تحركاتها.

➤ لم ترتبط الأمازيغية أبدا بإطار عرقي أو بعد أثني في فضاء المجتمع المغربي، أو بالأحرى في التمثل الثقافي السائد، رغم تنوع المجالات والجهات الترابية وتعدد اللغات وبعض الاختلافات الاجتماعية التي تم توظيفها في لحظات معينة لإذكاء الصراعات أو لتبخيس التنوع والغنى وتبرير الاستيعاب القسري للسلطة، كما كان يتجلى من توظيف النعوت والتمايزات المشحونة بدلالات قديمة خاصة في صفوف الفئات غير الواعية وغير المتعلمة أو المقهورة.

➤ يبقى مسار الخطاب السياسي بالمغرب وارتباطه بالأمازيغية لم يستوعب كل إمكاناته، ولم يأخذ كل مداه، فالبرغم من المكتسبات السياسية والدستورية والمؤسسية والحقوقية المتحصلة؛ فالأمازيغية لم تحقق بعد على (العلامة الكاملة) في الجانب المؤسسي والتنظيمي بالمغرب؛ بل تحتاج إلى المزيد من العمل، والإنجاز الديمقراطي، لكي تصل باستحقاق لمجمل المكتسبات التي ناضلت من أجلها الحركة الأمازيغية. ولعل صعوبة وطول مدة الحصول على تلك المكتسبات في الحركة الأمازيغية؛ حددوا ببعض الملاحظين (الاجتماعيين) إلى توصيف الوضع السياسي - المؤسسي للأمازيغية، الراهن بالمغرب، بكونه واقعاً في منزلة بين منزلتي (الديمقراطية والاستبداد) إذ من بين أهم التحديات التي تواجه الحركة الأمازيغية؛ تحد سياسي - مجتمعي، يتعلق باستكمال البنيان الديمقراطي، عبر مواصلة الإصلاحات السياسية والمؤسسية والحقوقية التي يسطرها النص الدستوري، ويقتضيها استكمال حلقات استكمال القانون التنظيمي للأمازيغية. ثنائي التحديات، وينصب على التحدي التنموي الذي لا يزال قائماً، بالرغم من الجهود المبذولة، والمكتسبات المتحصلة. وفي هذا المضمار، فإن تسريع وتيرة التنمية الاقتصادية، في بعدها الوطني والجهوي، وتطوير (مبادرة التنمية البشرية) لتفتح مختلف المناطق القروية والحضرية المعوزة

خاصة منها المناطق الأمازيغية، ووضع وتفعيل استراتيجيات وطنية مندمجة، اقتصادية-اجتماعية، لمضاعفة فرص الشغل، وتوسيع سوق التشغيل، ونهج سياسة اجتماعية جديدة تستهدف الحد من الفوارق الاجتماعية، وإرساء نظام اجتماعي عادل في أبعاده الجبائية والتربوية والخدماتية، توطيدا للتماسك المجتمعي، وتعزيزاً للاستقرار الأهلي-لتشكل بدورها مساءلات حادة، على طريق رفع مخاطر التحدي التنموي.

➤ وبتحليل مختلف الخطابات التي تروج في فضاء المجتمع وعلى مستوى النقاش السياسي والعمومي، يتضح أن المغرب في حاجة إلى تنامي الخطاب المتزن ذي الطابع الديمقراطي والحقوقى، لاحتواء خطابات العنف والرفض والإقصاء والازدراء التي صارت تكتسح الفضاء والنقاش العموميين وشبكات التواصل الاجتماعي، خاصة أمام واقع الكساد وفقدان الثقة الذي تعرفه الحياة السياسية والحزبية والثقافية، وضعف بل انعدام المؤسسات الوسيطة التي تعتبر آلية مركزية في إرساء البناء الديمقراطي والحقوقى، وتطوير الوعي العام ونمط وقيمة العلاقات والوظائف والمواقف الفردية والجماعية، في الحياة العامة وفضاء المجتمع.

ختاماً ما تحقق حتى الآن في المسألة الأمازيغية لا يزال ضئيلاً وغير كاف سواء من الناحية الأكاديمية أو الممارسة السياسية، ومن جهة ثانية يمكن القول إن دسترة الأمازيغية وصدور القوانين التنظيمية الخاصة بها، يوفر إطاراً قانونياً سيسمح في الشروع بإنجاز ما جاء في الدستور وما جاءت به هذه القوانين؛ في انتظار مردود الخطاب السياسي الجديد للحكومة المغربية في المستقبل القريب.

الصفحة	موضوع الجدول	رقم الجدول
192	الإطرادات المعجمية لخطاب الحسن الثاني	01
195	الأوصاف التي وصف بها الباحثون في الخطاب	02
196	استعمال الضمائر في خطاب الحسن الثاني	03
197	استعمالات الأفعال المساعدة لخطاب الحسن الثاني	04
206	التحليل الكمي لنص الخطاب الملكي الموجه إلى الأمة بمناسبة عيد العرش 30 يوليو 2000	05
208	التحليل الكمي لنص الخطاب الملكي بمناسبة تأسيس المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية أجدير 7 أكتوبر 2001	06
211	التحليل الكمي لنص الخطاب الملكي بمناسبة عيد العرش المجيد طنجة 30 يوليو 2002	07
213	التحليل الكمي لنص الخطاب العرش الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة طنجة 30 يوليو 2005	08
214	التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة تقديم مشروع الدستور الجديد 2011	09
216	التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة عيد العرش طنجة 30 يوليو 2009	10
218	التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة عيد العرش الرباط 30 يوليو 2012	11
221	التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة الذكرى الرابعة عشر لاعتلاء العرش الدار البيضاء 30 يوليو 2013	12
224	التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية الخامسة من الولاية التشريعية التاسعة الرباط أكتوبر 2015	13

226	التحليل الكمي لنص الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس إلى الأمة بمناسبة الذكرى 68 لثورة الملك والشعب 20أوت2021	14
300	النتائج الرسمية لنسب المشاركة في انتخابات 8 سبتمبر 2021	15
300	النتائج الرسمية النهائية للانتخابات التشريعية لسنة 2021 حسب وزارة الداخلية المغربية	16

قائمة المراجع:

أولاً: باللغة العربية

الكتب:

1. إبراهيم أخياط، مطالب شمولية لا تقبل التأجيل في: من أجل الاعتراف الدستوري بالأمازيغية، الرباط: منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط1، 2002.
2. ابن منظور، الإفريقي لسان العرب، بيروت: مج 5، دار صادر، ط3، 2004.
3. أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية الخلفيات الأهداف والوسائل البدائل، الجزائر: دار الأمة للنشر والتوزيع، 2011.
4. أحمد بوكوس، مسار اللغة الأمازيغية الرهانات والاستراتيجيات، الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2013.
5. _____، مقابلة حول الأمازيغية، الرباط: مركز طارق بن زياد، ط1، 2006.
6. أحمد عصيد، الدور الحقيقي للجمعيات الأمازيغية في: معارك فكرية حول الأمازيغية، الرباط: مركز طارق بن زياد، ط1، 2002.
7. _____، سياسة تدبير الشأن الأمازيغي بالمغرب بين التعاقد السياسي وسياسة الاستيعاب، الدار البيضاء: منشورات المرصد الأمازيغي للحقوق والحريات، المغرب، 2009.
8. أحمد هيكل، يهود المغرب وعلاقتهم بالحركة الصهيونية، القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 2007.
9. إلهام جبر شمالي، مسار التطبيع بين المملكة المغربية و "إسرائيل"، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020.
10. أمين معلوف ترجمة نبيل محسن، الهويات القاتلة، دمشق: ورد للنشر والتوزيع، ط1، 1999.

11. بلقاضي ميلود، الخطاب السياسي بين خطاب السلطة وسلطة الخطاب، الرباط: مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2011.
12. بن شيخ آث ملويا لحسين، التعريف بالأمازيغ وأصولهم، الجزائر: دار الخلدونية، 2006.
13. التجاني بولعوالي، الإسلام والأمازيغية نحو فهم وسطي للقضية الأمازيغية، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، المغرب، 2008.
14. _____، راهن الأمازيغية في ضوء المتغيرات الجديدة، المغرب: أفريقيا الشرق، 2014.
15. جابر علاوي، الاتصال السياسي، الأردن: دار مجد للنشر والتوزيع، 2015.
16. الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، 40 سنة من النضال الأمازيغي، الرباط: منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، ط1، 2007.
17. الحسين آيت باحسين، حول المرجعية الفلسفية لكتابات الصافي مومن علي حول خطاب الهوية بالمغرب أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، المغرب: منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، 2007.
18. الحسين وعزي، من أجل المساواة بين اللغتين العربية والأمازيغية في: أي مستقبل للأمازيغية في المغرب، الرباط: منشورات الجمعية الثقافية للبحث والتبادل الثقافي، المغرب، 2009.
19. _____، نشأة الحركة الثقافية الأمازيغية بالمغرب، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 2000.
20. خدام محند أوبلقاسم، معطيات أساسية عن الحضارة الأمازيغية، (بدون دار وسنة نشر).
21. رشيد الحاحي، النار والأثر الرمزي والمتخيل في الثقافة الأمازيغية، الرباط: منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، 2006.

22. _____، الهوية وقضايا الأمازيغية والإسلام السياسي والحريات، الدار البيضاء " دار ميديا، 2018.
23. رولان بارت ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحار، لذة النص، المملكة المغربية: دار توبقال للنشر، ط1، 1988.
24. سعيد بكار، الخطاب السياسي لأوباما في ضوء التحليل النقدي للخطاب، في: **قراءات في الخطاب السياسي**، أكادير: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، 2016.
25. سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، بيروت: المركز الثقافي العربي، ط1، 1989.
26. صالح بلعيد، في المسألة الأمازيغية، الجزائر: دار هومه، ط2، 1999.
27. عبد الحميد بنخطاب، حول العنف السياسي في سياق الحراك الاجتماعي في المغرب، الرباط: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2017.
28. عبد الرحمان شحشي، قراءة في الخطاب عند الحسن الثاني تحليل آليات الاشتغال في الحقل الديني والسياسي، الرباط: المطبعة الملكية، 2007.
29. _____، قراءة في الخطاب عند الحسن الثاني تحليل آليات الاشتغال في الحقل الديني والسياسي، الرباط: المطبعة الملكية، 2007.
30. عبد الرحيم العماري، نسق التواصل السياسي بالمغرب المعاصر خطاب الكتلة الديمقراطية من الميثاق إلى التناوب، الدار البيضاء: منشورات زاوية للفن والثقافة، ط1، 2005.
31. عبد اللطيف الزيزاوي، أوهام الظهير البربري السياق والتداعيات، المغرب: دار النشر فيديبرانت، 2003.
32. عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المغرب: المركز الثقافي العربي، 1999.

33. عبد الله الخراط، الإيديولوجيا والشعبي في الخطاب السياسي المغربي المعاصر
في: قراءات في الخطاب السياسي، أكادير: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة
الأولى، 2016.
34. عبد الناصر فتح الله، صفقوا لخطبة الزعيم الاتصال السياسي في المغرب، المغرب:
مطبعة أمبريال، 2002.
35. عثمان سعدي، الأمازيغ البربر عرب عاربة وعروبة الشمال الإفريقي عبر التاريخ،
الجزائر: (ب.د.ن)، 1996.
36. عزيز خمليش، الإنتفاضات الحضرية بالمغرب دراسة ميدانية لحركتي
مارس 1965 ويونيو 1981، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، 2005.
37. علال الأزهر، المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي، الدار
البيضاء: مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، 1984.
38. علي صدقي أزيكو، في سبيل مفهوم حقيقي لتقافتنا الوطنية في: معارك فكرية حول
الأمازيغية، الرباط: مركز طارق بن زياد، 2002.
39. علي لكبير بلكبير وفاطمة أقلي، الشخصية المغربية الأمازيغية في الخطاب
التاريخي المدرسي، مكناس: مطبعة مرجان، 2010.
40. عمر البويفراجي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية في: معارك فكرية حول الأمازيغية،
الرباط: مركز طارق بن زياد، ط1، 2002.
41. عمر أوكان، النص والسلطة، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط الأولى، 1991.
42. عيسى عودة برهومة، تمثلات اللغة في الخطاب السياسي، عالم الفكر، 2007.
43. فاروق أبوزيد، مشكلات الاتصال السياسي في مصر، مصر: مركز البحوث
والدراسات السياسية، 2000.
44. الفيروزآبادي، القاموس المحيط ضبط وتوثيق محمد البقاعي، (د.ب.ن): دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2003.

45. كمال الدين جعفر عباس، البعد الفكري للاتصال السياسي، بيروت: المكتب الإسلامي، 2004.
46. لحسن سرياك، الهوية الأمازيغية: الجزائر في أصول البشرية ثلاثون قرنا من التاريخ، مدونة وبيبلوغرافيا.
47. محمد أتركين، حول خطاب الهوية بالمغرب الأمازيغية وسؤال الهوية أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، المغرب: منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، 2007.
48. محمد الساسي، دسترة الأمازيغية في أي مستقبل للأمازيغية بالمغرب، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، 2009.
49. محمد المهدي علوش، إسلام الأمازيغ قراءة أخرى في تاريخ أسلمة المغرب من القرن السادس إلى القرن الثاني عشر، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، ط1، 2017.
50. محمد حركات، الهوية الوطنية المغربية أو الهوية البربرية؟ أيهما واقع موجود، في: معارك فكرية حول الأمازيغية، الرباط: مركز طارق بن زياد، ط1، 2002.
51. محمد خطابي، ما الخطاب السياسي؟ في: قراءات في الخطاب السياسي، أكادير: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الطبعة الأولى، 2016.
52. محمد شفيق، بيان بشأن ضرورة الاعتراف الرسمي بأمازيغية المغرب، المغرب: مؤسسة تاولت الثقافية، 2000.
53. محمد علي بن علي بن محمد التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون مج2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2006.
54. محمد مزالي، مترجما، تاريخ إفريقيا الشمالية، (د.ب.ن): مؤسسة تاولت الثقافية، 2011.
55. محمد مشبال، بلاغة الخطاب السياسي، بيوت: منشورات ضفاف، ط1، 2016.
56. محمد مصباح، الأمازيغية في المغرب: جدل الداخل والخارج، قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2011.

57. المصطفى أكرد، عشرة مزام ضد الأمازيغ، المطبعة السريعة، القنيطرة: (د.د.ن)، ط1، 2007.
58. مصطفى عنتر، تأملات في خطاب الهوية عند النظام السياسي والجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي أشغال الندوة الوطنية المنعقدة في إطار ربيع الرباط للثقافة الأمازيغية، المغر: منشورات الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي، 2007.
59. ميشال فوكو، ترجمة: محمد سبيلا، نظام الخطاب، لبنان: دار التنوير، 1984.
60. ميلود بلقاضي، الخطاب السياسي يسن خطاب السلطة وسلطة الخطاب، المغرب: مكتبة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2011.
61. نجيب الحجوي، سمو المؤسسة الملكية بالمغرب -دراسة قانونية-، الرباط: جامعة محمد الخامس -أكدا، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، (د.س.ن).

المجلات والدوريات:

1. أمغار محمد، "دسترة الأمازيغية إقرار بحقوق أم احتواء مطالب"، مجلة وجهة نظر، المغرب، عدد51، 2012.
2. بكار أمينة وسوراخ الهام، "الاتصال السياسي مقارنة مفاهيمية ورؤية مستحدثة"، مجلة مقاربات، المجلد2، العدد28، الجزائر، 2017.
3. بومشعل يوسف، "واقع الاتصال السياسي في الجزائر: من الأحادية السياسية إلى التعددية السياسية"، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 10، عدد4، ديسمبر 2018.
4. الجمعي بولعراس وناصر الغالي، "التعبيرات الاصطلاحية في لغة الخطاب السياسي العربي ومواجهة الأحداث الدولية مقارنة سوسيوثقافية"، الدراسات اللغوية والأدبية، العدد الثاني، 2012.

5. الخلفي مصطفى، "الأمازيغية والرهان الأمريكي"، التجديد المغربية، العدد 2720، 2011.
6. الخنبوبي أحمد، "الحركة الأمازيغية واللعبة السياسية بالمغرب"، مجلة أدليس، العدد الأول، المغرب، 2010.
7. رشيد مقتدر، "الحركة الاجتماعية ذات الطابع الاحتجاجي الحركة الأمازيغية والحركة الإسلامية مقاربة أولية في أوجه التشابه والتمايز"، مجلة مقدمات، العدد 27-28، 2003.
8. عبد الرحيم العطري، "الحركات الاحتجاجية بالمغرب قراءة في شروط الإنتاج وإعادة الإنتاج"، مجلة مقاربات، العدد 10، مجلد 5، 2012.
9. العطري عبد الرحيم، "الحركات الاحتجاجية بالمغرب قراءة في شروط الإنتاج"، مجلة أدليس، المغرب، العدد الأول، 2010.
10. عماد عبد اللطيف، "تحليل الخطاب السياسي في العالم العربي التاريخ والمناهج والآفاق"، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب، العدد 6، 2015.
11. محمد مصباح، "الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب: مقارنة بين حراك الريف وحركة 20 فبراير"، مجلة بدائل سياسات، نوفمبر 2017.
12. مرغريت رولاند، ترجمة حميدة حمومي، "الحركة الأمازيغية في المغرب: دفاع عن هوية ثقافية، مطالبة بحق الأقليات أم بديل سياسي؟"، مجلة إنسانيات، العدد 8، أوت 1999.
13. مروة معمري، "وسائل وتقنيات الاتصال السياسي واستخداماتها في إدارة الأزمات السياسية"، المجلة الجزائرية للاتصال، المجلد 17، العدد 28.
14. نادية المخزومي، "الحقوق اللغوية بالمغرب بين المطلب الحقوقي والاعتراف الدستوري اللغة الأمازيغية نموذجا"، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، العدد 19، 2017.

15. نبيل موميد، "حج الخطاب بين النسقية والوظيفية"، فكر ونقد، عدد 90/89، ماي-جوان، 2007.
16. نور الدين هميسي، "الخارطة النظرية للبحث في الاتصال السياسي"، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 14، 2017.

المطبوعات غير منشورة:

أ/المذكرات وأطروحات ما بعد التدرج:

1. أحمد أزعري، المؤسسة الملكية والحركة الأمازيغية-التنظيم والمواقف في أفق الانتقال الديمقراطي، (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2003).
2. أحمد الباهي، الحركة الأمازيغية بالمغرب، (رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 2004).
3. بن حصير رفيق، الأمازيغية والأمن الهوياتي في شمال إفريقيا دراسة حالة الجزائر والمغرب، (مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسية تخصص: دراسات متوسطية ومغاربة في التعاون والأمن، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة باتنتنة1، الجزائر، 2013).
4. سعد بن سعود بن محمد بن عبد العزيز آل سعود، الاتصال السياسي في وسائل الاعلام وتأثيرها في المجتمع السعودي، (أطروحة دكتوراه في الاعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الدعوة والاعلام، 2006).
5. عبد الله أوغبال، أشكال وقنوات الاتصال السياسي في البادية المغربية، (رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في الإعلام والاتصال، معهد علوم الاعلام، الرباط، المغرب، 1997).

6. محمد زين الدين، الفكر الدستوري والسياسي لجلالة الملك الحسن الثاني مقارنة دستورية سياسية، (أطروحة لنيل الدكتوراه الوطنية في القانون العام في العلوم السياسية والقانون الدستوري، جامعة الحسن الثاني عين الشق كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء، المغرب، 2002).
7. محمد أشركي، الوزير الأول: مركزه ووظيفته في النظام المغربي، (أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في القانون العام، جامعة الحسن الثاني، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، الدار البيضاء، أكتوبر 1985).

القواميس

1. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط2، 2006.
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالعربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، 1978.

ب/ مواقع الأنترنت:

1. "أبرز 5 نقاط يجب أن تعرفها عن إعلان التطبيع المغربي-الإسرائيلي"، <https://arabic.euronews.com>
2. "يهود المغرب: الشبان يهاجرون إلى فرنسا، أو إسرائيل"، [/https://www.madarcenter.org](https://www.madarcenter.org)
3. إدريس ولد القابلة، "أشهر خطابات الملك الحسن الثاني"، <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=443928&r=0>
4. أمينة ابن الشيخ أوكدوت، "نداء من مناضلة أمازيغية إلى الأحزاب السياسية المغربية"، <https://amadalamazigh.press.ma>

5. بلال التليدي، "التطبيع مع إسرائيل باستثمار الورقة الأمازيغية"،
[/https://arabi21.com/story/1083500](https://arabi21.com/story/1083500)
6. توفيق بوعشري، "الأمازيغية بالمغرب بين الثقافة والسياسة"،
[.www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
7. خالد البوهالي، "هل بدأت 'إسرائيل' تخترق المجتمع المغربي؟"،
[/https://www.almayadeen.net/articles](https://www.almayadeen.net/articles)
8. ديدبي لساوت، "قراءة في الخطاب الأمازيغي المغربي"، [.www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
9. رشيد الحاحي، "الخطابات الدائرة حول حراك الريف بين العنف والتشكيك والتضامن والتهدة"،
<https://amadalamazigh.press.ma>
10. سعد الدين العثماني، "الأمازيغية بالمغرب رؤية حزب العدالة والتنمية"،
[.www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
11. عبد الحميد بن خطاب، "إشكالية العنف الهوياتي على ضوء الحراك الاجتماعي في المنطقة العربية: نموذج المغرب"،
<https://cerss.org/archives/>
12. عبد الله حتوس، "أسئلة بشأن صندوق تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية"،
<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=735969>
13. عبد المومن محو، "برنامج أخنوش يعد بتفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية في المغرب".
14. عماد عنان، "صفقة الصحراء الغربية.. الاعتراف بالسيادة المغربية مقابل التطبيع"،
<https://www.noonpost.com/>
15. الكونغرس العالمي الأمازيغي، [.www.aljazeera.net](http://www.aljazeera.net)
16. محمد البيضاني، "خطاب إعلامي من نوع آخر، صحيفة المدينة"،
[/https://www.al-madina.com/article/78241](https://www.al-madina.com/article/78241)
17. محمد بودهان، "ومتى التطبيع الكامل مع الأمازيغية؟"،
<https://amadalamazigh.press.ma>

18. محمد مصباح، "الجيل الجديد من الاحتجاجات في المغرب"، <https://www.arab-reform.net>
19. المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، www.ircam.ma.
20. ناصر فتح الله، "إشكاليات في الاتصال السياسي المعاصر"، www.nasserfattahallah.blogspot.com
21. نجم العيساوي، "قدرة الاعلام الجديد على تطوير الممارسة السياسية"، <https://najmaleessawi.blogspot.com>
22. هند أحمد إبراهيم، "السياسات اللغوية كأحد أبعاد الاندماج الوطني...دراسة حالة المغرب"، <http://www.acrseg.org/41189>
23. هيرنان أولانو، "في ردود فعل وطنية ودولية حول الخطاب الملكي بمناسبة ذكرى 68 لثورة الملك والشعب"، <http://bayanealyaoume.press.ma/>

ثانيا: باللغة الأجنبية

1. Abdellah Boudahrain, **Eléments de droit public Marocain**, Paris :ed l'harmathan, 1994.
2. Ahmed BOUKOUS, **Essais de politique et d'aménagement linguistiques**, Rabat: Institut Royal de la culture Amazighe, 2018.
3. Alex Mucceheilli, **Les sciences de l'information et de la communication**, Paris:, hachette, 4eme edition, 2006.
4. Amalou Abderrahman, **L'évocation de l'article 19 de la constitution à la frontière de la 3eme et 4eme législature RMPRD**, 1983.
5. Aourid Hassan, **De l'identité au devenir**, Agadir: Actes de colloque de l'universite, 11eme session, 2015.
6. Brian McCair, **An Introduction to Political Communication**, 2011.
7. Dominique Manguneau, **Analyse les textes de communication**, Paris : Dunod, 1998.

8. Dominique Sellier, **La Communication gouvernementale**, Paris : l'harmattan, 2006.
9. Ennaji moha, **Multilingualism cultural Identity and education in Morocco**, USA: springer Science, 2005.
10. Frederic Bon, **Les discours de la politique**, Paris:Editeur Economica,1991.
11. Global Report 2014 : Conflict, Governance and State Fragility Monty G.Marshall and Benjamin R.Cole, Center For Systemic Peace, Vienna.
12. Jean Claude Santcci, **Soulevement urbains, proces en chaine et repression politique**, AAN 1984.
13. Khalid Alioua, **Etat et contrrole de l'espace urbain, in L'Etat marocain dans la duree** , Codesria Edino. Larousse de poche, Librairie Larousse, 1968.
14. Marguerite ROLLINDE, **Le mouvement amazighe au Maroc :défense d'une identité culturelle, revendication du droit des minorités ou alternative politique?**, Insaniyat, Mai – Août 1999.
15. Meftaha Ameer, Noura El Azrak, **Attitudes et Representations Autour D'Une Langue En Devenir-Le Cas De L'AMAZIGHE**, Rabat :El Maarif Al Jadida, 2017.
16. Mohamed Chafik, **Pour un Maghreb d'abord Maghrebin**, Maroc: Centre Tarik Ibn Zyad Pour Les Etudes Et La Recherche, 2000.
17. Mounia Bennani Chraibi, **Soumis et Rebelles: Les jeunes au Maroc** :Editions le Fennec, 1995.
18. Nadia Lamlili, **“Tensions à El Hoceima: les chiffres des inégalités sociales qui expliquent la grogne marocaine”**, Jeune Afrique, 2017.
19. Pierre Mangeau et Johanne Saint charle, **Communication horizons de pratique**, Quebec: Press de luniversite de Quebec, 2006.
20. Sehim M, **La prépondérance du pouvoir royal la constitution marocaine**, Paris :revue de droit public, 1984.

21. Stephanie Pouessel, **Du village au village global émergence et construction d'une revendication autochtone berbère au Maroc**, Maroc: Presses de sciences politique, 2006.
22. Vincet Georis, **La communication Politique**, Paris :Centre de recherche en ecologie politique, 2005.

الصفحة	فهرس المحتويات
02	مقدمة
15	الفصل الأول: الإطار النظري والتاريخي للدراسة
16	المبحث الأول: ماهية الخطاب السياسي
21	المطلب الأول: تعريف الخطاب السياسي
21	الفرع الأول: مفهوم الخطاب
35	الفرع الثاني: خصائص الخطاب السياسي
37	الفرع الثالث: مناهج دراسة الخطاب السياسي
44	الفرع الرابع: الوظائف الاستراتيجية للخطاب السياسي
46	المطلب الثاني: تحليل الخطاب السياسي
47	الفرع الأول: الإرهاصات الأولية لتحليل الخطاب
48	الفرع الثاني: المدارس النظرية لتحليل الخطاب السياسي
54	المبحث الثاني: المقاربات النظرية للتواصل السياسي
54	المطلب الأول: ماهية الاتصال وارتباطه بالاتصال السياسي
54	الفرع الأول: في معنى الاتصال
55	الفرع الثاني: في مفهوم الاتصال السياسي
61	الفرع الثالث: الاتصال والاتصال السياسي
63	المطلب الثاني: نظريات الاتصال السياسي
63	الفرع الأول: أهم المقاربات النظرية للتواصل السياسي
69	الفرع الثاني: مستويات الاتصال السياسي
70	الفرع الثالث: الاتصال المرئي والاتصال السياسي
72	المبحث الثالث: الجذور التاريخية للأمازيغية
72	المطلب الأول: الجوانب الاشتقاقية لمصطلح الأمازيغية
76	المطلب الثاني: تاريخ وأصل الأمازيغ
82	الفرع الأول: شبكة من الأجناس
83	الفرع الثاني: تصنيف "برتولون" و"شاينتر"
84	الفرع الثالث: تاريخ الأمازيغ
89	المطلب الثالث: اللغة أو اللهجات الأمازيغية
94	الفصل الثاني: المسألة الأمازيغية من التوجه الثقافي إلى التفعيل السياسي

94	المبحث الأول: التحول التدريجي من الوعي الثقافي التقليدي إلى الوعي السياسي
95	المطلب الأول: تعريف الحركة الأمازيغية ووظائفها
96	الفرع الأول: الوظيفة التسييرية
97	الفرع الثاني: الوظيفة المنبرية
98	المطلب الثاني: السياق التاريخي للحركة الأمازيغية
98	الفرع الأول: مرحلة ما قبل الاستقلال
104	الفرع الثاني: مرحلة ما بعد الاستقلال
112	الفرع الثالث: البيان الأمازيغي لـ"محمد شفيع"
114	المطلب الثالث: مرحلة التوجه لإنشاء حزب سياسي أمازيغي
115	الفرع الأول: التيار المؤيد للإطار السياسي
115	الفرع الثاني: التيار الرفض لتأسيس إطار سياسي أمازيغي
117	المبحث الثاني: موقف النخب الوطنية من المسألة الأمازيغية
117	المطلب الأول: الأمازيغية والأحزاب السياسية
121	الفرع الأول: حزب الاستقلال
124	الفرع الثاني: حزب التقدم والاشتراكية
126	الفرع الثالث: الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية
131	الفرع الرابع: حزب العدالة والتنمية
132	المطلب الثاني: المؤسسات النخبوية والأمازيغية
132	الفرع الأول: الحركة الثقافية الأمازيغية
135	الفرع الثاني: الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي
142	الفرع الثالث: الكونغرس العالمي الأمازيغي
143	الفرع الرابع: المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية
149	المبحث الثالث: التدبير الثقافي السياسي للاتجاه اللغوي الأمازيغي
149	المطلب الأول: المقاربة الاحترافية
150	الفرع الأول: الخيار العروبي - الإسلاموي
151	الفرع الثاني: الخيار التغريبي
152	المطلب الثاني: المقاربة الأمازيغية
154	الفرع الأول: نقد الخطاب الأمازيغي
156	الفرع الثاني: إعادة فهم المقاربة الأمازيغية
158	المطلب الثالث: الممارسة السياسية كاحتفاء وتعبير عن أزمة هوية

158	الفرع الأول: نموذج أهل سوس في الممارسة السياسية
159	الفرع الثاني: الانتماء الجماعي لحزب الاستقلال
159	الفرع الثالث: الانتماء الجماعي للاتحاد الوطني للقوات الشعبية
163	الفصل الثالث: مضمون الخطاب السياسي بالمغرب وارتباطه بالمسألة الأمازيغية
164	المبحث الأول: خطاب الحركات الثقافية الأمازيغية
165	المطلب الأول: النمط الثقافي لخطاب الحركة الأمازيغية
167	المطلب الثاني: مرجعيات الحركة الثقافية الأمازيغية
168	المطلب الثالث: البعد الثقافي والسياسي للهوية في الخطاب الأمازيغي
170	الفرع الأول: اللغة والثقافة
172	الفرع الثاني: الهوية والمجال الجغرافي
175	المبحث الثاني: تحليل مضمون خطاب الملك الحسن الثاني
175	المطلب الأول: نبذة عن حياة الملك الحسن الثاني
177	الفرع الأول: الصراع الملكي السياسي ومسألة السلطة التأسيسية
180	الفرع الثاني: مكانة المؤسسة الملكية ضمن النسق السياسي المغربي
182	المطلب الثاني: مسألة الهوية في الخطاب الملكي للحسن الثاني
182	الفرع الأول: خصائص الخطاب الملكي بالمغرب
183	الفرع الثاني: تصنيف خطابات الملك الحسن الثاني
185	المطلب الثالث: الخطاب السياسي للحسن الثاني في ضوء التحليل النقدي للخطاب
187	الفرع الأول: السياق السياسي لخطاب الحسن الثاني
191	الفرع الثاني: التحليل النقدي لخطاب الأمازيغية في ذكرى ثورة الملك والشعب
202	المبحث الثالث: تحليل مضمون خطابات الملك محمد السادس
202	المطلب الأول: نبذة عن حياة الملك محمد السادس
204	المطلب الثاني: تحليل مضمون خطابات الملك محمد السادس
204	الفرع الأول: المسألة الأمازيغية في الخطاب الملكي لمحمد السادس
206	الفرع الثاني: التحليل الكمي والكيفي لنصوص الخطابات الملكية
237	المطلب الثالث: مقارنة بين الخطاب الملكي للحسن الثاني ومحمد السادس
247	الفصل الرابع: الرهانات الاستراتيجية للحركة الأمازيغية
244	المبحث الأول: التحديات السياسية بعد مظاهرات الحسيمة
245	المطلب الأول: تطور الظاهرة الاحتجاجات في المملكة المغربية
252	المطلب الثاني: العنف السياسي في سياق مظاهرات الحسيمة

255	الفرع الأول: تصنيف المطالب السياسية للحركات الاحتجاجية
260	الفرع الثاني: التدبير السياسي للمخاطر المتعلقة بالعنف الهوياتي
265	المطلب الثالث: أحداث حراك الريف بالحسيمة
266	الفرع الأول: أسباب وخصوصية حراك الريف
269	الفرع الثاني: مقومات الصمود
276	المطلب الرابع: الخطابات الدائرة حول حراك الريف
276	الفرع الأول: خطاب التخوين والعنف الشعبي
278	الفرع الثاني: خطاب التشكيك
280	الفرع الثالث: خطاب التضامن والتهدة
283	المبحث الثاني: رهان الأيديولوجيا الرسمية للدولة المغربية
284	المطلب الأول: تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية
286	الفرع الأول: رهانات الحكومة الجديدة في تجسيد التزاماتها
289	الفرع الثاني: صندوق مواكبة تفعيل الطابع الرسمي للأمازيغية
291	المطلب الثاني: مقارنة التدرج في إدماج الأمازيغية في مجالات الحياة العامة ذات الأولوية
291	الفرع الأول: حول كفاءات الإدماج
293	الفرع الثاني: حول مراحل التفعيل
294	المبحث الثالث: التحديات والمسارات الجديدة للحركة الأمازيغية
294	المطلب الأول: جبهة العمل الأمازيغي كأرضية جديدة لفتح النقاش السياسي الهوياتي
294	الفرع الأول: أرضية جبهة العمل الأمازيغي
297	الفرع الثاني: اندماج الجبهة الأمازيغية مع حزب التجمع الوطني للأحرار
304	المطلب الثاني: رهانات الخارج وتأثيرها في التعاطي مع الأمازيغية
304	الفرع الأول: مسار التطبيع بين المغرب و"إسرائيل"
308	الفرع الثاني: موقف وعلاقة الحركة الأمازيغية من التطبيع
314	خاتمة
323	فهرس الجداول
325	قائمة المراجع
338	الملاحق
362	فهرس المحتويات

الملخص:

تمثل الهوية الأمازيغية بمختلف مكوناتها من إطارات مدنية وسياسية وحقوقية وفاعلين وباحثين، أبرز الحركات الاجتماعية في المجتمع المغربي وأكثرها امتدادا وحضورا في سياق تجاذبات النقاش العمومي والخطابات والمشاريع التي تروم في اختيارات المجتمع والدولة وتغيير منظومات القيم والحياة الاجتماعية والسياسات العامة ولعل هذه المكونات، بخطاباتها وتصوراتها الاجتماعية والثقافية، تعتبر القوى البارزة في فضاء المجتمع ومجالات الإنتاج والخطاب والممارسة، حيث ارتأينا أن تشكل موضوعات هذه الدراسات والتناول التحليلي الذي يروم إنتاج معرفة حولها والإحاطة بها عبر الفهم والنقد الضروريين لتطوير الفكر والممارسة معا. ومن هذا تمحورت إشكالية الدراسة حول ما مدى تأثير المسألة الأمازيغية وتأثرها من الخطاب السياسي في المملكة المغربية؟ وما تحقق حتى الآن في المسألة الأمازيغية لا يزال ضئيلا وغير كاف سواء من الناحية الأكاديمية أو الممارسة السياسية، ومن جهة ثانية يمكن القول إن دسترة الأمازيغية وصدور القوانين التنظيمية الخاصة بها، سيوفر إطارا قانونيا يسمح في الشروع بإنجاز ما جاء في الدستور وما جاءت به هذه القوانين؛ في انتظار مردود الخطاب السياسي الجديد للحكومة المغربية في المستقبل القريب.

Abstract:

The Amazigh identity, with its various components, including civil, political and human rights frameworks, actors and researchers, represents the most prominent social movements in Moroccan society, the most extensive and most present in the context of the interactions of public debate, discourses and projects that at the choices of society and the state and change the value systems, social life and public policies. these components, with their discourses and social and cultural perceptions, are the prominent forces in the space of society and the fields of production, discourse and practice, as we have considered that the topics of these studies and the analytical approach that aims to produce knowledge about them and surround them through the understanding and criticism necessary for the development of thought and practice together. From this centered the problem of the study on the extent of the impact of the Amazigh issue and its influence on the political discourse in the Kingdom of Morocco? What has been achieved so far in the Amazigh issue is still small and insufficient, both in terms of academic and political practice, and on the other hand, it can be said that the constitution of the Amazigh and the issuance of its own regulatory laws, provide a legal framework that will allow for the implementation of what was stated in the constitution and what these laws came with; Waiting for the return of the new political discourse of the Moroccan government in the future.